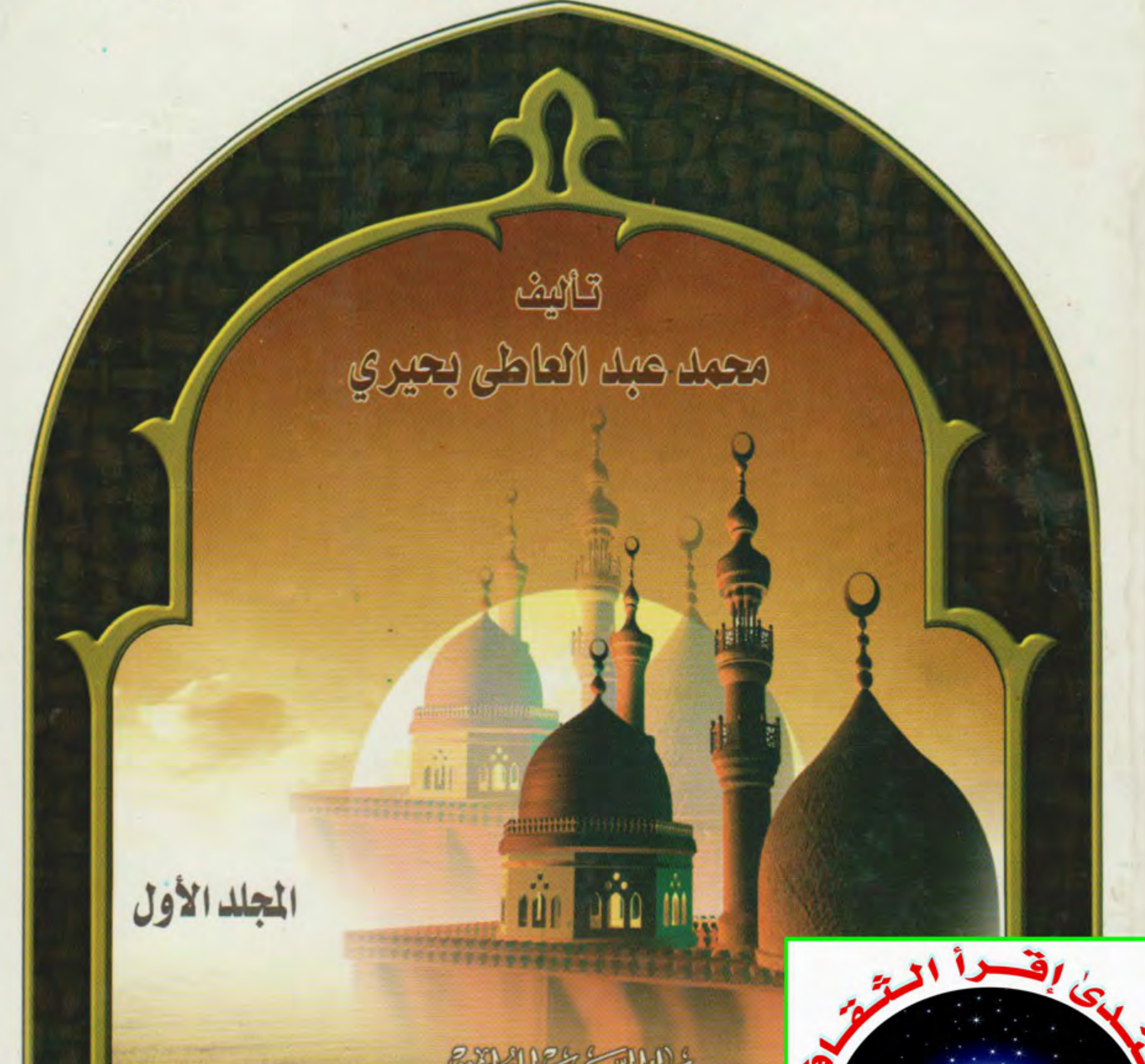
الموسوعة المنبرية في خطب الجمعة والعيدين



الموسوعة المنبرية

في

خطب الجمعة والعيدين والمناسبات الدينية

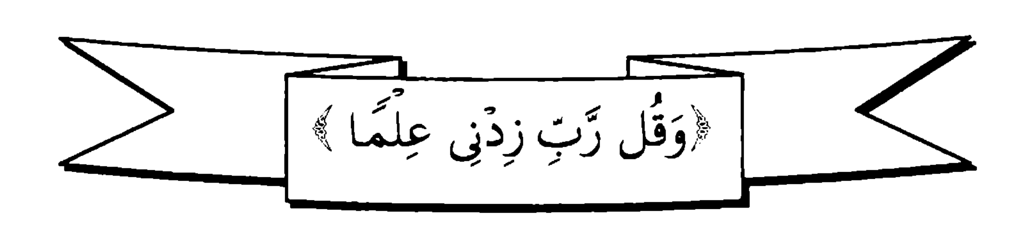
تأليف

الشيخ محمد بحيري

المجلد الأول



بسم الله الرحمن الرحيم



اسم الكتاب: الموسوعة المنبرية
في خطب الجمعة والعيدين جـ ١

تـأليـــف : محمد عبد العاطي بحيري

رقم الإيداع : ٥٤٧٤ \ ٢٠١٢

النـــاشـــر : دار التوفيقية للتراث ـ القاهرة

دار التوفيقية للتراث

---

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر – القاهرة

تليفون : ٢٥١٠٥٦٦٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، اللَّهُمَّ لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت وحدك صاحب الأمر، وإليك المنتهى.

سبحت لك الرمال، وسجدت لك الظلال، وتدكدكت من هيبتك الجبال، وخلقت الإنسان من الطين اللازب والصلصال، وزينت صورته بأحسن تقويم، وأتم اعتدال، وعصمت قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال، سبحانك.

المعافي من عافيت، والمبتلى من ابتليت، والحكم ما قضيت، كل معبود سوى وجهك الكريم باطل، وكل ملك سوى ملكك الكبير زائل.

أحمدك حمدًا يليق بذاتك، وأشكرك شكرًا يليق بكمالك وجود وإفضالك وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، كل شيء خاشع له، وكل شيء قائم به، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه، خلق كل شيء فقدره، وعلم مورد كل مخلوق ومصدره، وأثبت في أم الكتاب ما قضاه وسطره، فلا مقدم لما أخره، ولا مؤخر لما قدمه.

وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبد الله ورسوله، وخيرته من بريته، وصفوته من خليقته، وأمينه على وحيه، أعرف الخلق به، وأنصحهم لأمته، تخرج في جامعته أعظم الرجال، تخرج في جامعته المصلح القدير كأبي بكر، والزعيم الملهم كعمر، والحيي الكريم كعثمان، والعبقري الفذ كعليّ، والفيلسوف البارع كسلمان، والمفتي

القدير كابن عباس، والزاهد كأبي ذر، إذا سألنا هؤلاء في أي الجامعات تخرجتم؟ سيقولون: تخرجنا في جامعة كان عميدها محمد ﷺ.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته، وسار على دربه إلى يوم الدين.

أما بعد...

إنَّ العمل في حقل الدعوة إلى الله ﷻ من أشرف الأعمال ومن أعظمها، وأقربها إلى الله ﷻ إذا ما قارنه الإخلاص لله ﷻ لأن هذا العمل هو وظيفة أنبياء الله ﷻ ورسله، فمن شرفه الله ﷻ وأكرمه بهذه المهمة، فليحمد الله ﷻ عليها، ويشكره آناء الليل، وأطراف النهار.

ولما كنت واحدًا ممن شرفهم الله تعالى بالارتقاء على منبر الدعوة إلى الله ﷻ اتخذت لي منهجًا، هذا المنهج مقتبس من كتاب الله ﷻ ومن سنة حبيبه ﷺ وما أعظم كتاب الله وما أجل سنة الحبيب المصطفى ﷺ لذا كان منهجي أن أتخذ سلسلة أتحدث فيها، مرتبطة بعضها ببعض حتى لا تضيع الأفكار، ولا أشتت عقول من جاء إلى المسجد مستمعًا، لذا أقدم لإخواني الدعاة الأفاضل الكرام هذه السلسلة المباركة من الخطب المتصلة الحلقات، بأسلوب سهل ميسر، وقد أطلت النفس في الكثير من الموضوعات، لأن الخطيب ينبغي أن يقرأ أكثر مما يحاضر.

وصاحب هذه الفكرة الكريمة، أخي الأستاذ الفاضل/ الحاج عبد الحميد شعلان أسأل الله ﷻ أن يجزيه على قصده ونيته خير الجزاء، وأسأله تعالى أن يبارك له في عمره، وأن يثبتني وإياه على الحق.

كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعلني وإياكم من أهل السداد، ومن أهل الرشاد ومن صالحي العباد، وأن يرزقنا الفوز يوم المعاد.

اللَّهُمَّ اجعلنا ممن إذا قرأ تدبر، وعمل بما قرأ، واجعل خير زماننا آخره، وخير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم أن نلقاك.

اللَّهُمَّ يسر أمورنا، واشرح صدورنا، وهب لنا من لدنك رحمة ونورًا نستضيء به في ظلمات الحياة الدنيا، وهيئ لأمة محمد أمرًا رشدًا، اللَّهُمَّ أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعصية، يا سميع الدعاء، ويا أمل الضعفاء، يا من لا يعجزه شيء، لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، واهدنا سواء السبيل.

اللَّهُمَّ إن كان من صواب فمنك وحدك، فالفضل كله لك، والجود كله منك، والتوكل كله إليك، والثقة فيك وحدك.

وإن كان من خطأ أو نسيان، فمني ومن الشيطان، وصلِّ اللَّهُمَّ وسلم وبارك على حبيبك محمد وعلى آله صلاة تكثر عدد الأنفاس، وعلى سائر عبادك الأكياس، المطهرين بمياه التقى من جميع الأدناس، وعلى الخلفاء الراشدين الذين شيدوا الدين على أقوى أساس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين




السلسة الأولى:
الطريق إلى الجنة

الخطبة الأولى

الطريق إلى الجنة

الحمد لله، الذي جعل جنات الفردوس لعباده المؤمنين نزلًا، ونوّع لهم الأعمال الصالحة، ليتخذوا منها إلى تلك الجنات سبلًا، وجعل ميعاد دخولهم يوم القدوم عليه، وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلًا، أودعها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وكملها بدوام نعيمها، فأهلها خالدون فيها أبدًا، لا يبغون عنها حولًا.

أحمده حمدًا يليق بذاته، وأشكره شكرًا يليق بكرمه وإفضاله.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحي ويميت وهو على كل شيء قدير، إذا دخل أهل الجنة الجنة، نادى رب العزة والجلال، فقال: يا أهل الجنة، هل تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: يا رب، ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، ونجيتنا من النار؟ حينئذ، فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم، ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦].

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا، عبد الله ورسوله، وحبيبه وخليله، صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، والشفاعة العظمى يوم الدين، من أدبه ربه، فأحسن تأديبه، فكان للعالمين سيدًا وإمامًا.

صلِّ اللَّهُمَّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين وعلى عترته آل بيته أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب الحبيب المصطفى ﷺ...

مرحبًا بكم في هذا اللقاء الطيب المبارك، وطبتم جميعًا، وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلًا، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعنا مع حبيبنا وأستاذنا ومعلمنا، ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

وفي بداية هذا اللقاء المبارك أذكركم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فإنه قد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد...

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي، هدي سيدنا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله...

نحن اليوم على موعد لنشرع فيه عن الحديث في سلسلة طيبة بعنوان: «**الطريق إلى الجنة**»، وهذا هو لقاؤنا الأول في هذه السلسلة المباركة.

والجنة محفوفة بالمكاره، والنار محفوفة بالشهوات، كما قال سيد الكائنات، ورسول رب الأرض والسموات ﷺ: «**حُفَّتِ الْـجَنَّةُ بِالْـمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**»(١).

فمتى صبرتم على ما تكرهون، نلتم ما تحبون، ومتى نهيتم النفوس عن هواها، وجاهدتموها عن غيها لمولاها، فقد سعيتم في حصول نعيمها وسرورها ومناها فقد أفلح من بطاعة ربه زكاها، وقد خاب من بمعصية ربه قمعها ودساها، فدربوا أنفسكم على الخير وعودوها، ورغبوها فيما أعد للطائعين الصابرين وشوقوها، وناقشوها على الصغير والكبير وحاسبوها.

فمن حاسب نفسه في هذه الدار، وألزمها الإنابة والتقوى، والإكثار من الاستغفار، وتفكر في نعم الله وخيره المدرار، وأكثر من ذكره آناء الليل والنهار، فاز بالنجاح والملك الكبير في دار القرار.

ومن تعب قليلًا، استراح طويلًا، لكن من أطلق لنفسه في الشهوات مراحها فقد أشقاها وأتعبها.

ووالله ما يدرك ما عند الله من الخير والمنى والأماني إلا بالجد بطاعة الله وترك الكسل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾** ﴾ [النازعات: ٣٤ - ٤١].

إن أمنية كل مؤمن، وغاية كل مسلم، التي تجول في خاطره، وتثور في مشاعره إنها شيء واحد لا يتغير، لا بين الأفراد، ولا عبر الزمان، إنها الجنة، إنها الغاية، والأمل دخولها، فهي سلعة الله الغالية، التي قال فيها إمام السعداء، وخاتم الأنبياء

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي عن أنس.

صلى الله عليهم وسلم: «**أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللَّـهِ غَالِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللَّـهِ غَالِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللَّـهِ الْـجَنَّةُ**»(١).

الجنة دار الخلود والبقاء، لا فيها بأس ولا شقاء، ولا أحزان ولا بكاء، لا تنقضي لذتها، ولا تنتهي مسراتها، كل ما فيها يذهل العقول، ويسحر الأفكار، ويسكر الرشيد، ويصرع اللبيب.

هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باق وليس بفان

قال فيها الرب ﷻ في الحديث القدسي الجليل: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»(٢).

فمهما وصفناها فإن عقولنا لا تدركها، لأن فيها من الخير ما لا يخطر على بال أحد هي نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، تتراءى لأهلها كما يتراءى الكوكب الدري الغائر في الأفق.

جاء رجل إلى الحبيب اللبيب رسول رب العالمين ﷺ سأله عن بناء الجنة، فقال: «**لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِلاَطُهَا** - أي طينتها - **الْـمِسْكُ الأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْـيَاقُوتُ، وتُرابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلْهَا يَنْعَمْ وَلاَ يَبْأَسْ، وَيُخَلَّدْ وَلاَ يَمُوتْ، لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُمْ، وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُمْ**»(٣).

فيا لها من لذة! ويا له من نعيم! قال الله ﷻ: ﴿ **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي والحاكم ،وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٢٢).
(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١١١٦).

فاللبيب من باع الدنيا بالآخرة، والكيس من صنع السعادة بيده فبحث عن طريق الجنة فسلكه، وأجل طريقها: توحيد الله ﷻ، واتباع رسوله ﷺ في كل ما أمر به.

أخي الحبيب...

فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران.

وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر.

وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر.

وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها من شجرة إلا وساقها من الذهب والفضة، لا من الحطب والخشب، وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال، ألين من الزبد، وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل.

وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى.

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة، في صفاء القوارير، وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام.

وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تنعم بالطرب لمن يسمعها.

وإن سألت عن ظلها ففي ظل الشجرة الواحدة يسير الراكب المجد السريع مائة عام لا يقطعها.

وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام، وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة، طولها ستون ميلًا، وإن سألت عن علاليها وجوسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية، تجري من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق، الذي لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق، مفروشة في أعلى الرتب، وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات، مزررة بأزرار الذهب، وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر، وإن سألت عن أعمارهم فأبناء ثلاث وثلاثين، على صورة آدم عليه السلام، طولهم ستون ذراعًا، وعرضهم سبعة أذرع.

وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين، وأحلى منه سماع الملائكة والنبيين، وأحلى منهما خطاب رب العالمين، وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب مما شاء الله، تسير بهم حيث شاءوا، وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ، وعلى رؤوسهم ملابس التيجان، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون، كأنهم لؤلؤ مكنون، وإن سألت عن أزواجك وحبيباتك، فهن الكواعب الأتراب، اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت.

إذا قابلتْ حبَّها فقل ما تشاء في تقابل النورين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدها كما يُرى في المرآة التي جلاها صيقلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم، ولا يستره جلدها، ولا عظمها، ولا حللها، لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين

الأرض والسماء ريحًا، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلًا وتكبيرًا وتسبيحًا، ولتزخرفت لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها.

ولا تزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالًا، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالًا، مبرأة من الحبل والولادة، والحيض والنفس، مطهرة من المخاط والبصاق، والغائط وسائر الأدناس، لا يفني شبابها، ولا تبلى ثيابها، ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يُمَل طيب وصالها، قد قصرت على زوجها، فلا تطمح لأحد سواه، وقصر طرفه عليها، فهي غاية أمنيته وهواه، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو منها في غاية الأماني، لم يطمثها قبله إنس ولا جان، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤًا منظومًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا.

فإن سألت عن السن فأتراب في أعدل من الشباب، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن جور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فمن الكواعب، ونهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حسن الخُلُق فهن الخيرات الحسان، اللاتي جمعن بين الحسن والإحسان، فأعطين جمال الباطن والظاهر، فهن أفراح النفوس وقرة النواظر، وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك، فهن العُرب المحببات إلى الأزواج، بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها، وإذا

حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة المعانقة والمخاصرة، وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبَّذا تلك المؤانسة والإمتاع، وإن قبّلت فلا شيء أشهى إليه من التقبيل، وإن تُوْلَت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

أيها المسلمون . . عباد الله...

ماذا نود أن نعرفه عن الجنة بعد ذلك؟ أتودون أن تعرفوا ما ثيابهم؟

يقول ربنا ﷻ: ﴿ **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** ﴾ [الحج: ٢٣]، وقال: ﴿ **عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا** ﴾ [الإنسان: ٢١].

هذه الثياب، وتلك الحلل لا تبلى، ولا تتسخ، قال الحبيب النبي ﷺ: «**مَنْ يَدْخُلِ الْـجَنَّةَ يَنْعَمُ لاَ يَبْأَسُ، لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُ**»(١).

ربكم يدعوكم يوم القيامة على رؤوس الخلائق، ليخيركم من أي حلل الجنة شئتم تلبسون، إن شئت أن تلبس الحرير لبست، لأنك لم تلبسه في الدنيا، إن شئت أن تلبس من السندس والإستبرق، كان ذلك لك، ﴿ **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾ [الكهف: ٣١].

هذه الثياب من الذي ينسجها، ما هي مصانع الغزل والنسيج في الجنة؟ هذه الثياب لا خلقًا تخلق، ولا نسجًا تنسج، بل تشقق عنها ثمر الجنة فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة، خلقًا تخلق أم نسجًا تنسج؟ فضحك بعض القوم، فقال النبي ﷺ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ مِنْ جَاهِلٍ يَسْأَلُ عَالِمًا؟**».

---

(١) رواه مسلم.

ثُمَّ أَكَبَّ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟». قَالَ: هُوَ ذَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّـهِ. قَالَ: «لاَ، بَلْ تُشَقَّقُ عَنْهَا ثَمَرُ الْـجَنَّةِ»(١)، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

وجنات عدن زخرفت ثم أزلفت لقوم على التقوى تبتلوا

بها كل ما تهوى النفوس وتشتهي وقرة عين ليس عنها تحول

أحبتي في الله...

هل يعقل أن يدرك عقل هذا النعيم ثم يزهد فيه؟ هذا داعي الخير يناديكم، ويحرك فيكم نشاط التنافس والمسارعة، ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فسارعوا، فقد دعاكم البشير النذير، والسراج المنير،

فيا طالب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأقذار

وإذا سألتم عن أنهارها، فأنهارها كثيرة، وبحارها متنوعة، فترى بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، فتشرب منها، وتنعم بها.

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد: ١٥].

ثم تتشقق أنهار الجنة، وفيها نهر الكوثر، وذاك نهر أعطاه الله ﷻ لحبيبه محمد ﷺ وعن أنس ﵁ قال: سئل رسول الله ﷺ عن نهر الكوثر؟ فقال: «ذاك نهر أعطانيه الله - أي في الجنة - أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْـعَسَلِ فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْـجُزُر - أي الإبل -. قَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذِهِ لَنَاعِمَةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا»(٢).

(١) حسن: رواه أحمد (٧٠٩٥)، وذكره الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٦٤٠).

(٢) حسن صحيح: رواه الترمذي وحسنه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٧٢٤).

الله أكبر طير، أعناقها كأعناق الجمال؟! نعم طيور الجنة عجيبة، فالطائر مثل الناقة، وقد جاء ذلك في حديث أحمد في المسند عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ طَيْرَ الْـجنَّةِ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ تَرْعَى فِي شَجَرِ الْـجَنَّةِ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، إِنَّ هَذِهِ لَطَيْرٌ نَاعِمَةٌ. فَقَالَ ﷺ: «**أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا**»- قَالَهَا ثَلاَثًا - **وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَأْكُلُ مِنْهَا يَا أَبَا بَكْرٍ**»[١]. أي: من الطير.

ما أعظم عطاء ربنا ﷻ؟! وما أكرم عطاءه وإفضاله وإنعامه؟!

وإن أردتم أن تتعرفوا على شجر الجنة، فقد أخبركم مولاكم رب العالمين، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد ﷺ قال سبحانه: ﴿ **وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾** ﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٣٣].

بل يوجد في الجنة شجرة يسير تحتها الراكب مسيرة مائة عام فلا يصل إلى آخرها قال ﷺ: «**إِنَّ فِي الْـجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْـجَوَادَ الْـمُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ، مَا يَقْطَعُهَا**»[٢].

عباد الله...

يقول الحبيب النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**». قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟، قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[٣].

ويقول: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»[٤]. أو كما قَالَ. ادعوا الله.

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده» وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٧٤٠).
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري.
(٤) حسن: رواه ابن ماجه والطبراني وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٤٥)، و«صحيح الجامع» (٣٠٠٨).

الخطبة الثانية

الحمد لله، الذي جعل الفردوس لعباده المؤمنين نزلًا، وخلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياه قبل أن يوجدهم، وحفها بالمكاره، وأخرجهم إلى دار الامتحان، ليبلوهم أيهم أحسن عملًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، برأ الكون بقدرته، وأنشأ العالم على غير مثال سابق بحكمته.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، المؤيد بالمعجزات، والآيات البينات، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه الأئمة الثقات.

أما بعد...

عباد الله...

شمروا يا **عباد الله**: فإن سلعة الله غالية، إن ثمنها تقوى الله ﷻ وطاعته، وإنها ليسيرة على من يسرها الله عليه، وتسابقوا إلى هذا الخير العظيم، وهذا النعيم المقيم، فإنه لحمق وغرور، أن يستبدل المرء هذه الدنيا، وهذا الخراب بما عند الله ﷻ من النعيم المقيم.

بادروا بالطاعات قبل فوات الأوان، فإنما الدنيا لحظات وثوان،

فبادر إذا ما دام في العمر فسحة ... وعدلك مقبول وصرفك قيم

وجد وسارع واغتنم زمن الصبا ... ففي زمن الإمكان تسعى وتغنم

وسر مسرعًا فالموت خلفك مسرع ... وهيهات ما منه مفر ومهزم

أحبتي في الله...

في الجنة من سحر المساكن وجمال القصور، وتعالى الغرف، وتلألؤ الخيام، ما تقر به العين، وتسكن إليه النفس، وكيف لا وخيامها من لؤلؤ، وقصورها من

ذهب، وفيها من فاخر الأثاث، وكواعب النساء، وطيب الشراب، ولذيذ الطعام ما لا يخطر على بال.

طريق الجنة: الإيمان والعمل الصالح، هما طريق الفردوس، فكلما كان إيمان المسلم عاليًا ثابتًا، كانت منزلته عند الله تعالى رفيعة، وإنما يتفاوت المؤمنون المتقون في ذلك بحسب إيمانهم وتقواهم، قال الله ﷻ: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝ ﴾ [الإسراء: ١٨ - ٢١].

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات اللَّهُمَّ ارزقنا الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار ومن كل ما قرب إليها من قول وعمل، اللَّهُمَّ أحسن عاقبتنا في الزمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللَّهُمَّ فرج هم المهمومين، ونفس كرب المكروبين من المسلمين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ اجعل بلادنا آمنة مطمئنة، سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبنا محمد ﷺ

وأقم الصلاة.

الخطبة الثانية

الطريق الأول: توحيد الله

الحمد لله، الذي لا تدركه الأوهام ولا الظنون، ولا تناله الآفات ولا المنون، سبحانه سبحانه، أنزل الكتاب المكنون، وأرسل السحاب الهتون، وأخرج رطب الثمار من يابس الغصون، وخلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له: كن، فيكون، تكونت بمقدرته الأشياء. وتوالت برحمته الآلاء وانشقت بحكمته الأرض والسماء، وكتبت بمشيئته السعادة والهناء فيرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، وإليه تقلبون.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

الله ربي لا أريد سواه ... هل في الوجود حقيقة إلاه
الشمس والبدر من أنوار حكمته ... والبر والبحر فيض من عطاياه
الطير سبحه والوحش مجده ... والموج كبره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصم قدسه ... والنحل يهتف حمدًا في خلاياه
والناس يعصونه جهرًا فيسترهم ... والعبد ينسى وربي ليس ينساه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا محمدًا عبد الله ورسوله، الكريم خلقه الجميل خصاله، السامية شمائله، الطيبة سيرته، ما ضره يومًا حسد الحاسدين، ولا شتم الحاقدين، ولا شنئان المبغضين.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، صلاة تفتح لنا بها أبواب الخير والتيسر، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها يا ربنا وليًا ونصيرًا، فأنت نعم المولى ونعم النصير.

أما بعد...

أيها المسلمون .. عباد الله...

الطريق إلى الجنة هذا هو عنوان سلسلتنا المباركة التي سوف نعيش معها إن شاء الله تعالى، وهذا هو اللقاء الثاني لهذه السلسلة، ونعيش اليوم مع الطريق الأول، وهو توحيد الله عز وجل.

نعم توحيد الله هو أعظم طريق إلى الجنة، وإلى رضا ربنا جل في علاه، قال المصطفى ﷺ: **«مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّـهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْـجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّـهُ الْـجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْـعَمَلِ»**(١).

وفي الصحيحين أيضًا من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ. ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، إِلَّا دَخَلَ الْـجَنَّةَ»**. قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: **«وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ»**. قالها ثلاثًا، ثم قال في الرابعة: **«عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ»**. فخرج أبو ذر، وهو يقول: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ(٢).

وقد قال ﷺ ذلك، لاستبعاده العفو عن الزاني والسارق، المنتهك للحرمة، واستعظامه ذلك.

وكان هذا السؤال من أبي ذر رضي الله عنه لشدة نفرته من معصية الله تعالى.

وفي الصحيحين أيضًا من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ ومعاذ بن جبل رضي الله عنه رديفه على الرحل، فقال ﷺ: **«يَا مُعَاذُ»**. قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّـهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ **«مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّـهُ عَلَى النَّارِ»**. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ

---

(١) رواه البخاري والترمذي.

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا(١).

وعن عتبان بن مالك عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّـهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ. يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّـهِ»(٢).

وفي صحيح مسلم عن عبادة أنه قال عند موته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ، حَرَّمَ اللَّـهُ عَلَيْهِ النَّارَ»(٣).

أحبتي في الله...

كلمة التوحيد هي أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده، حيث هداهم إليها، ولولا فضل الله ورحمته ما عرفناه وما عبدناه.

كلمة التوحيد هي حبل الله المتين المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وهي العروة الوثقى المذكورة في قوله جل في علاه: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وهي القول الثابت في قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلًا في قول الله الواحد الأحد﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

فأصلها ثابت في قلب المؤمن، وفرعها - هو العمل الصالح - صاعد إلى الله.

فالكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد، والشجرة الطيبة هي النخلة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه مسلم.

وقد شبه الله ﷻ كلمة الإخلاص بالنخلة، لأن النخلة لابد لها من ثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عالٍ، وكذلك الإيمان لابد له من ثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح والأبدان، وكما أن النخلة لا تثبت في أي أرض، كذلك كلمة التوحيد لا تستقر في أي قلب، بل في قلب المؤمن فقط.

كلمة التوحيد هي سبيل الفوز بالجنة، كما سمعتم من حديث رسولنا الأعظم ونبينا الأكرم ﷺ والله ﷻ يقول: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

كلمة التوحيد هي الكلمة التي من قالها يبتغي بها وجه الله ﷻ فإن الله يحرمه على النار، وهي سبب عدم الخلود في النار لمن استحق دخولها، كما في حديث الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ**»(١).

وكما في حديث الشفاعة: «**فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجُوهُ**»(٢).

وهي آخر واجب على المكلف، فمن كان آخر كلامه من الدنيا «لا إله إلا الله، دخل الجنة، كما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ، دَخَلَ الْـجَنَّةَ**»(٣).

وعند ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ آخِرُ كَلِمَتِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ عِنْدَ الْـمَوْتِ، دَخَلَ الْـجَنَّةَ**»(٤).

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وهو في «صحيح الجامع» (٨٠٦٢)، و«الصحيحة» (٢٤٥٠).
(٢) رواه البخاري.
(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والترمذي وهو في «صحيح الجامع» (٦٤٧٩).
(٤) «صحيح الجامع» (٥١٥٠).

وهي مفتاح دعوة الرسل، فالرسل عليهم السلام دعوا إليها جميعًا، فكلهم يقول لقومه: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

أيها الموحدون الكرام...

كلمة التوحيد هي من أفضل الحسنات وأعظمها، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أوصني، قال: «إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ أَمِنَ الْـحَسَنَاتِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ؟ قَالَ: «هِيَ أَفْضَلُ الْـحَسَنَاتِ»(١).

وهي أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة، ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝ ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِوَصِيَّةِ نُوحٍ ابْنَهُ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «أَوْصَى نُوحٌ ابْنَهُ فَقَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنِّي أُوصِيكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: أُوصِيكَ بِقَوْلِ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ فَإِنَّهَا لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتِ السَّمواتُ وَالأَرْضُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ كَانَتْ حَلْقَةً لَقَصَمَتْهُنَّ حَتَّى تَخْلُصَ إِلَى اللَّـهِ، وَآمُرُكُمَا بِلاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّـهَ، فَإِنَّ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ، وَمَا فِيهِمَا لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ فِي الْكِفَّةِ الأُخْرَى كَانَتْ أَرْجَحَ مِنْهُمَا، وَآمُرُكُمَا بِسُبْحَانِ اللَّـهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلاَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ»(٢).

بل وتطيش بسجلات الذنوب يوم لقاء علام الغيوب تبارك وتعالى، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّـهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْـخَلاَئِقِ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْـبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْـحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ.

---

(١) صحيح: رواه أحمد وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٦٢).

(٢) صحيح لغيره: رواه البزار والحاكم وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٥٣٠).

فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ.

فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْـيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْـبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ.

قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْـبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتِ الْـبِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّـهِ شَيْءٌ»[(١)].

كلمة التوحيد هي أعلى شعب الإيمان، قال أفضل الخلق ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»[(٢)].

وفي رواية: «أَرْفَعُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ».

لا إله إلا الله، الملك الحق المبين.

لا إله إلا الله، شهادة نرجو بها مجاورة الرب الكريم، في جنات النعيم، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

قال ﷺ: «قال موسى، يا ربِّ، علمني شيئًا أدعوك به، قال: يا موسى، قل: لا إله إلا الله. قال موسى: يا رب، كل عبادك، قال: يا موسى، قل: لا إله إلا الله.

قال: لا إله إلا أنت يا رب، إنما أريد شيئًا تخصني به، قال: يا موسى، قل: لا إله إلا الله، فإن لا إله إلا الله، لو وضعت في كفة، والسموات والأرض وما بينهما في كفة لرجحت عليهن لا إله إلا الله»[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني في «الترغيب» (١٥٣٣).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه.

(٣) حسن: رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٨٤) رقم (١٨٩١)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

عباد الله...

لا إله إلا الله لها أنوار ساطعة، وأشعة كاشفة، وهي تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدرة قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، ويتفاوت أهلها في ذلك النور قوة وضعفًا، لا يحصيه إلا الله تعالى.

فمن الناس من نور الكلمة في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري، ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف.

وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته.

لا إله إلا الله أفضل الذكر، قال ﷺ: «**أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ**»(١).

لأجلها خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب.

ولأجلها ازينت الجنان، واحمرت واسودت النيران.

هي غاية الغايات، لا توازيها غاية أو مصلحة.

كلمة تعصم دم صاحبها - في الدنيا، وتقيل عنه العثرات، وترفع عنه السيف عند ورود الشبهات، قال خير المخلوقات ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّـهِ**»(٢).

---

(١) تخرج في موضع آخر.

(٢) رواه البخاري وغيره.

عباد الله...

هذا فضل التوحيد، وكلمة التوحيد، لكن لا يكفي أن تقولها باللسان، دون أن يقر بها الجنان، وتعمل بها الجوارح والأركان.

فقد قيل للحسن: إن ناسًا يقولون: من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة؟ فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها، دخل الجنة.

وقال وهب بن منبِّه لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان، فتح لك، وإلا لم يفتح لك.

وقد دل على أن النبي ﷺ رتب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص، جاء في الصحيحين عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال: «**تَعْبُدُ اللَّـهَ، وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**»[١].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته، دخلت الجنة، فقال: «**تَعْبُدُ اللَّـهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ الْـمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّى الزَّكَاةَ الْـمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**».

فقال الرجل: والذي نفسي بيده، لا أزيد على هذا شيئًا، ولا أنقص منه.

فقال ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْـجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**»[٢].

ومن أبي أن يقر بالشهادة لا يكون مسلمًا معصوم الدم بالإسلام، كما في الحديث عن سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: «**لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْـوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّـهِ بْنَ أَبِى أُمَيَّةَ بْنِ الْـمُغِيرَةِ فَقَالَ**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ. كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّـهِ».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّـهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ؟

فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْـمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «أَمَا وَاللَّـهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»(١).

فَأَنْزَلَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

وأنزل الله تعالى في أبي طالب قوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]»(٢).

وفي حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: «قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْـقِيَامَةِ»(٣).

قال أبو طالب: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينيك! فأنزل الله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦].

الشرط الثاني من شروط (لا إله إلا الله): الكفر بالطاغوت:

فلا إيمان إلا بعد الكفر بالطاغوت ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٣) رواه مسلم.

قال ابن كثير رحمه الله **في العروة الوثقى**: أي من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبده من دون الله، ووحد الله وشهد أن لا إله إلا هو، فقد استمسك بالعروة الوثقى، أي قد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى، التي لا تنفصم في نفسها محكمة مبرمة قوية، وربطها قوي شديد.

وقال سعيد بن جبير والضحاك: العروة الوثقى لا إله إلا الله.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: فمن عبد الله ليلًا ونهارًا، ثم دعا نبيًا أو وليًا عند قبره، فقد اتخذ إلهين اثنين، ولم يشهد أن لا إله إلا الله، لأن الإله هو المدعو، كما يفعل المشركون عند القبور.

ومن ذبح لله ألف أضحية، ثم ذبح لنبي أو غيره، فقد جعل إلهين اثنين ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. والطاغوت كل من عُبد من دون الله، فهو طاغوت، ولو في وجه من أوجه العبادة وهو راض بذلك، وكل محبوب لذاته - من دون الله - فهو طاغوت.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت، كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم، إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها، رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله ورسوله إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، اهـ.

عباد الله...

إذا كان هذا حال الناس في زمن ابن القيم رحمه الله فكيف الحال في زماننا وقد تكاثرت الطواغيت، واستشرفت وتنوعت، نسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدين والدنيا.

ومن شروط كلمة التوحيد: [العلم] لأن جاهل التوحيد كفاقده، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

وقد صح عن النبي ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ، دَخَلَ الْـجَنَّةَ**»[١].

فالذي يُفهم من الحديث أن من مات وهو لا يعلم التوحيد، لا يدخل الجنة، ومن لا يدخل الجنة لا يكون مسلمًا، لأن المسلم يدخل الجنة، لحديث النبي ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ**»[٢].

ومن عكس القاعدة، فقدم العمل على العلم، ماذا يحدث؟ يكون قد عبد الله ﷻ على جهل، وعلى غير بصيرة، وإذا حدث ذلك، أداه إلى الانحراف والضلال وأحدث في الدين ما ليس منه - والعياذ بالله -.

لذا كان الصحابة يتعلمون التوحيد قبل كل شيء، كما في حديث جندب بن عبد الله قال: كنَّا مع النبي ﷺ ونحن فتيان، فتعلمنا الإيمان - أي التوحيد - قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيمانًا[٣].

وكان النبي ﷺ إذا أرسل أحدًا من أصحابه إلى أي بلد من البلدان يأمره بأن يدعو أهلها أولًا إلى التوحيد قبل أن يدعوهم إلى أي شيء آخر، كما في حديث معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال: لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، قال: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّـهِ** - وفي رواية: **لا إله إلا الله** - **فَإِذَا عَرَفُوا اللَّـهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّـهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ**»[٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٣) صحيح: «صحيح سنن ابن ماجه» للألباني رقم (٦١).

(٤) متفق عليه.

فلابد من العلم الذي يجعل صاحبه يحب في الله، ويبغض في الله، ويوالي في الله ويعادي في الله، يعطي لله، ويمنع لله، العلم الذي يجعل صاحبه عاملًا ملتزمًا، يستقي فهمه من الكتاب والسنة، والعلماء الربانيين.

عباد الله... وأحبة رسول الله...

ومن شروط التوحيد [**الصدق والإخلاص**] فلابد أن يقولها صادقًا من قلبه، ويواطئ قلبه لسانه.

ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٣].

وقال إمام الموحدين، وخاتم النبيين ﷺ: «**أَبْشِرُوا وَبَشِّرُوا مَنْ وَرَاءَكُمْ أَنَّهُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ صَادِقًا بِهَا، دَخَلَ الْـجَنَّةَ**»(١).

وفي الصحيحين من حديث معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّـهُ عَلَى النَّارِ**»(٢).

فالمفهوم المخالف لهذا أن من شهد أن لا إله إلا الله، لكنه غير صادق بها، لا يدخل الجنة، وهو من أهل النار.

ولذلك قال ﷺ لضمام بن ثعلبة حين سأله عن شرائع الإسلام فأخبره بها: هل على غيرها؟ قال ﷺ: «**لاَ، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ**». قال الرجل: لا أزيد على هذا ولا أنقص، فقال الرسول لأصحابه: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**». وفي بعض الروايات: «**إِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْـجَنَّةَ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

فقد اشترط في فلاحه، ودخوله الجنة أن يكون صادقًا.

ولابد أن يصاحبها الإخلاص، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْـقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**»(١).

وعند الترمذي عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ مُخْلِصًا، إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْـعَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الْـكَبَائِرَ**»(٢).

و قال ﷺ: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». أو كما قَالَ. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، رب العالمين... الحمد لله سامع السر والنجوى، كاشف الضر والبلوى، ومغيث الملهوف قبل الشكوى، يسوق الرزق في البر إلى الذر والأروى، كم أعطش عدله، وأغدق فضله وأروى، من تفكر في ذاته، وقع بعيد المهوى ومن خالفه باتباع هواه، ضره ما يهوى.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، لا ينظر إلى صور الأعمال، وإنما يناله التقوى.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه عدد ما في الأرض والسماء، صلى الله عليه وعلى جميع الملائكة والأنبياء، وعلى آله وأصحابه الأبرار الأتقياء الأنقياء.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح: رواه الترمذي.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

ذكرنا فضل لا إله إلا الله، كلمة التوحيد، وذكرنا شروط لانتفاع قائلها بها في الدنيا والآخرة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، وشفاعة النبي المختار.

ومن شروطها كذلك [**المحبة**]: فلا بد من محبتها، ومحبة أهلها، وبغض أعدائها، وما يضادها من الشرك، وصفة هذه المحبة، كما قال النبي ﷺ: «**أَنْ يَكُونَ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**».

فلا يحب مع الله أحدًا، وإنما يحب فيه ولأجله، قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فقد أخبرنا الله ﷻ أن عباده المؤمنين أشد حبًّا له سبحانه وتعالى وعلامة حب العبد لربه: تقديم محابّه، وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه، وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله، ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله، واقتفاء أثره، وقبول هداه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝** ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، اللَّهُمَّ اهد شبابنا وشباب المسلمين، اللَّهُمَّ حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، الدعاء.

عباد الله. . .

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون. وأقم الصلاة.

❁❁❁❁❁

الخطبة الثالثة

الإخلاص طريق إلى الجنة

الحمد لله، يا رب، كيف أفتقر في غناك؟ وكيف أضل في هداك؟ وكيف أذل في عزك؟ وكيف أضام في سلطانك؟

أيدركني ضيم وأنت ذخيرتي ... وأظلم في الدنيا وأنت نصيري؟
أنا إن بكيت فلن ألام على البكا ... فلطالما استغرقت في العصيان
يا واحدًا في ملكه ما له ثان ... يا من إذا قلت: يا مولاي لباني
أنسى وتذكرني في كل نائبة ... فكيف أنساك يا من لست تنساني؟!

أحمدك وأستعينك، وأستهديك، وأتوب إليك وأستغفرك.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، من أراد مؤنسًا، فالله يكفيه، ومن أراد حجة فالقرآن يكفيه، ومن أراد الغنى فالقناعة تكفيه، ومن أراد واعظًا، فالموت يكفيه ومن لا يكفيه شيء من ذلك، فإن النار تكفيه.

قيل لسيدنا علي رضي الله عنه: صف لنا ربك، فقال: سبحان ربي لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس، فوق كل شيء، وليس تحته شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا محمدًا عبد الله ورسوله، إمام المخلصين، وخاتم النبيين، وشفيع المذنبين، وقائد الغرِّ المحجلين، يوم الدين.

سيدي يا رسول الله...

يا سيد العقلاء يا خير الورى ... يا من أتيت إلى الحياة مبشرًا
وبعثت بالقرآن فينا هاديًا ... وطلعت في الأكوان بدرًا نيرًا

صلى عليك الله يا علم الهدى، ما هبت النسائم، وما ناحت على الأيك الحمائم.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب الحبيب المصطفى ﷺ...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلًا، وأبشركم بحديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «**مَنْ غَدَا إِلَى الْـمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّـهُ لَهُ فِي الْـجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**»(١).

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم الذي جمعنا في هذا المسجد المبارك، وفي هذا اليوم المبارك أن يجمعنا يوم القيامة على حوض نبينا وحبيبنا محمد ﷺ لنشرب من يده الشريفة المباركة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا حتى ندخل جنة ربنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله...

هيا نواصل الحديث عن سلسلتنا المباركة «الطريق إلى الجنة» وطريق اليوم هو شرط في قبول الأعمال، لا يقبل عمل من الأعمال الصالحات إلا به، أتعرفون ما هو؟ إنه الإخلاص.

فما هو الإخلاص؟

الإخلاص هو مسك القلب، وماء حياته، ومدار الفلاح كله عليه.

إنَّ الذي يعمل بغير إخلاص، كالمسافر يملأ جرابه رملًا ينقله ولا ينفعه، ولهذا سيأتي أقوام يوم القيامة بأعمال كالجبال، لكنها لا تنفعهم لأنها فقدت أهم شروط قبولها، وهو الإخلاص، قال تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا** ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣].

---

(١) رواه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٤٦٧).

وقد جعل الله ﷻ الإخلاص عنوان هذه الأمة، وجعل ذلك علامة لها في طريق التوحيد، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ١٣٩ ﴾ [البقرة: ١٣٩].

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْـعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْـقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ: لأَنْ يُقَالَ: جَرِىءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْـعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْـقُرْآنَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْـعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْـقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْـعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْـقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْـمَالِ كُلِّهِ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِىَ فِى النَّارِ»(٢).

إذن الإخلاص هو سبب قبول الأعمال فهؤلاء الثلاثة عملوا أعمالًا صالحات لكنها خلت من الإخلاص فباءت بالخسران والهوان، حتى أن الملائكة الكرام يوم القيامة يرفعون عمل عبد من عباد الله عز و جل، فيستكثرونه ويزكونه حتى

---

(١) حسن: رواه النسائي وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٥٢).

(٢) رواه مسلم والنسائي وغيرهما.

ينتهوا به إلى حيث شاء الله ﷻ من سلطانه، فيأمرهم الله ﷻ أن يدخلوا العبد نار جهنم، فيعجبون، فيقول الله ﷻ لهم: إنكم حفظة على عمل عبدي، وأنا رقيب على ما في نفسه، إن عبدي هذا لم يخلص لي، إنه لم يرد بذلك وجهي، ولذلك يقول الله ﷻ في حديثه القدسي الجليل: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ**»(١).

عباد الله...

إن شأن الإخلاص مع العبادات، بل مع جميع الأعمال حتى المباحة لعجيب فبالإخلاص يعطي الله ﷻ على القليل الكثير، وبالرياء وترك الإخلاص لا يعطي الله ﷻ على الكثير شيئًا، ورب درهم سبق مائة ألف درهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمن فيه إخلاصه وعبوديته الله فيغفر الله له به كبائر الذنوب، كما في حديث البطاقة الطويل.

الإخلاص هو تخليص القلب من كل شوب يكدر صفاءه.

الإخلاص أن لا تطلب لعملك شاهدًا غير الله ﷻ، هو صدق نية العبد مع الله.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢].

قال: هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا عليّ ما أخلصه وأصوبه؟

قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا، لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، الخالص أن يكون لله، والصواب

---

(١) صحيح: «صحيح سنن ابن ماجه» (٤٢٠٢)، وأصله في صحيح مسلم بنحوه (٤/ ٢٩٨٥).

أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] [١].

قال مكحول: ما أخلص عبدٌ قط أربعين يومًا، إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه.

قلوب المخلصين لها عيون ... ترى ما لا يراه الناظرينا
وأجنحة تطير بغير ريش ... إلى ملكوت رب العالمينا
فتسقيها شراب الصدق صرفًا ... وتشرب من كئوس العارفينا

الإخلاص فرض واجب في حق كل مسلم ومسلمة، فقد أمرنا مولانا ﷻ أن نخلص له في العبادة، قال مولانا: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

بل أمر أحب الخلق إليه، وأقربهم منه سبحانه بأن يخلص العبادة لربه ومولاه، فقال له مخاطبًا: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ ﴾ [الزمر: ٢].

وأمرنا أننا إذا دعوناه، وتضرعنا إليه أن نكون مخلصين في الدعاء، قال رب الأرض والسماء: ﴿ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الأعراف: ٢٩].

أيها المسلمون . . عباد الله...

والإخلاص له ثمرات متعددة، وفضائل جمة، لا تحصى، ولا تستقصى، لأنه بالإخلاص ينجيك الله تبارك وتعالى من عدوك، بل من ألد أعدائك، أتعرف من هو عدوك اللدود منذ أن خلق الله آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؟

إنه الشيطان، إنه إبليس اللعين وجنوده، لما طلب من ربه ومولاه أن يعطيه

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٩٣) لابن القيم.

مهلة إلى يوم البعث، لما طلب أن ينظره أنظره، فماذا فعل؟ لقد أقسم بعزة الكبير المتعال أن يضلنا ويغوينا، ويوسوس لنا فقال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

لقد استثنى هذا النوع من الناس، وهم الذين أخلصوا لله في جميع أعمالهم الإخلاص يورثك نعيم الجنان، ويقربك من الرحيم الرحمن، قال الواحد الديان: ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الصافات: ٣٩ - ٤٦].

الإخلاص يطهر قلبك من الأمراض التي تحجبه عن ربه ومولاه، مثل الحقد والغل والخيانة، قال ﷺ: «ثَلاثٌ لاَ يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ: قَلْبُ مُسْلِمٍ إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومِ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»(١).

أي أن هذه الخصال الثلاثة التي أولها وأهمها الإخلاص، لو تمسك بها العبد، لطهر الله قلبه من الحقد والغل.

إذا أردتم أن ينصركم الله ﷻ على أعدائكم، ومن الأعداء غير إبليس الأعداء كثيرون، هناك أعداء في الظاهر، وأعداء في الباطن، أعداء الظاهر، هم اليهود، والكفرة الجاحدون، قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ [المائدة: ٨٢].

وهناك أربعة يوسوسون لك دون أن تراهم، كما قال أحد الصالحين:

إني ابتليت بأربع ما سلطوا ... إلا لشدة شقوتي وعنائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف الخلاص وكلهن أعدائي؟!

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه وأحمد والدارمي وابن حبان وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٧٦٦).

إذا أردتم أن تنصروا على جميع الأعداء، فعليكم بالإخلاص لله ﷻ، قال إمام المخلصين، وسيد المرسلين ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّـهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ، وَصَلاَتِهِمْ، وَإِخْلاَصِهِمْ»[١].

فأخلصوا العمل لله، تنالون الرفعة في دنياكم، والنعيم في أخراكم:

لعمرك إن المجد والفخر والعلا ... ونيل الأماني واكتساب الفضائل
لمن يخلص الأعمال لله وحده ... ويكثر من ذكر له في المنازل
وفي المساجد والأسواق يذكره ... يشغلهم بذكره في المحافل

عباد الله...

الإخلاص يجعل المسلم يفوز بثواب الله تعالى - أحيانًا - بغير عمل، كيف ذلك؟

كشخص مثلًا أراد أن يصلي صلاة الليل، ولم يهمل، وأخذ بالأسباب، ولكن غلبته عيناه، فقد حسب أجره عند الله ﷻ، وفاز بثوابه.

قال ﷺ: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ فَيُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ حَتَّى يُصْبِحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ»[٢].

وهذا بسبب إخلاص نيته لله ﷻ، وكذلك لو نوى الجهاد في سبيل الله، وكانت نيته صادقة مخلصة لله ﷻ، لكن حال بينه وبين الجهاد حائل، كعذر أو ضرورة، إلا كتب الله ﷻ له الثواب كما لو جاهد في سبيل الله، ما دليل ذلك؟ قول المعلم الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ لأصحابه الذين خرجوا معه في غزوة من الغزوات: «لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْـمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلاَ أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ وَلاَ

(١) صحيح: رواه النسائي في كتاب الجهاد (٣١٧٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢٣٨٨).
(٢) صحيح: رواه النسائي وابن ماجه وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٠١).

قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ إِلاَّ وَهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ فَقَالَ: «حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»[1].

وهكذا في سائر الأعمال، كالحج، فلله در من قال:

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد ... سرتم جسومًا وسرنا نحن أرواحًا

إنَّا أقمنا على عذر وعن قدر ... ومن أقام على عذر فقد راح

وقرأت في بعض الآثار، أن رجلًا من الصالحين من بني إسرائيل، سار يومًا في الصحراء، فوجد الرمال كثيرة، فتمنى بإخلاص من قلبه أن لو كانت هذه الرمال دقيقًا، فقال: يا رب، لو كانت هذه الرمال دقيقًا، لوزعتها على الفقراء والمساكين، فأوحى الله إلى نبي هذا الزمان، أن قل لهذا الرجل: إن الله كتب لك من الأجر والثواب، ما لو كان هذا الجبل دقيقًا ووزعته على الفقراء.

الله أكبر، لم كل هذا؟ لأن إخلاص النية لله ﷻ، هي التي حققت له هذا الثواب، وهذا الأجر العظيم، من الرب الجواد الكريم.

الله ﷻ يصرف عن عبده السوء والفحشاء إن كان من المخلصين، كما صرفه عن نبيه يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف: ٢٤].

فقد نجى الله يوسف عليه السلام بإخلاصه ومراقبته لله ﷻ، والإغراءات التي فعلتها امرأة العزيز لا يثبت أمامها إلا من ثبته الله ﷻ بالإخلاص.

اسمعوا هذه القصة العجيبة التي نجى الله ﷻ صاحبها بسبب تقواه وإخلاصه

قال أبو زرعة رحمه الله: رأيت امرأة في الطريق، فقالت لي: هل لك ثواب الله ﷻ وأجره رغبة؟ فقلت لها: لا أحب إليَّ من ذلك؟ فقالت: هلم يا سيدي لتعود مريضًا أشرف على الموت، وليس عنده أحد من الناس يكتب عنه وصيته، فتبعتها

(١) رواه مسلم (١٩١١) وغيره.

إلى منزلها، فلما دخلت معها الدار، أغلقت أبوابها، وتلفت في أنحاء الدار، فلم أجد أحدًا، وليس هناك مريض، ولا محتضر، فأدركت ما تريد المرأة مني، وعلمت أنها ما ساقتني هنا إلا لأفجر بها، فرفعت يدي إلى السماء، ودعوت الله قائلًا: اللَّهُمَّ إنك تعلم أني أخافك وأتقيك، وأخلص لك، فأنقذني من شرها، وسود وجهها، فلم أفرغ من دعائي حتى سوّد الله وجهها، ووقع الرعب في قلبها، فشغلت بنفسها عني، فتركتني وشأني، فلما خرجت ونجوت من شرها، دعوت الله لها فردّ عليها وجهها، كما كانت، وما ذاك إلا ببركة إخلاصه لله فطوبى للمخلصين، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا،وإذا حضروا، لم يعرفوا، أولئك هم مصابيح الدجى، تنجلي بهم كل فتنة ظلماء.

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»، ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، على ما منح من إفضاله الكامل الوافر، الخالق الرازق، الأول والآخر نحمده بجميع محامده على إفضاله وإنعامه المتواتر.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، شهادة تنجينا بها من النار وتدخلنا بها دار القرار.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وحبيبه من خلقه وخليله، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأطهار الأبرار.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

الإخلاص عمل من أعمال القلوب، لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان

فيفسده وقد أفلح من أخلص قلبه لله، وجعل لسانه صادقًا، ويده طاهرة، ونفسه مطمئنة، ومن فارق الدنيا على الإخلاص لله عز وجل، فارقها والله عنه راض.

روى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري رحمه الله قال: قال رجل: والله لأعبدن الله عز وجل عبادة أُذكر بها، فكان لا يُرى في حين صلاة إلا قائمًا يصلي، وكان أول داخل إلى المسجد، وآخر خارج منه، وكان لا يُعظم - أي لا يبالي به أحد من الناس - فمكث بذلك سبعة أشهر، وكان لا يمر على قوم إلا قالوا: انظروا إلى هذا المرائي، فأقبل على نفسه، فقال: لا أراني أذكر إلا بشر، لأجعلن عملي كله لله عز وجل، فلم يزد على أن قلب نيته، ولم يزد على العمل الذي كان يعمله، فكان يمر بالقوم - أي الذين كانوا يسخرون منه - فيقولون: رحم الله فلانًا الآن، فتلا الحسن رحمه الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ [مريم: ٩٦] (١).

ما فعل شيئًا غير أنه غيَّر النية إلى الإخلاص لله ولذا يقول هرم بن حيان رحمه الله: ما أقبل عبدٌ بقلبه إلى الله - أي بالإخلاص والتقوى - إلا أقبل الله عز وجل بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

عباد الله ...

ما أعظم الإخلاص في الأقوال والأفعال، وما أعظم مكانة المخلصين عند الله رب العالمين قالوا: إن كسرى (أنو شروان) خرج للنزهة في يوم من الأيام، فأدركه العطش فوجد بستانًا، فمال إليه، وسأل صاحبه أن يسقيه ماءً، فقال له البستاني: ليس عندي ماء، فهل أحضر لك شيئًا من الرمان، فقال له: أرني رمانك، فوجده أحلى مما كان يعهده في بستانه، فعزم في نفسه على أن يأخذه ظلمًا من صاحبه، وطلب من البستاني رمانة أخرى، ليتأكد من حلاوة هذا الصنف فلم تكن من الحلاوة كالرمان السابق، فقال له كسرى: أليست هذه الرمانة من الشجرة التي أحضرت منها الرمان السابق؟

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٥) باختصار.

قال: نعم، هو من الشجرة بعينها، قال له: فلماذا لم أجدها حلوة كأخواتها؟

فقال البستاني - وكان من الصالحين -: لعلك غيّرت نيتك يا سيدي، وعزمت علي شيء من الظلم، فتغير طعمها تبعًا لتغير نيتك.

فقال في نفسه: لقد صدق الرجل، ثم عزم في نفسه على البعد عن الظلم، وعدم أخذ البستان من صاحبه ظلمًا، فطلب رمانة أخرى، فوجدها أحلى من الأولى.

فقال للبستاني: أهي من الشجرة ذاتها؟

قال: نعم، قال: إنها أحلى من الأولى.

قال: لأنك أصلحت نيتك، فأصلح الله لك الرمان[1].

فاعلموا جماعة المسلمين أن الله ﷻ مطلع على قلوبكم، ومحيط بسركم وجهركم خبير بظاهركم وباطنكم، فلا تقصدوا بأعمالكم غيره، لأنه ولي نعمتكم، وهو خالقكم ورازقكم، واحذروا من الرياء، فإنه محبط للأعمال، وهو الشرك الخفي الذي يمقت الله عليه، ويفضح صاحبه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، ويجعل صاحبه يندم ويتحسر، حيث لا ينفع الندم، ويتحسر حيث لا تنفع الحسرة ويطلب الرجعة إلى الدنيا، فلا يجد إليها سبيلًا.

فعن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**». قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟**»[2].

---

(١) «سمير الصالحين وأنيس المتقين» (١/ ٨٢) ط - دار التأليف.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والبيهقي في «شعبه» والبغوي في «شرح السنة» وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٥١).

يقال لهم ذلك، لأن عملهم كان في الدنيا على وجه الرياء والخداع، فيعاملون في الآخرة على وجه الخداع.

اللَّهُمَّ اكتبنا عندك من المخلصين، واجزنا جزاء المخلصين، واجعل أعمالنا خالصة لوجهك، وأكرمنا بكرمك وعفوك.

اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك من الشرك الأصغر، نعوذ بك من الرياء والسمعة، اللَّهُمَّ أيقظنا من الغفلات، ووفقنا لعمل الصالحات، وارزقنا الإخلاص في الأقوال والأفعال والنيات.

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات.

اللَّهُمَّ انصر الإسلام والمسلمين، ووفق ولاة الأمور إلى ما تحبه وترضاه بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله يذكركم، وأقم الصلاة.

۞۞۞۞۞

الخطبة الرابعة

الخوف من الله عاقبته الجنة

الحمد لله، الذي تفرد بالعز والكبرياء، والقدم والبقاء، الذي سبح بحمده الرعد والمطر، والنجم والشجر، والجن والبشر، والشمس والقمر سبحانه، سبحانه كيف لا تنفطر قلوب المحبين شوقًا إلى لقائه، وتدهش الألباب خوفًا من بعاده؟ أم كيف تستقر الأرواح، وقد دعاها إلى المقام الأعلى والحظ الأوفى؟.

لا راحة للقلوب إلا بذكره وثنائه، ولا نعيم إلا على بساط رضوانه.

أحمده حمد من خاف منه، وأناب إليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، سبح بحمده كل ناطق وصامت،

الله ربي لا أريـــد ســـواه ... هـــل في الوجـــود حقـــيقة إلاه

الطـير سـبحه والـوحش مجـده ... والمـوج كـبره والحـوت ناجـه

والـنمل تحـت الـصخور قدسـه ... والـنحل يهـتف حمـدًا في خلايـاه

والـناس يعـصونه جهرًا فيسترهم ... والعـبد ينـسى وربي لـيس ينـساه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا، محمدًا رسول الله، أعلاهم عند الله منزلة، وأعظمهم عند الله جاهًا، بعثه للإيمان، مناديًا، وفي مرضاته ساعيًا، وبالمعروف آمرًا، وعن المنكر ناهيًا، بلغ رسالة ربه وصدع بأمره، وتحمل ما لم يتحمله بشر سواه، وقام لله بالصبر حتى بلغه رضاه، دعانا إلى الجنة، وأرشدنا إلى اتباع السنة صلِّ اللَّهُمَّ وسلم على آله وصحبه وأزواجه أمهات المؤمنين وذرياته الأخيار الطاهرين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلًا، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، كما جمعنا في هذا اللقاء الطيب المبارك، أن يجمعنا مع حبيب قلوبنا، ونور أبصارنا، سيدنا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

فهذا هو اللقاء الرابع من لقاءاتنا المباركة [**الطريق إلى الجنة**]. وطريقنا اليوم هو «**الخوف من الله**».

وهذا الطريق يدلنا عليه رب العزة والجلال في قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١** ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

وقوله تعالى: ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦** ﴾ [الرحمن: ٤٦].

فهذه الآية عامة، كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فمن خاف مقام ربه، ولم يطغ، ولا آثر الدنيا، وعلم أن الآخرة هي خير وأبقى، فأدى فرائض الله، واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان[1]، كما قال البخاري رحمه الله وقد قال صلوات ربي وسلامه عليه: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ، فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»[2].

وقال النبي ﷺ: «**عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ**»[3].

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه وغيرهم.

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٢٢٩)، و«صحيح الجامع» رقم (٤١١٣).

فالخوف من الله هو سمة المؤمنين، وآية المتقين، وديدن العارفين.

الخوف من الله طريق للأمن في الآخرة، وسبب للسعادة في الدارين.

الخوف من الله هو سوط يقوِّم به الشاردين عن بابه، ويرد به الآبقين إلى رحابه.

الخوف من الله دليل على كمال الإيمان، وحسن الإسلام، وصفاء القلب، وطهارة النفس، الخوف من الله أصل كل خير في الدنيا والآخرة، وكل قلب ليس فيه خوف من الله فهو قلب خرب.

إذا سكن الخوف من الله في القلب، أحرق موضع الشهوات فيه، وطرد بهرج الدنيا عنه.

الخوف من الله ﷻ هو الذي منع ابن آدم أن يقتل أخاه، عندما همَّ أن يقتله، ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المائدة: ٢٨].

أحبتي في الله...

نود أن نعيش مع الخوف من الله ﷻ أتدرون لماذا؟ لأن بيوتنا ومجتمعاتنا قد امتلأت بالمعاصي، وامتلأت العقول بالشبهات، والنفوس بالشهوات، نرى المعاصي جهارًا، ونسمع بها، وقل من ينكرها، يؤكل الحرام، ويتكالب عليه، وكأنه حلال، نجالس أصحاب المعاصي، ويؤاكل ويشارب مرتكب الكبائر دون إنكار.

نتكلم اليوم، ونتحدث عن الخوف، وقد أجدبت منه القلوب، واسودت وأظلمت وقست، وتحجرت فهي كالحجارة أو أشد قسوة.

أصبحت القلوب لم تعد تهزها الموعظة، أو تنفعها الذكرى إلا من رحم ربي فقد أمرنا الله ﷻ بالخوف منه، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فالله ﷻ يريد لعباده أن يعرفوه ويخشوه ويخافوه، وقد وصف الله ﷻ لعباده المؤمنين الأدلة الساطعة، والبراهين القاطعة، التي تدل على عظمته وهيبته وجلالته، ليهابوه ويخافوه ويجلوه، ووصف له في قرآنه شدة عذابه وقوة بطشه، وسرعة أخذه، ووصف لهم دار عقابه وعذابه، وما أعده من العذاب والنكال لمن عصاه، فذكر النار وأهوالها، وما فيها من الزقوم والضريع، والحميم والسلاسل، والأغلال والأهوال.

ووصف لهم اليوم الآخر وروعته وفظاعته، وخوفنا منه، قال مولانا سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان: ٣٣].

أيها المسلمون . . عباد الله...

وقد أعلمنا ربنا تبارك وتعالى أن القرآن الكريم، بمواعظه البالغة، وحكمته النافعة، لا تظهر ثمرتها، ولا تبدو بركتها إلا لمن خاف من ربه، وخشي منه، قال سبحانه: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ﴾ [الأنعام: ٥١]، من؟ من هم الذين يستجيبون؟

﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقال: ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ [طه: ١، ٢].

وقال: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥].

فالذي يخاف مولاه يتعظ ويتذكر، ويكون عنده اعتبار وخشوع، ولذلك كان لسان حال الأنبياء عليهم السلام: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام: ١٥]، والمؤمنون الصادقون هم، ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور: ٣٧].

وهم الذين ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦].

ومن أعظم صفاتهم، أنهم: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧ - ١٠].

فكانت النتيجة المبهجة، والثمرة المباركة، ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝ ﴾ [الإنسان: ١١، ١٢].

إنهم الذين قالت السيدة عائشة فيهم لرسول الله ﷺ يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝ ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

قالت: أهو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله ﷻ؟ قال: **لاَ يا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُ**»[١].

عباد الله...

الخوف من الله ﷻ من أعظم العبادات التي يتعبد بها أهل الإيمان بالله.

قال وهب بن منبه رحمه الله: ما عبد الله تعالى بمثل الخوف.

الخوف شجرة طيبة، إذا ثبت أصلها في القلب، امتدت فروعها إلى الجوارح فآتت أكلها، بإذن ربها، وأثمرت عملًا صالحًا، وقولًا رابحًا، وسلوكًا قويمًا، وفعلًا كريمًا، تخشع الجوارح، وينكسر القلب، ويرق الفؤاد، وتزكو النفس، وتجود العين.

إنَّ الخوف سمة لأولي الألباب، الذين وصفهم الله ﷻ في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝ ﴾ [الرعد: ٢٠، ٢١].

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٢)، و«صحيح سنن الترمذي» (٣١٧٥).

خوف الله ﷻ هو الذي حجب قلوب الخائفين عن زهرة الدنيا، وعوارض الشبهات، وإذا خاف المرء ربه، أخاف الله منه كل شيء، وإن لم يخف ربه، أخافه من كل شيء.

أيها المسلمون . . عباد الله...

للخوف من الله ﷻ ثمرات عظيمة يجنيها المسلم في دنياه وفي أخراه إن الخوف يمنعه من الذنب، ويعصمه من الخطأ، ويحفظه من الزلل، ويبعده عن الخلل، ويحفز النفس، ويوقظ الضمير، ويحثه على الاجتهاد، وأنى لقلب لم يزرع فيه خوف الله، والهيبة لجلاله، والوجل من بطشه، والإشفاق من وعيده، كيف له أن يعمر بالطاعة، ويتجافى عن المعصية، ويتنكر للخطيئة، ويستوحش من الذنب؟!

الخوف من الله سبب عظيم، من أسباب التمكين في الأرض، وزيادة الإيمان والطمأنينة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

الخوف من الله يجعل صاحبه في ظل عرش الرحمن، يوم لا ظل إلا ظله، فقد ذكر حبيبنا ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله: «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّى أَخَافُ اللَّـهَ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّـهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(١).

والخشية موجبة لدمع العين تمنع عنها النار.

قال ﷺ: «**لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ، حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِى الضَّرْعِ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح ورواه النسائي، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في «الترغيب» (٣٣٢٤).

وأنى للبن أن يعود إلى الضرع.

و قال ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(١).

الخوف من الله ﷻ سبب من أسباب المغفرة من الرب الغفور، جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالًا فَقَالَ لِبَنِيهِ لَـمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ.

قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ. فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ على ما صنعت؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ يا رب. فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ»(٢).

وفي رواية: «إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ».

وفي رواية: «نصفي في البحر، ونصفي في البر - فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا فلما مات فعلوا به ذلك، فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر أن يجمع ما فيه»(٣).

عباد الله...

الخوف من الله ﷻ طريق عظيم من طرق الجنة، كما ذكرنا في بداية خطبتنا - يقول أستاذنا ﷺ -: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْـمَنْزِلَ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْـجَنَّةُ»(٤).

---

(١) حسن: رواه الترمذي، وقال: حديث حسن وحسنه الألباني في «الترغيب» (٣٣٢٧).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي ومالك في «الموطأ».

(٤) صحيح: رواه الترمذي والحاكم، وصححه الألباني في «الصحيحة»، وفي «صحيح الجامع» (٦٢٢٣).

قال الطيبي رحمه الله: هذا مثل ضربه النبي ﷺ لسالك الآخرة، فإن الشيطان على طريقه، والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه، فإن تيقظ في مسيره، وأخلص النية في عمله أمن من الشيطان وكيده، ومن قطع الطريق بأعوانه ثم أرشد إلى أن سلوك طريق الآخرة صعب، وتحصيله متعسر لا يحصل بأدنى سعي [1].

الخوف من الله عز وجل يؤمن صاحبه يوم القيامة، فلا يجمع الله عز وجل عليه خوف في الدنيا، وخوف في الآخرة، قال ﷺ: **«وَعِزَّتِي لاَ أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»** [2].

الخوف من الله عز وجل سبب للنجاة من كل سوء، قال ﷺ: **«ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وَثَلاثٌ مُنَجِّيَاتٍ، وَأَمَّا الْمُنَجِّيَاتُ: فَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ، وَالرِّضَى، وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ»** [3].

فهي المنجيات تنجيه في دنياه، وفي أخراه.

عباد الله...

الخوف دليل لصاحبه على كل خير، كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «من خاف الله، دله الخوف على كل خير. وقال حاتم الأصم: لكل شيء زينة، وزينة العبادة، الخوف».

فهل من خائف؟ هل من مشمر؟ هل من سائر إلى الله؟

إنَّ أصحاب الخوف من الله عز وجل إذا أمنهم الله تعالى وأدخلهم الجنة يتذاكرون

---

(١) تحفة الأحوذي (٦/ ٢٤٢).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٣٧٦)، و«صحيح الجامع» (٤٣٣٢).

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٤٥).

حالهم في الدنيا، وما كانوا عليه من الخوف، ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝ ﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٧].

كانوا مشفقين، كانوا خائفين، كانوا وجلين بقلوبهم ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٣٥]، إذا سمعوا كلام ربهم بكوا واقشعرت أبدانهم، ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣].

عباد الله...

هل حاسبتم أنفسكم قبل أن تحاسبوا؟

كم مرة دمعت أعينكم من خشية الله ؟.

هل تحركت قلوبكم عندما قرعها القرآن بوعيده؟

هل تحركت قلوبكم إذا رأيتم القبور ووحشتها وسكونها؟

هل تحركت قلوبكم إذا تذكرتم النار ووعيدها ولهيبها؟

هل تذكرتم الموت وكربته؟ هل تذكرتم الحشر وشدته؟

والصراط وفظاعته؟!

يا آمنًا مع قبح الفعل منه ... أتاك توقيع أمن أنت تملكه
جمعت شيئين أمنًا واتباع ... هذا وإحداهما في المرء تهلكه
والمحسنون على درب الخوف قد ساروا ... وذلك درب لست تسلكه
فرطت في الزرع وقت البذر من سفه ... فكيف عند حصاد الناس تدركه
هذا وأعجب شيء زهدك في ... دار البقاء يعيش سوف تدركه

قال الحسن البصري رحمه الله: لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أن أحدهم أنفق عدد الحصى لخشي أن لا ينجو من عظم يوم القيامة.

و قال ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلاَ مِثْلَ الْـجَنَّةِ، نَامَ طَالِبُهَا»[1].

عباد الله...

البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان أو كما قال: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»[2]. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الذي رضي لنا الإسلام دينًا، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وأمرنا بالتمسك بهذا الدين، والثبات عليه، حتى الممات، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الحمد في الآخرة والأولى وله الحكم وإليه ترجعون، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله ربه رحمة للعالمين، وجعله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أحبتي في الله...

إن الخوف من الله ﷻ وخشيته ملكت قلوب العارفين، واستحوذ على أفئدة الصادقين، اسمعوا إلى أحوال الخائفين من الله رب العالمين.

---

(١) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٦٦٢)، و«صحيح الجامع» (٥٦٢٢).

(٢) تخرج قبل ذلك.

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إنّ التشبه بالكرام فلاح.

فهذا إمام الخائفين، وسيد الوجلين، خاتم النبيين، ورسول رب العالمين ﷺ يقول عن نفسه: «**إِنِّي لأَتْقَاكُمْ لِلَّـهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ**»(١).

وكان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فيقال له: لم تفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: «**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!**»(٢).

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول له يومًا: لقد شبت يا رسول الله! قال: «**شَيَّبَتْنِى هُودٌ، وَالْـوَاقِعَةُ، وَالْـمُرْسَلاَتُ، وَ (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ)، وَ (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)**»(٣).

وعند الترمذي من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا**»(٤).

وعبد الله بن الشخير بن عوف رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرّحص من البكاء(٥).

صلى الله عليك وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله، وكذلك كان إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وتخرج في جامعته الصحابة الكرام، فهذا صديق الأمة رضي الله عنه أفضل رجل في الأمة بعد رسول الله ﷺ نظر يومًا إلى طير وقع على شجرة، فقال: ما أنعمك

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري وغيره.

(٣) صحيح: رواه الترمذي والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٢٣).

(٤) صحيح: رواه الطبراني وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٢٠)، و«السلسلة الصحيحة» (٩٥٥).

(٥) حسن: رواه أبو داود والنسائي، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي.

يا طير، تأكل وتشرب، وليس عليك حساب وتطير، ليتني مثلك، وكان يمسك لسانه، ويقول له مخاطبًا إياه: «هذا هو الذي أوردني الموارد».

وهذا هو فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرجل الثاني بعد أبي بكر قال لابنه عبد الله وهو على فراش الموت: «ويحك، ضع خدي على الأرض عساه أن يرحمني»، وكان يقول: ويل أمي إن لم يغفر لي، ثلاثًا.

وأخذ مرة تبنةً من الأرض، فقال: يا ليتني هذه التبنة، ليتني لم أكُ شيئًا، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسيًا منسيًا.

وكان يمر بالآية من ورده بالليل فيمرض، حتى يعوده الصحابة شهرًا، وكان في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء من خشية الله عز وجل.

فقولوا لي بربكم: كيف تحفر الدموع مجرى في اللحم؟!

وهذا هو الحييُّ الكريم عثمان بن عفان رضي الله عنه كان هو الآخر من أشد الناس خوفًا من الله عز وجل، كان إذا وقف على قبر يبكي بكاء شديدًا، حتى تبتل لحيته الشريفة ويقول: لو أنني بين الجنة والنار، لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رمادًا، قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أشد الناس خشية وخوفًا من الله عز وجل، يقول ابن عباس رضي الله عنهما كان أسفل عينيه مثل الشراك البالي من البكاء[1].

وهذا أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يقول عن نفسه: وددت أني كنت كبشًا، فيذبحني أهلي، فيأكلون لحمي، ويشربون مرقي[2].

وهذا صحابي آخر إنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: والله الذي لا إله

---

(١) «سير أعلام النبلاء» وطبقات ابن سعد.

(٢) المرجع السابق (١/ ١٨)، والطبقات (١/ ٣٠١).

غيره، لوددت أني أنقلب روثة، وأني دعيت عبد الله بن روثة، وأن الله غفر لي ذنبًا واحدًا [١].

أحبتي في الله...

والتابعون على مثل هذا الدرب ساروا، فهذا هو الربيع بن خيثم رحمه الله تقول له ابنته: يا أبتاه، إني أرى الناس ينامون، وأنت لا تنام؟ فيقول:

يا بنية، كيف ينام من يخاف البيات؟![٢].

ورأت أمه ما يلاقي من السهر والبكاء، فنادته، وقالت: يا بني، لعلك قتلت قتيلًا؟ فقال: نعم، فقالت: ومن هذا القتيل يا بني، فنتحمل على أهله فيعفون عنك، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لرحموك، فيقول لوالدته: هي نفسي [٣].

وهذا هو سفيان الثوري رحمه الله يقول عنه عطاء الخفاف: ما لقيت الثوري إلا باكيًا، فقلت: ما شأنك؟ قال: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيًا.

وكان رضي الله عنه يقول: لقد خفت الله خوفًا، وددت أنه خفف عني [٤].

وسأله رجل: يا أبا عبد الله، أتبكي من كثرة الذنوب؟!

فقال له: والله لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت.

فيا من معاصيه أكثر من أن تحصى، يا من رضي أن يطرد ويقصى، إن كان قد أصابك داء داود، فنح نوح نوح، تحيا بحياة يحيى، من لم يكن له مثل تقواهم، لم

(١) حسن: رواه البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في «الحلية» وأحمد في «الزهد».
(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ١١٤).
(٣) المرجع السابق، والمعرفة والتاريخ للفسوي (٢/ ٥٧٠).
(٤) الشعب للبيهقي.

يعلم ما الذي أبكاهم، ومن لم يشاهد جمال يوسف، لم يعلم ما الذي آلم قلب يعقوب.

فيا قاسي القلب، هلاَّ بكيت على قسوتك، ويا غافلًا بانشغال الهوى هلاَّ ندمت على غفلتك، ويا مقبلًا على الدنيا، فكأنك في حفرتك، ويا دائم المعاصي، خف من غب معصيتك، ويا سيئ الأعمال نح على خطيئتك.

ولله در أقوام أطار ذكر النار عنهم النوم، وطال اشتياقهم إلى الجنان والصوم، فنحلت أجسادهم، وتغيرت ألوانهم، دخلوا أسواق الدنيا فما تعرضوا لشراء ولا سوم، تركوا الخوض في بحارها والعوم، جدوا في الطاعة بالصلاة والصوم.

فهل عندكم شيء من صفاتهم يا قوم؟!

نسأل الله ﷻ أن يقوي إيماننا به، وأن يزيد يقيننا فيه.

اللَّهُمَّ اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا.

اللَّهُمَّ اجعلنا مكثرين لذكرك مؤدين لحقك حافظين لأجرك راجين لوعدك راضين في جميع حالاتنا عنك.

راغبين في كل أمورنا إليك مؤملين لفضلك شاكرين لنعمك.

يا من يحب العفو والإحسان، ويأمر بهما اعف عنا، وأحسن إلينا.

فإنك بالذي أنت له أهل من عفوك أحق منا بالذي نحن له أهل من عقوبتك.

اللَّهُمَّ ثبت رجاءك في قلوبنا، واقطعه عمن سواك، حتى لا نرجو غيرك ولا نستعين إلا بك، يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ هب لنا اليقين والعافية، وإخلاص التوكل عليك، والاستغناء عن خلقك. واجعل خير أعمالنا ما قارب آجالنا.

اللَّهُمَّ أعنا بها وفقتنا من العلم، وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجملنا بالعافية.

اللَّهُمَّ افتح مسامع قلوبنا لذكرك وارزقنا طاعتك وطاعة رسولك ووفقنا للعمل بكتابك وسنة رسولك.

اللَّهُمَّ إنا نسألك الهدى، والتقى والعافية والغنى، ونعوذ بك من درك الشقاء، ومن جهد البلاء ومن سوء القضاء ومن شماتة الأعداء.

اللَّهُمَّ لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره، أهل الحمد والثناء أنت، لا إله إلا أنت سبحانك إنك على كل شيء قدير.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم.

وأقم الصلاة.



الخطبة الخامسة

الصلاة طريق إلى الجنة

الحمد لله رب العالمين، اللَّهُمَّ لك الحمد حمدًا يكون أرضى الحمد لك، وأحب الحمد إليك، وأفضل الحمد عندك، حمدًا يملأ ما خلقت، ويبلغ ما أردت حمدًا لا يحجب عنك، ولا يقصر دونك، حمدًا لا ينقطع عدده، ولا يفنى مدده.

سبحانك، لسنا نعلم كنه عظمتك، إلا أنا نعلم أنك حيٌّ قيوم، لا تأخذك سنة ولا نوم، لم ينته إليك نظر، ولم يدركك بصر، أدركت الأبصار، وأحصيت الأعمار، وبيدك الليل والنهار.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كريم من توسل إليه بطاعته ، تفضل عليه بنعمته، من أطاعه أكرمه، وإن أساء رحمه وأمهله، وإن تاب شكره، وإن عصى سترهُ، عزيز شهد بجلاله جميع أفعاله، ونطق بجماله أفضاله.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا، وأستاذنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله وأمينه على وحيه، أشرف من وطئ الحصا بنعله، بلغ عن الله رسالته، ونصح له في برياته، وجاهد في الله حق الجهاد، حتى أتاه اليقين ففتح الله به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وهدى الله به بعد الضلالة، وعلم به بعد الجهالة، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم الغالبون.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

طبتم جميعًا وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلًا، وأسأل الله الذي جمعنا في

هذا اليوم المبارك، وفي هذا المسجد المبارك، أن يجمعنا مع حبيبنا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله...

نحن اليوم على موعد بلقاء، ولقاؤنا اليوم هو اللقاء الخامس، لكي نتابع سلسلتنا الطيبة «**الطريق إلى الجنة**» وطريق الجنة اليوم أتدرون ما هو؟

إنه عبادة من أعظم العبادات، عبادة من حافظ عليها، كان من السعداء الرابحين، ومن أضاعها، كان من الأشقياء الخاسرين.

طريق الجنة اليوم، عبادة هي جوهر الإسلام، وهي الفرقان بين الكفر والإيمان هي عماد الدين، ورأس القربات، وأصل الطاعات، ومبعث الخيرات وطهارة الأبدان، وطهارة للقلوب من الأدران، إنها الشعار الفاصل بين المسلم والكافر، أعلمتم ما هي تلك العبادة؟ **إنها فريضة الصلاة.**

وهي طريقنا اليوم إلى جنة الله رب العالمين بنص حديث النبي الأمين، خاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين يقول فيما رواه أحمد في مسنده وغيره من حديث حنظلة الكاتب رضي الله عنه: يقول **«مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْـخَمْسِ، رُكُوعِهِنَّ، وَسُجُودِهِنَّ، وَوُضُوئِهِنَّ، وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَعَلِمَ أَنَّهُنَّ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّـهِ، دَخَلَ الْـجَنَّةَ»**.

أو قال: **«وَجَبَتْ لَهُ الْـجَنَّةُ»**. أو قال: **«حُرِّمَ عَلَى النَّارِ»**.

وحديث عثمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من علم أن الصلاة حق مكتوب واجب، دخل الجنة»**.

ورب العزة والجلال يخاطب حبيبه ومصطفاه ﷺ في حديث قدسي جليل يقول له فيه: **«افْتَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَعَهِدْتُ عِنْدِي عَهْدًا أَنَّهُ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ لِوَقْتِهِنَّ أَدْخَلْتُهُ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ، فَلاَ عَهْدَ لَهُ عِنْدِي»**[1].

(١) حسن: رواه ابن ماجه (١٤٠٣)، وأبو داود (٤٥٥)، الألباني، و«الصحيحة» (٤٠٣٣).

وفي حديث أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ**». وذكر منها: «**مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وُضُوئِهِنَّ، ورُكُوعِهِنَّ، وَسُجُودِهِنَّ، وَمَوَاقِيتِهِنَّ**»[(١)].

وفي حديث معدان بن أبي طلحة ﷺ قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني بعمل أعمله، يدخلني الله به الجنة، فسكت، ثم سألته فسكت، ثم سألته الثالثة، فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلاَّ رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**»[(٢)].

وفي حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ، لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ، فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ**»[(٣)].

أبعد هذا الجزاء جزاء؟ أبعد أن يرضى عليك مولاك، فيغفر لك الذنوب والسيئات، ويعفو لك عن الزلات، ويدخلك جنات تجري من تحتها الأنهار جزاء؟

عباد الله...

الصلاة هي باب الرحمة، وطلب الهداية، هي اطمئنان لقلوب المذنبين والبؤساء هي معقل المسلم ومفزعه، هي ميراث النبوة، إنها تشتمل على أسمى

---

(١) حسن: رواه الطبراني وحسنه الألباني، وأبو داود (٤٢٩)، وصحيح الترغيب (٣٦٩).

(٢) رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٣) صحيح: مالك وابن حبان والنسائي وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٧٠)، و«صحيح الجامع» (٣٢٤٣).

معاني العبودية، والالتجاء إلى الله تعالى، والاستعانة به، والتفويض إليه.

هي قرة عين النبي ﷺ.

فقد كان يقول: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِيَ فِي الصَّلَاةِ»(١).

وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، كما جاء في حديث النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ»(٢).

وفي رواية عند الطبراني بإسناد صحيح: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت، صلح سائر عمله، وإن فسدت، فسد سائر عمله»(٣).

الصلاة تطهر العبد من الذنوب والأوزار، قال سيد الأبرار، والنبي المختار ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟». قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا، ويغفر السيئات»(٤).

الصلاة فيها كل الفضائل، ولله در من قال:

ألا إن في الصلاة الخير والفضل ... لأن بها الأرقاب لله تخضع
وأول فرض في شريعة ديننا ... وآخر ما يبقى إذ الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة ... وكان كعبد لباب مولاه يقرع
وكان لرب العرش حين صلاته ... نجيًا فطوبى له حين يخشع

---

(١) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في «صحيحه» (٣٠٩٨).
(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٧٦).
(٣) صحيح: رواه الطبراني بإسناد صحيح.
(٤) رواه البخاري وغيره.

واستمعوا إلى هذا الحديث الطيب الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تحترقون تحترقون** - أي بالذنوب - **فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم المغرب غسلتها ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا**»[(١)].

بل إنَّ الكريم الوهاب رب العزة والجلال سخر لنا ملكًا ينادي علينا لأجل الصلاة لنقوم بأدائها، فماذا يقول الملك؟ روى الطبراني في الأوسط والصغير بسند حسن من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ لله ملكًا ينادي عند كل صلاة: يا بني آدم، قوموا إلى نيرانكم، التي أوقدتموها** - أي بعمل المعاصي وارتكاب الذنوب - **فأطفئوها**»[(٢)].

إنها نيران الذنوب والآثام، نيران الخطايا والسيئات، والصلاة كالماء الذي يطفئ هذه النار.

عباد الله...

الصلاة لو لم تكن رأس العبادات، لعدت من صالح العادات، رياضة أبدان، وطهارة أدران، وتهذيب وجدان، وشتى فضائل يشب عليها الجواري والولدان، أصحابها هم الصابرون والمثابرون، وعلى الواجب قادرون، عودتهم البكور، وهو مفتاح باب الرزق، وخير ما يعالج به العبد مناجاة الرزاق، وأفضل ما يريد به المخلوق التوجه إلى الخالق.

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الصغير و«الأوسط» وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٣٥٧).

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» والصغير، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٣٥٨).

انظر جلال الجمع، وتأمل أثرها في المجتمع، وكيف سادت العلية بالزمع، مست الأرض الجباه، فالناس أكفاء وأشباه، الرعية والولاة، شرعوا في عتبة الله.

إنَّ المسلم يدخل في الصلاة فينسى هموم الدنيا، وينشغل عن متاعبها، إنه يفرغ قلبه لمناجاة ربه، فلا يبقى فيه مكان لهموم الدنيا ومشاغلها.

إن المصلي واقف بين يدي الله عز وجل، مناج له، فإذا فرغ قلبه لمناجاته وأدى حق صلاته، وأكمل خشوعها، وقد امتلأ قلبه محبة لله وتعظيمًا وإجلالًا، فإنه إذا انصرف من صلاته، وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه، فوجد نشاطًا وراحة وروحًا، حتى يتمنى أنه لم يكن قد خرج منها، لأنها قرة عينه، ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن ضيق، حتى يدخل فيها، فيستريح بها، لا منها، ولذلك كان القائد الأعظم ﷺ يقول لبلال: **«يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا»**(١).

أيها المسلمون . . عباد الله...

الصلاة هي الباب الذي تثبت فيه شكواك وهمك، إذا أحاطت بك الخطوب، فخانك الصديق، وانقلب الحبيب عدوًّا، وعقك الولد، وأنكرت جميلك الزوجة، فما لك في الأمر غير الله، توجه إليه، إذا ضاقت عليك الدنيا، فقل: يا الله.

إذا ادلهمت الخطوب، فقل: يا الله.

إذا مرضت، فقل: يا الله.

إذا رقدت على فراش الموت، فقل: يا الله.

لذا كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة.

الصلاة أخي الحبيب أمانة عندك، إذا ضيعتها، ضيعك الله، وإذا حفظتها حفظك الله عز وجل.

---

(١) صحيح: «صحيح سنن أبي داود» برقم (٤٩٨٥)، و«صحيح الجامع» للألباني (٧٨٩٢).

ورد أن أعرابيًّا جاء إلى المدينة، وهو يركب ناقته، فلما وصل إلى المسجد، وجد الصلاة قد أقيمت، فنزل، ودخل المسجد، وصلى مع القوم بالسكينة والوقار والتعظيم لله ﷻ، فلما خرج، لم يجد ناقته، فرفع يده، وقال: اللَّهُمَّ إني أديت إليك أمانتك، فاردد إليَّ أمانتي، فجاءته الناقة تسعى إليه، وهي دليل على حب العبد لربه، وتنشئ حبًّا من الله ﷻ لعبده، أما أنها دليل حب، فهذه رابعة العدوية - رحمها الله تعالى - تناجي رب العزة في وقت السحر، فتقول: إلهي، غارت النجوم، ونامت العيون، وأنت الحي القيوم.

إلهي، لقد خلا كل حبيب بحبيبه، وأنت حبيب المستأنسين، وأنيس المستوحشين، إلهي، إن طردتني عن بابك، فباب من أرتجي؟ وإن قطعتني عن خدمتك، فخدمة من أرتجي؟!

وأما أنها تنشئ حبًّا، فلقول الرب جل في علاه في الحديث القدسي الجليل: **«وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِى لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ»** (١).

الصلاة مفتاح الرزق، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢].

جاء رجل إلى التابعي الكبير ثابت البناني رحمه الله إنه يريد أن يستعين به على قضاء حاجة من الحاجات يريدها من بعض الكبراء، فمضى معه ثابت، فجعل لا يمر بمسجد إلا نزل، فصلى ركعتين، حتى وصل إلى الرجل، فكلمه في الحاجة فقضاها من فوره، فالتفت ثابت إلى صاحبه، فقال له: لعله شق عليك وقوفي عند

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

كل مسجد وصلاتي؟ قال: نعم، قال: ما صليت صلاة، إلا طلبت إلى الله تعالى أن يقضي حاجتك، وها هي قد قضيت.

عباد الله...

الصلاة يفتح بها الباب، ويرفع الحجاب، إنها مفتاح السعادة، نبي الله زكريا عليه السلام، بلغ من الكبر عتيًّا، ضعف جسمه، ورق عظمه، واقتربت منيته، فاشتهى أن يكون له ولد، فرفع يديه إلى ربه ومولاه ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝** ﴾ [مريم: ٤ - ٦].

فتقرع دعواته أبواب السماء، فينظر الله عز وجل إلى عبده الداعي، فإذا هو عابد في محرابه، يترقب إحسان ربه، ويخاف من عذابه.

فإذا بالبشائر تنزل عليه وهو في الصلاة، قال تعالى: ﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۝** ﴾ [آل عمران: ٣٩].

إذا أجدبت الأرض، وانقطع القطر، وهلك المال، وجاع العيال، فإن الصلاة هي المفتاح، فنصلي صلاة الاستسقاء.

إذا همَّ العبد بشيء من أمره، أو احتار في فعل شيء أو تركه، فإن الصلاة هي المفتاح، فيصلي صلاة الاستخارة.

إذا أذنب أو عصى، شرعت له صلاة التوبة.

إذا كسفت الشمس أو القمر، شرعت له الصلاة، فهي رأس القربات وغرة الطاعات، وهي راحة العباد الأبرار، وقرة أعين المتقين الأطهار.

الصلاة هي بوابة الرحمات، بل هي مفتاح الكنز الذي من حصله، حاز

الخيرات فرحم الله عبادًا نصبوا أقدامهم لطاعة مولاهم، فرضي ربهم بأعمالهم، وعجل لهم بشراهم، لهم مع الصلاة أخبار في الليل والنهار، فهم في الليل من الذين: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

وهم في النهار من: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وللأهمية العظمى للصلاة، أنه عندما أراد الله ﷻ أن يفرض الصلاة، لم يرسل ملكًا مقربًا كسيدنا جبريل عليه السلام مثل كل الفرائض الأخرى، ولكنه أخذ محمدًا إلى السموات العلى، وخاطبه بها بنفسه وبذاته ليلة الإسراء والمعراج، ولذلك كانت آخر وصية للرسول ﷺ وآخر كلمة قالها قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى، أوصى المسلمين بالصلاة، فقال: «**الصَّلاَةُ الصَّلاَةُ**»[1]، وكذلك كان صحابته - رضوان الله عنهم - مع أنفسهم ومع أهليهم فقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى من الليل ما شاء الله له أن يصلي، ثم يوقظ أهله آخر الليل يقول لهم: «الصلاة الصلاة» ثم يتلو هذه الآية: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢].

بل إنه عندما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي - لعنه الله - وأغمى عليه، وأراد الصحابة أن يوقظوه، قال أحدهم: أيقظوه بالصلاة، فإنكم لن توقظوه بشيء إلا

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٥٣١)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٦١٦).

بالصلاة، فقالوا: الصلاة الصلاة يا أمير المؤمنين، فإذا به يستيقظ، ويقول: الصلاة الصلاة، لا حظ للإسلام لمن ترك الصلاة، فصلى وإن جرحه لينزف دمًا.

أيها الأحبة الكرام...

ومع هذا الاهتمام بالصلاة في الإسلام، إلا أن نظرة إلى الواقع تكشف لنا الحال لكثير من الناس، فمنهم من يترك الصلاة إهمالًا لها، وقد يكون احتقارًا لها، وخاصة بين صغار السن والشباب من الجنسين، وبعضهم صارت الصلاة عنده ألعوبة يؤديها وقتما يشاء، ويتركها متى يشاء، فلا يصلي إلا من جمعة إلى جمعة، ومنهم من يجلس على المقهى والأذان يؤذن، وكأنه ليس بمسلم، الله أكبر تجلجل في آذانهم وهم منهمكون في اللهو واللعب، ترون لمن يقول المؤذن: حي على الصلاة؟ لمن يقول المؤذن: حي على الفلاح؟! لمن يقول؟

ما الذي في الصلاة يجعل هؤلاء لا يلبون؟ ماذا فيها من ضرر أو مشقة؟ كم تأخذ هذه الصلاة من أوقاتهم؟ إنها لا تأخذ أكثر من ساعة في جميع الأوقات أثقيلة عليهم هذه الساعة - سبحان الله - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الإنفطار: ٦ - ٨].

إن الله ﷻ يقول في مثل هؤلاء: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ ﴾ [مريم: ٥٩].

وليس معنى أضاعوا الصلاة أي تركوها بالكلية، ولكن معناه أنهم كانوا يؤخرونها عن أوقاتها.

ومع ذلك فسوف يلقون غيًّا، قال أهل العلم: الغي هو واد في جهنم، بعيد قعره، خبيث طعمه، شديد عقابه، لمن؟ للذين يتركون الصلاة.

أيها المسلمون...

يقول النبي ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الْـخَمْسُ، وَالْـجُمُعَةُ إِلَى الْـجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى**

رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»[(١)].

ويقول ﷺ: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي»**[(٢)].

أو كما قال: **«التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»**. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الموفق المعين، إياه نعبد، وإياه نستعين، منجز الوعد بالنصر لعباده المؤمنين، ومنزل السكينة على الصابرين المخلصين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وهو على كل شيء قدير، هو إله الأولين والآخرين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خاتم النبيين، وإمام المتقين، نبي الحرية، ومطهر العقول من أدران الوثنية، وسائق ركب الإنسانية إلى السعادة الأبدية، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها الموحدون الكرام...

إن العبد المسلم إذا دخل في الصلاة، فقرأ سورة الصلاة، سورة الفاتحة، **«فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِى عَبْدِى، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِى.**

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي.

(٢) صحيح: رواه أحمد.

وَإِذَا قَالَ: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾، قَالَ اللَّـهُ تَعَالَى: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»(١).

فيا لذة قلبه، ويا قرة عينه، وسرور نفسه بقول ربه: «عبدي عبدي» وهو سبحانه الغني عن عبده، يغيث الملهوفين، ويجيب المضطرين، فيخشع قلب العبد لذلك، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، وتقر عينه، ويحس بحلاوة القرب، ويتلذذ بخشوع قلبه، فيعبد الله كأنه يراه فوق سمواته مستويًا على عرشه.

عباد الله...

ولذلك إذا رأى الشيطان ابن آدم ساجدًا لله ﷻ في صلاته انزجر، واعتزل يبكي ويقول: يا ويله، أمر ابن آدم بالسجود، فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود، فعصيت فليَ النار.

إنه من بغضه للصلاة، ماذا يفعل؟ يقول النبي المصطفى والرسول المجتبى ﷺ: «**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاَةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا. لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لاَ يَدْرِي كَمْ صَلَّى**»(٢).

نعم يتسلط عليه الشيطان وهو في صلاته، ليفسدها عليه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُطِيفُ بِالرَّجُلِ فِي صَلاتِهِ لِيَقْطَعَ عَلَيْهِ صَلاتَهُ، فَإِذَا أَعْيَاهُ نَفَخَ فِي دُبُرِهِ، فَإِذَا أَحَسَّ أَحَدُكُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلا يَنْصَرِفَنَّ**

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

حَتَّى يَجِدَ رِيحًا أَوْ يَسْمَعَ صَوْتًا»[١].

بل إن الأمر أعظم من ذلك بكثير، إن الشيطان يجتهد في إغراق العبد في النوم لتفوته الصلاة، قال ﷺ: «**إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلاثًا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ**»[٢].

بل قد ورد في الصحيحين أنه ذكر عند النبي ﷺ رجل نام عن صلاة الفجر ليلة، حتى أصبح، فقال: «**ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ**»[٣].

ولا يزال الشيطان بالعبد يشغله عن الصلاة، حتى يتركها، وتاركو الصلاة هم أعوان الشيطان وأنصاره، وأعداء الرحمن جل في علاه، وخصوم الموحدين وقد قال النبي ﷺ: «**بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ - أَوِ الْكُفْرِ - تَرْكُ الصَّلاَةِ**»[٤].

وتاركو الصلاة حالتهم عند الموت أدهى وأفظع.

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله: أن أحد المحتضرين، كان صاحب معاصي وتفريط، فلم يلبث أن نزل به الموت، ففزع من حوله إليه، وانطرحوا بين يديه وأخذوا يذكرونه بالله، ويلقنونه لا إله إلا الله، وهو يدافع عبراته، فلما بدت روحه تنزع، صاح بأعلى صوته، وقال: أقول: لا إله إلا الله، وما تنفعني لا إله إلا الله؟! وما أعلم أني صليت لله صلاة، ثم أخذ يشهق حتى مات.

أما عامر بن عبد الله بن الزبير، فلقد كان على فراش الموت يعد أنفاس الحياة وأهله يبكون، فبينما هو يصارع الموت، سمع المؤذن ينادي لصلاة المغرب وروحه تحشرج في الحلقوم، واشتد نزعه، وعظم كربه، لكن لما سمع النداء، ماذا فعل؟

---

(١) جيد: رواه الطبراني ورجاله موثقون قاله الهيثمي (١/ ١٥١).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه.

(٤) رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

قال لمن حوله: خذوا بيدي، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى المسجد، قالوا: وأنت على هذا الحال؟! قال: سبحان الله! أسمع منادي الصلاة، ولا أجيبه؟ خذوا بيدي، فحملوه بين رجلين، فصلى ركعة مع الإمام ثم مات في سجوده، نعم مات وهو ساجد.

هذا واحد من أهل الصلاة، من أهل الإيمان، هذا حالهم أما غيرهم فاسمع إلى خبرهم: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٨].

اللَّهُمَّ إنا نسألك حياة طيبة، ونفسًا تقية، وعيشة نقية وميتة سوية، ومردًّا غير مخزٍ ولا فاضح.

اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك.

اللَّهُمَّ إن حسناتنا من عطائك، وسيئاتنا من قضائك، فجد اللَّهُمَّ بما أعطيت، على ما به قضيت، حتى تمحو ذلك بذلك، اللَّهُمَّ إن مساوينا قطعت عنا الوسائل، غير أنا علمنا أنك رب كريم، ومولى رؤوف رحيم، فجرأنا مع قبح أفعالنا، وضعف أعمالنا، علمنا بذلك، وحملنا - مع البعد عنك - رجاؤك في نوالك، فاستجب لنا، واغفر لنا وارحمنا، وتب علينا، وعافنا واعف عنا، وحقق رجاءنا، واسمع دعاءنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ اجعلنا لكتابك من التالين ولك به من العاملين وبما صرفت فيه من الآيات منتفعين وإلى لذيذ خطابه مستمعين ولأوامره ونواهيه خاضعين وبالأعمال مخلصين اللَّهُمَّ عاملنا بلطفك وإحسانكَ، ووفقنا لطاعتك ومرضاتك، واغفر لنا

ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللَّهُمَّ أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين، اللَّهُمَّ يا من عم العباد فضله ونعماؤه، ووسع البرية جوده وعطاؤه، نسأل منك الجود والإحسان، والعفو والغفران، والصفح والأمان، والعتق من النيران، وتوبة تجلو أنوارها ظلماتِ الإساءة والعصيان، يا كريم.

اللَّهُمَّ ثبت إيماننا بك ثبوت الجبال الراسيات، ونوِّر قلوبنا بنور الإيمان واجعلنا هداة مهتدين وأصلح أولادنا واغفر لآبائنا وأمهاتنا واجمعنا وإياهم مع عبادك الصالحين في جنات النعيم.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.

۞۞۞۞۞

الخطبة السادسة

أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله

الحمد لله رب العالمين، مكرم من اتقاه، من أقبل عليه كفاه، ومن عصاه أتعبه وأقصاه، ومن أطاعه قربه وأدناه.

سبحانه سبحانه، الكريم الوهاب، الهادي إلى الصواب، مزيل الشدائد وكاشف المصاب، ما سأله سائل فخاب، يسمع جهر القول، وخفي الخطاب، أخذ بنواصي جميع الدواب، هو ربنا لا إله إلا هو، عليه توكلنا وإليه أنبنا، وإليه المرجع والمآب.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يحصي ويرقب، ويرضى ويغضب، وينصب الميزان، يوم تنطق الجوارح، وتبين الفضائح، فإذا هم قد أحصيت أعمالهم، وهتكت أستارهم، وفشت أسرارهم، ونطقت أيديهم وأرجلهم.

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝ ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، النبي الذي علم النساك كيف يتعبدون، وعلم الأغنياء كيف يجودون، وعلم الفقراء كيف يتعففون، النبي الأمي الذي علم المتعلمين، والذي قاد سفينة العالم الحائرة في خضم المحيط ومعترك الأمواج إلى شاطئ الله رب العالمين.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه في الأولين، وصلِّ وسلم وبارك عليه في الآخرين وصلِّ وسلم وبارك عليه في الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

وما زال اللقاء موصولًا مع السلسلة الطيبة (**الطريق إلى الجنة**) وهذا اللقاء هو اللقاء السادس.

أسأل الله ﷻ الذي جمعنا في هذا اليوم الطيب المبارك، أن يجعل اجتماعنا اجتماعًا مرحومًا، وأن يجعل تفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا، وأن لا يجعل فينا ولا بيننا شقيًا ولا محرومًا، وطريقنا اليوم هو طريق من أعظم الطرق إلى جنة الله رب العالمين إنه طريق سلكه أنبياء الله ورسله، سلكه الصالحون والصديقون إنه طريق التقوى، التي أوصى الله ﷻ بها الأولين والآخرين، ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ** ﴾ [النساء: ١٣١].

إنه طريق أوصى الله ﷻ بسلوكه الأولين والآخرين، لكن هذه الأمة كانت أوفر نصيبًا، وأعظم حظًا، وأكثر نصيبًا من كل خير، اتقوا الله في سرهم وعلنهم، وفي رخائهم وشدتهم، فكانت لهم الهداية، وآيات القرآن الكريم التي تبين أن التقوى من أعظم الطرق إلى جنة الله رب العالمين كثيرةً ومتعددة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ** ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحجر: ٤٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ** ﴿٥٤﴾ **فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ** ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

وقال ﷻ: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ** ﴿١٧﴾ ﴾ [الطور: ١٧]. وغيرها كثير.

وقد جاء في السنة المطهرة ففي الحديث الذي رواه أحمد في مسنده والترمذي في سننه وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «**تَقْوَى اللَّـهِ وَحُسْنُ الْـخُلُقِ**».

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «**الْـفَمُ وَالْـفَرْجُ**».

فهيا بنا لنعيش سويًّا في رحاب تقوى الله ﷻ، فما هي التقوى؟ ومن هم المتقون؟

التقوى كما عرفها الحسن: ألا تختار على الله، سوى الله، وتعلم أن الأمور كلها بيد الله.

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: التقوى ألا يجد الخلق في لسانك عيبًا، ولا الملائكة في أفعالك عيبًا، ولا ملك العرش في سرك عيبًا.

وقال الواقدي: التقوى أن تزين سرك للحق، كما زينت ظاهرك للخلق المتقون هم الذين إذا قالوا، قالوا لله، وإذا عملوا عملوا لله، إذا أعطوا أعطوا لله، وإذا منعوا، منعوا لله، وإذا أحبوا، أحبوا لله، وإذا أبغضوا، أبغضوا لله.

المتقون هم الذين سلكوا سبيل المصطفى، ونبذوا الدنيا وراء القفا، وكلفوا أنفسهم الإخلاص والوفا، واجتنبوا الحرام والجفا.

التقوى هي التي جعلت من بلال الحبشي أخًا لسلمان الفارسي، وجعلت من حمزة القرشي أخًا لصهيب الرومي، لا فرق بين هذا وذاك، لا فرق بين أبيض ولا أسود، ولا فرق بين عربي وأعجمي، ولا لحبشي على قرشي، ولا لعربي على فارسي، إنما الفضل كله يكون للأتقياء، يكون للمتقين فهي خير زاد يتزود به العباد، فيا عبد الله،

تـــزود مـــن حـــياتك للمعـــاد ... وقـــم لله واجمـــع خـــير زاد

ولا تـــركن إلى الدنـــيا كثـــيرًا ... فـــإن المـــال يجمـــع للـــنفاد

أتـــرضى أن تكـــون رفـــيق قـــوم ... لهـــم زاد وأنـــت بغـــير زاد

يوم أن رجع رسولنا ﷺ إلى مكة فاتحًا، يوم تحقق موعود الله لرسوله ﷺ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥]، جاء إليها ومعه عشرة آلاف بطل من أبطال الإسلام دخل الكعبة المباركة، واستلم الحجر،

وطاف بالبيت، وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل يضربها بقوس في يده، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١].

ولما حان وقت الصلاة أمر الرسول ﷺ سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه أن يصعد، فيؤذن على الكعبة، وكان أبو سفيان بن حرب، وعتاب بن أسيد، والحارث بن هشام جلوسًا بفناء الكعبة، فقال عتاب: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم، فيسمع منه ما يغيظه.

وقال الحارث: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود ليؤذن؟

وقال سهيل بن عمر: إن يكره الله شيئًا يغيره.

لكن أبو سفيان قال: إني لا أقول شيئًا، لو تكلمت، لأخبرت عني هذه الحصباء فيخبره به رب السماء، فأنزل الله قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣].

حقًا لقد جعلت التقوى والعمل الصالح من العبيد سادة، ومن المستضعفين أساتذة وقادة، جعلت من رعاة الغنم، زعماء للبشر.

إنهم وإن كانوا متفاوتين في الغنى والفقر، أو في الأعمال الدنيوية، والمناصب، فهذا مهندس كبير، وذاك عامل صغير، وهذا وزير، وذاك خفير، وهذا حاكم، وذاك محكوم، إلا أنهم سواسية كأسنان المشط لا فرق بينهم إلا بتقوى الله عز وجل، كما قال ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

فيا أيها الإنسان بادر إلى التقى ... وسارع إلى الخيرات مادمت مهمل
وأكثر من التقوى لتحمد غبها ... بدار الجزاء دارًا بها سوف تنزل
وقدم لما تقدم عليه فإنما ... غدًا سوف تجزى بالذي سوف تفعل

وعن أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال له: «**انْظُرْ فَإِنَّكَ لَيْسَ بِخَيْرٍ مِنْ أَحْمَرَ، وَلاَ أَسْوَدَ إِلاَّ أَنْ تَفْضُلَهُ بِتَقْوَى**».

عباد الله...

التقوى كنز عظيم، وجوهر شريف، وخلق نفيس، ورزق كريم، وفوز كبير، جمعت التقوى خيري الدنيا والآخرة.

قال سيدنا عليٌّ بن أبي طالب ﷺ : الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وريشه الحياء، ورأس ماله العفة.

قال أبو زرعة رحمه الله: رأيت امرأة في الطريق، فقالت لي: هل لك في ثواب الله وأجره رغبة؟ فقلت لها: والله لا أحب إليَّ من ذلك.

فقالت: هلم يا سيدي، لتعود مريضًا أشرف على الموت وليس عنده أحد من الناس يكتب عنه وصيته، فتبعتها إلى المنزل، فلما دخلت الدار، أغلقت أبوابها، يقول: وتلفتُّ في أنحاء الدار فلم أجد أحدًا، لا مريض، ولا محتضر فأدركت ما تريده المرأة مني، وعلمت أنها ما طلبت مني ذلك إلا لأفجر بها، فرفعت وجهي إلى السماء، ودعوت الله قائلًا: اللَّهُمَّ إن كنت تعلم أني أخافك وأتقيك، فأنقذني من شرها، وسوِّد وجهها، فلم أفرغ من دعائي، حتى اسود وجهها، ووقع الرعب في قلبها، فانشغلت بنفسها عني، فتركتني وشأني، فلما كنت خارج الدار، دعوت الله، قائلًا: اللَّهُمَّ رد عليها وجهها كما كانت، ثم مضيت، وأنا أتلو قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨].

والإمام الشبلي رحمه الله يقول: رأيت حدادًا يأخذ الحديد المحمي بيده من النار دون أن تحرق النار يده، فتعجبت من شأنه، وسألته عن أمره، فقص عليَّ قصته، وقال: يا سيدي «إن من اتقى الله في سره، أكرمه مولاه في علانيته، وذلل له كل صعب، وسهل عليه كل وعر، وقد اتقيت الله ﷻ في يوم، فوقاني عذاب النار في

الدنيا وأرجو أن يقيني عذابها في الآخرة، وأخذ الحداد يقص قصته، فقال: كانت تسكن بجواري امرأة جميلة، رائعة الجمال، فأحببتها، بل هام قلبي بحبها، إلا أنها كانت تقية صالحة، وفي يوم من الأيام نزلت بها فاقة، واحتاجت إليّ، فأتت إليَّ وسألتني أن أعطيها شيئًا من الطعام أو الشراب ابتغاء وجه الله، لكن الشيطان غلبني، فقلت لها: لا أعطيك حتى أنال منك ما أريد، فرجعت، فلم تجد عند غيري، فرجعت إليَّ، وقالت لي: يا هذا، لا تقربني حتى تغلق الأبواب، ففعلت، ثم أتيت إليها، ولما جلست بين يديها، قالت: أغلقت الأبواب، فقلت لها: نعم، قالت: إلا بابًا واحدًا، لا تستطيع أن تغلقه وهو باب الله الواحد الديان، فامتلأ قلبي خوفًا من الله ﷻ وقلت لها: خذي ما شئت، وخذي من مالي ما أردت ابتغاء وجه الله، فطابت نفسها ورفعت يديها إلى السماء وقالت: اللَّهُمَّ إن كان صادقًا، فحرم على جسده النار في الدنيا والآخرة» فانتفعت بدعوتها في الدنيا، فأنا أمسك الحديد المحمي فلا يضرني، وأنا أنتظر بركة دعائها في الآخرة يوم ألقى الله ﷻ».

فلما سمع الشبلي ذلك منه، قال: «إنَّ بركة التقوى لا تخطئ صاحبها، ومن تمسك بها، وحرص عليها، فقد تمسك من الله بأقوى سبب».

تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر؟
فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش حينًا من الدهر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد دخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسي ويصبح لاهيًا ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

قال قتادة رحمه الله: من يتق الله، يكن الله معه، ومن يكن الله معه، فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل.

عباد الله...

حقًّا من كان الله معه، كان معه كل شيء، ومن لم يكن الله معه، فليس معه شيء، حتى ولو كانت الدنيا كلها معه.

كتب بعض السلف إلى أخ له: أما بعد: «فإن كان الله معك فمن تخاف؟ وإن كان عليك فمن ترجو؟».

وقال بعض السلف: من اتقى الله ﷻ، فقد حفظ نفسه، ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه، والله غني عنه.

والله ﷻ يحفظ من اتقاه وخافه، بل من عجيب حفظ الله له أن يجعل الحيوانات المؤذية بطبعها، حافظة له من الأذى، كما جرى لسفينة مولى رسول الله ﷺ حين كسرت به السفينة، وخرج إلى جزيرة الأسد، فرأى الأسد، فجعل يمشي إليه، ويقول له: يا أبا الحارث، أنا خادم رسول الله ﷺ وهذه كنية الأسد، فجعل الأسد يتبصبص إليه، كأنه يقول له: أنا أعرفك ثم سار معه الأسد، حتى أخرجه من الأجمة، ودله على الطريق، ثم همهم إليه، كأنه يودعه، ثم رجع عنه.

وهذا إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ كما ذكر ابن رجب في جامع العلوم والحكم رؤى نائمًا في بستان، وعنده حية في فمها طاقة من النرجس، فما زالت تدفع عنه الذباب حتى استيقظ.

وهذا كليم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يرعى غنمه في يوم من الأيام، وكان في واد كثير الذئاب والوحوش، فماذا يفعل وقد جاءه الليل بظلامه، وغلبه النوم، ولكن كيف ينام والذئاب كثيرة، واللصوص منتشرة، فلما وجد أنه نائم لا محالة رفع يديه إلى الله ﷻ، وقال: «إلهي، أحاط علمك، وسبقت إرادتك، ونفذت قدرتك، وبيدك مقاليد الأمور» ثم نام واثقًا بالله، متقيًا إياه، فلما استيقظ، وجد الذئاب ترعى مع الأغنام، فتعجب من ذلك، فأوحى الله إليه: «يا موسى، لا تعجب،

وكن لي كما أريد، أكن لك كما تريد، يا موسى، اتقيني، ونم حيث شئت».

لأجل هذا أوصى لقمان ولده فقال له: يا بني، اتخذ تقوى الله تجارة، يأتك الربح من غير بضاعة. يا بني، اتق الله، ولا تُرى الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك، وقلبك فاجر.

أحبتي في الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تدان والتائب حبيب الرحمن، أو كما قال ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، معز من أطاعه واتقاه، ومذل من خالف أمره وعصاه، المذكور بكل لسان، المشكور على كل إحسان، خلق الخلق ليعبدوه، وأظهر لهم آياته ليعرفوه، ويسر لهم طرق الوصول إليه ليصلوه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، هو الخالق، وكل شيء سواه مخلوق، إله الأولين والآخرين، خلق فأتقن، وشرع فأحكم وهو أحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، أعظم الناس قدرًا، وأرفعهم ذكرًا، وأوفاهم عهدًا، أنزل الله عليه الكتاب، تبصرة وذكرى لأولي الألباب اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد...

أيها الموحدون الكرام...

أرأيتم كيف تصنع التقوى بأهلها؟ أما آن لنا أن نكون من الأتقياء؟

الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يعرفوا، تعرفهم بقاع الأرض وتحف بهم ملائكة السماء، نعم الناس بالدنيا، ونعموا هم بطاعة الله ﷻ، افترش الناس الفراش الوثير، وافترشوا هم الجباه والركب، ضيع الناس سنة الأنبياء والمرسلين، وحافظ عليها الأتقياء.

تبكي عليهم الأرض إن فقدتهم، ويسخط الجبار على كل بلد ليس فيها واحد منهم لا يتكالبون على الدنيا، كما تفعل الكلاب على الجيف، أولئك هم أصحاب الشرف في الآخرة، الأرض بهم فرحة، والديان عنهم راض، فإذا رأيتم هؤلاء فاتخذوهم لأنفسكم إخوانًا.

عباد الله...

الأتقياء هم السعداء، ليست السعادة في المال، ولا في العيال، ولا في الغنى، ولا في القصور العالية، ولا في البساتين اليانعة، وإنما السعادة كل السعادة في تقوى الله ﷻ.

ولله در من قال:

ولست السعادة جمع مال ... ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله للأخيار ذخر ... وعند الله للأتقى مزيد
وما سوف يأتينا حقًّا قريب ... ولكن الذي يمضي بعيد

كتب رجل من السلف إلى أخ له، فقال: «أوصيك بتقوى الله، فإنها من أكرم ما أسررت، وأزين ما أظهرت، وأفضل ما ادخرت، أعاننا الله وإياك عليها، وأوجب لنا ولك ثوابها، فهي معدن الخيرات، وكنز البركات وأكثر خصال الخير ذكرًا، فما من خير عاجل، أو آجل، ظاهر ولا باطن، إلا والتقوى موصلة إليه، ووسيلة مبلغة له، وما من شر عاجل، أو آجل، ظاهر ولا باطن، إلا والتقوى حرز حريز، وحصن حصين للسلامة منه، والنجاة من ضرره، ولا وسيلة للسعادة في الدارين أعظم من وسيلة التقوى».

أيها الأحبة الكرام...

وأنا أوصيكم من فوق هذا المنبر بتقوى الله ﷻ لأن التقوى سبب للخروج من المضايق، وحصول الأرزاق، ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وسبب لتيسير الأمور وتسهيلها، ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق: ٤].

وسبب لتكفير السيئات، وجلب الخيرات، ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا** ﴾ [الطلاق: ٥].

وهي سبب للنجاة من شدائد الدنيا والآخرة، ﴿ **وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦١** ﴾ [الزمر: ٦١].

والتقوى سبب لولاية الله ﷻ لصاحبها، قال تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ [الجاثية: ١٩].

وهي باب الوعد بالجنة، قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ۝٦٣** ﴾ [مريم: ٦٣].

وهي تضمن لصاحبها الجنة وما فيها: ﴿ **لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ** ﴾ [الزمر: ٢٠].

فيا عباد الله...

أما آن لكم أن تستعدوا بزاد التقوى؟ أما آن لكم أن تحاسبوا أنفسكم فإن العمر محسوب؟! أما آن لكم أن تمحوا قبيح أفعالكم فإن القبيح مكتوب؟! أتضحكون ملء أفواهكم وعليكم ذنوب؟!

لو رأيتم قرب آجالكم، لزهدتم في طول آمالكم؛ ولرغبتم في الزيادة من أعمالكم، تنبهوا للخلاص أيها المساكين، واعتقوا أنفسكم من رق الدنيا، فما لغرور الدنيا يمين، بادروا قبل فوات الأوان، فطوبى لمن غسل درن الذنوب

بتوبة، ورجع عن خطاياه قبل فوت الأوبة تضرعوا إلى الله الكبير المتعال أن يجعلنا من المتقين الفائزين، وأن يكتبنا من السعداء الصالحين، وأن يحشرنا يوم القيامة مع النبيين.

اللَّهُمَّ إنا نسألك الأمن يوم الوعيد من العذاب الشديد ونسألك الجنة دار خلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود والوعود إنك غفور رؤوف ودود، اللَّهُمَّ إنا نسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت وإذا استرحمت به رحمت، وإذا استفرجت به فرجت.

يا حيُّ يا قيوم يا علي يا عظيم يا واحد أحد يا فرد صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد يا ذا الجلال والإكرام أن تفتح لدعائنا باب القبول والإجابة.

اللَّهُمَّ ارحم ذلنا يوم الأشهاد وأمن خوفنا من فزع المعاد ووفقنا لما تنجينا به من الأعمال في ظلم الإلحاد ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك واعف عن تقصيرنا في طاعتك وشكرك وأدم لنا لزوم الطريق إليك وهب لنا نورًا نهتدي به إليك واسلك بنا سبيل أهل مرضاتك واقطع عنا كل ما يبعدنا عن سبيلك ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك وأيقظنا من غفلاتنا وألهمنا رشدنا وحقق بكرمك قصدنا واسترنا في دنيانا وآخرتنا واحشرنا في زمرة المتقين وألحقنا بعبادك الصالحين.

اللَّهُمَّ يا عالم الخفيات ويا سامع الأصوات ويا باعث الأموات ويا مجيب الدعوات ويا قاضي الحاجات يا خالق الأرض والسموات أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، الوهاب الذي لا يبخل والحليم الذي لا يعجل، لا راد لأمرك ولا معقب لحكمك، نسألك أن تغفر ذنوبنا وتنور قلوبنا وتثبت محبتك في قلوبنا وتسكننا دار كرامتك إنك على كل شيء قدير.

اللَّهُمَّ يا من خلق الإنسان في أحسن تقويم وبقدرته التي لا يعجزها شيء يحيي العظام وهي رميم نسألك أن تهدينا إلى صراطك المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

اللَّهُمَّ إنا نسألك نفسًا مطمئنة، تؤمن بلقائك وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك، يا أرأف الرائفين، وأرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ إنا نسألك التوفيق لما تحبه من الأعمال، ونسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ اجعلنا من عبادك المحبين، الغر المحجلين الوفد المتقبلين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم. وأقم الصلاة.

۞۞۞۞۞

الخطبة السابعة

حسن الخلق من طرق الجنة

الحمد لله، الذي جعل الحمد مفتاحًا لذكره، وسببًا للمزيد من فضله، ودليلًا عى آلائه وعظمته، أمره قضاء، وحكمه ورضاه أمان ورحمة، يقضي بعلمه، ويعفو بحلمه.

نحمدك اللَّهُمَّ على آلائك ونعمائك، كما نحمدك على بلائك، شرنا إليك صاعد، وخيرك إلينا نازل، تتحبب إلينا بنعمك، وأنت الغني عنا، ونتبغض إليك بالمعاصي، ونحن أفقر شيء لديك، من أقبل إليك ناديته من بعيد، ومن أعرض عنك ناديته من قريب: إلى أين تذهب ألك رب غيري؟!

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنفع قائلها ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦].

شهادة تنفع قائلها ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧].

تنفع قائلها، يوم ﴿ تَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ٢].

تنفع قائلها يوم ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، نبي أعطاه الله ﷻ صفوة آدم، ومعرفة شيث، وحكمة لقمان، وخلة إبراهيم واستسلام إسماعيل، وصوت داود، وحلم يعقوب، وصبر أيوب، وقوة موسى، وشفقة هارون، وزهد يحيى،

وبشرى عيسى، وأمر سليمان، وجمال يوسف، ووضع لواء الحمد بين يديه، وأكثرت الملائكة من الصلاة والسلام عليه، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

هيا بنا لنواصل لقاءنا المبارك مع (الطريق إلى الجنة) وطريق اليوم، هو الطريق الذي بعث رسولنا وحبيبنا محمد ﷺ ليتممه إنه طريق من أعظم الطرق الموصلة إلى الجنة، من أعظم الطرق الموصلة إلى محبة الله ﷻ، ومحبة رسوله محمد ﷺ ثم محبة الناس أجمعين، أتدرون من هذا الطريق؟!

إنه طريق لا تدفع فيه مالًا، أراكم قد عرفتموه، إنه حسن الخلق فقد ذكرنا في اللقاء السابق حديث النبي ﷺ حين سأله أحد أصحابه الكرام: ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال ﷺ: «**تقوى الله، وحسن الخلق**» فقد عشنا مع تقوى الله ﷻ، ونعيش في هذا اللقاء الطيب المبارك مع الطريق الآخر «وهو حسن الخلق» وقد قال ﷺ عن نفسه: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**».

وفي رواية: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ**».

وسيدنا أبو ذر الغفار رضي الله عنه لما بلغه مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إليه، فاسمع من قوله، وائتني بخبره، فرجع إليه، فقال له: «رأيته يأمر بمكارم الأخلاق».

ووصف مولاه، بقوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤].

ولما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن».

قال بعض أهل العلم في قول عائشة هذا: فيه رمز غامض، وإيماء خفي إلى

الأخلاق الربانية، فاحتشمت للحضرة الإلهية أن تقول: كان متخلقًا بأخلاق مولاه، فعبرت عن المعنى بقولها: «كان خلقه القرآن» استحياء من سبحات الجلال، وسترًا للحال، بلطف المقال، وهذا من وفور عقلها، وكمال أدبها.

فكما أن معاني القرآن لا تتناهى، فكذلك أوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى(١).

يقول ابن القيم رحمه الله: جمع النبي ﷺ بين تقوى الله، وحسن الخلق، لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد، وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، وتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته(٢).

أحباب رسول الله ﷺ...

وقد حثنا رسول الأخلاق على مكارم الأخلاق، فقال - صلوات ربي وسلامه عليه -: «**إِنَّ الْـمُؤْمِنَ يُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ، صَائِمِ النَّهَارِ**»(٣).

من يستطيع أن يكون حاله الدائمة صائم بالنهار، قائم بالليل؟!

ولا شك أن قيام الليل، وصيام النهار، من صفات الأبرار الذين يسكنون الجنة دار القرار.

وفي رواية عند الطبراني من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الْـقَائِمِ بِاللَّيْلِ الظَّامِئِ بِالْـهَوَاجِرِ**»(٤).

وإن أردت أن تثقل موازينك، فعليك بحسن الخلق، قال ﷺ: «**أَثْقَلَ شَيْءٍ**

---

(١) المواهب اللدنية (٢/ ١٠١) للقسطلاني.

(٢) الفوائد (ص٧٥) لابن القيم.

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٩٥).

(٤) حسن: رواه الطبراني في الكبير، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٢١).

فِي الْـمِيزَانِ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ: الْـخُلُقُ الْـحَسَنُ»(١).

وعند ابن حبان: «**أَثْقَلَ مَا وُضِعَ فِي مِيزَانِ الْـمُؤْمِنِ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ خُلُقٌ حَسَنٌ**»(٢).

ولا شك أن من يثقل ميزانه، يكون جزاؤه الجنة، قال تعالى: ﴿ **فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١٠٢].

وقال: ﴿ **فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ** ﴾ [القارعة: ٦، ٧].

إن أردتم أن تكون من أحباب الرب الكريم جل في علاه، فأحسنوا أخلاقكم قال ﷺ: «**أحب عباد الله إلى الله، أحسنهم خلقًا**»(٣).

وكذلك رسول الله ﷺ يحب صاحب الخلق الحسن، صاحب الخلق الكريم، قال النبي الأمين ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّى مَجْلِسًا يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا**»(٤).

وعند الطبراني في الصغير بسند حسن: «**إِنَّ أحبكم إِلَيَّ أحاسنكم أخلاقًا، الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**»(٥).

بل قد ورد في صحيح البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا**»(٦). أي أفضلكم وهذه الخيرية تكمن بعد تقوى الله عز وجل في حسن الخلق، لذلك يقول ابن القيم رحمه الله: الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٤).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٤١).

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٤/ ٤٤٣)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ٤٣٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٩).

(٤) حسن: رواه الترمذي من حديث جابر، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٧٩١).

(٥) حسن: رواه الطبراني في الصغير وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٧٥١).

(٦) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

والعبادات كلها مرتبطة بحسن الخلق، فالصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والصيام فيه حث على حسن الخلق، قال ﷺ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلاَ يَرْفُثْ، وَلاَ يَجْهَلْ، فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّى صَائِمٌ، إِنِّى صَائِمٌ» [١]. مرتين.

وقال: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِى أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» [٢].

وفي الزكاة حث على حسن الأخلاق، قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وفي الحج حث على مكارم الأخلاق، قال تعالى: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وفي معاشرة الزوج لزوجته: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ١٩].

وفي المعاملات بين الناس «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً».

وهكذا في سائر الأمور.

أحبتي في الله...

لقد جاء دين الإسلام لتهذيب النفوس، وتقويم الأخلاق، وصلاح المجتمعات، ونشر الخير والفضيلة بين الأفراد والمجتمعات، ومحاربة الشر والرذائل، فسلامة المجتمع، وقوة بنيانه، وعزة أبنائه لا تكون إلا بتمسكهم بمكارم الأخلاق.

---

١) رواه البخاري ومسلم.

٢) رواه البخاري.

الأخلاق في كل أمة عنوان مجدها، ورمز سعادتها، وتاج كرامتها، وشعار عزها وسيادتها، وسر نصرها وقوتها.

ولله در شوقي حين قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

الأخلاق حتى مع الأعداء، جاء في بعض الآثار، أن الله عز وجل قال موحيًا إلى خليله إبراهيم عليه السلام: «يا إبراهيم، حسن خلقك ولو مع الكفار، تدخل مداخل الأبرار فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه، أن أظله في عرشي أو أدنيه من جواري، أو أسكنه في حظيرة قدسي».

لأجل هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا، قال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقًا، ووالله ما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت رائحة قط، أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد خدمت رسول الله عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا قال لشيء فعلته، لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله، ألا فعلت كذا»[1].

ويوم أن جاء من غار حراء يرتجف من الوحي، الذي نزل عليه لأول مرة، قالت له خديجة رضي الله عنها: «والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[2].

الله أكبر، ما أكرم شمائله المحمدية؟! وما أعظم أخلاقه المصطفوية أين أمة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الزمن من أن تقتدي به، وتترسم خطاه، وتعمل بسنته، إن أرادت الخير والأمن والنصر والسلام، أين أخلاق أمة الحبيب محمد من أخلاق أستاذ البشرية صلى الله عليه وسلم، وقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه وقد خدمه وعاشره، قال:

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة الجبذة، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء(١).

فهكذا كانت أخلاقه الكريمة ﷺ فيا ليتنا نتأسى به ﷺ فقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

أيها المسلمون . . أحباب رسول الله...

وكما اهتم رسول الله ﷺ بالأخلاق الطيبة، وحرص على مكارم الأخلاق، وتخلق بها قولًا وعملًا، كذلك السلف الصالح - رضوان الله عليهم - فقد روى عن سيدنا عليٍّ رضي الله عنه دعا غلامًا له، فلم يجبه، فدعاه ثانيًا فلم يجبه، فقام إليه فرآه مضطجعًا، فقال: أما تسمع يا غلام؟ قال: بلى فقال: ما حملك على ترك إجابتي؟

قال: أمنت عقوبتك، فتكاسلت، قال: امض، فأنت حرٌّ لوجه الله.

وهذا سيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه يأتيه غلام له وقد كسر رجل شاة له، فسأله أبو ذر: من كسر رجل هذه الشاة؟

قال: فعلته أنا عمدًا، لأغيظك، فتضربني، فتكون آثمًا.

فقال أبو ذر رضي الله عنه : والله لأغيظن من حرضك على غيظي، فأعتقه

يخاطبني السفيهُ بكل قبح ... فأكره أن أكون له مجيبًا
يزيد سفاهة فأزيد حلمًا ... كعودٍ زاده الإحراق طيبًا

وجاءه رجل وقال له: أنت الذي نفاك معاوية من الشام، ولو كان فيك خير

(١) رواه البخاري ومسلم.

ما نفاك، فقال له: يا ابن أخي، إنَّ ورائي عقبة كؤودًا، إن نجوت منها، لم يضرني ما قلت، وإن لم أنج منها، فأنا شر مما قلت.

وشتم رجل زين العابدين (عليَّ بن الحسين) ﷺ وهو يعظ الناس في مسجد رسول الله ﷺ وأخذ الرجل يسبه دون أي سبب، فلما انتهى الدرس، قال له: إن كنت صادقًا فيما قلت عني، فغفر الله لي، وإن كنت كاذبًا، فغفر الله لك،

أحب مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب أو أعابا

وأصفح عن سباب الناس حلمًا وشر الناس من يهوى السبابا

وسب رجل زين العابدين (عليَّ بن الحسين) فرمى إليه بخميصة، كانت عليه بألف درهم، الله أكبر ذرية بعضها من بعض.

ذُكر أنَّ رجلًا من أهل الشام، دخل المدينة المنورة، فرأى شابًّا حسن الهيئة، جميل المنظر، نظيف الثياب، راكبًا دابة قوية نشيطة، فامتلأ قلبه حقدًا وحسدًا عليه، وتقدم إليه، وقال له: أأنت ابن أبي طالب؟ فقال الحسن: أنا ابن ابنه، فقال الرجل: لقد قلت فيك، وفي أبيك كلامًا قبيحًا أشتمكما به، وذكر له ذلك الكلام.

فقال الحسن: أظنك غريبًا، فقال الرجل: نعم.

فقال الحسن: إذا احتجت إلى منزل أسكنتك، أو إلى مال أعطيتك، أو إلى حاجة ساعدتك، فعجب الرجل من حلم الحسن، وانصرف وهو يقول: ليس على وجه الأرض شيء أحب إليَّ من هذا الشاب، أسأت، فأحسن إليَّ ما هذا الأدب؟ وما هذه الأخلاق الفاضلة؟

اعرض عن الجاهل السفيه فكلما قال فهو فيه

ما ضر بحر الفرات يومًا أن خاض بعض الكلاب فيه

شتم رجل إبراهيم بن أدهم رحمه الله وأخذ بلحيته، وقال له: لذقن الكلب خير من ذقنك، فماذا قال له؟ وبمَ ردَّ عليه؟

قال له: يا هذا إن كانت ذقني في الجنة، فهي خير من ذقن الكلب، وإن كانت في النار، فذقن الكلب خير منها.

أحبتي في الله...

أبعد هذا الحسن والكمال في الحلم والأخلاق أخلاق تحاكي هذه النخبة الطاهرة.

لقد خرج هذا الذي بلغ هذه المنزلة في الأخلاق يومًا إلى إحدى البراري، فقابله جندي، فقال له: أنت عبد؟ قال له: نعم.

قال له: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة.

فقال الجندي: إنما أردت العمران، فقال: هو المقبرة، فاغتاظ منه، فضربه بالسوط، فشج رأسه، ورده إلى البلد، فاستقبله أصحابه، فقالوا: ما الخبر؟ فأخبرهم الجندي ما قال له، فقالوا: هذا إبراهيم بن أدهم، فنزل الجندي عن فرسه، وقبل يديه ورجليه، وجعل يعتذر إليه، فقيل له بعد ذلك: لم قلت له: أنا عبد؟ فقال: إنه لم يسألني: عبد من أنت؟ وقد قال لي: هل أنت عبد؟ فقلت: نعم، لأني عبدٌ لله عز وجل، فلما ضرب رأسي، سألت الله له الجنة، فقيل له: كيف وقد ظلمك؟

فقال: علمت أنني أؤجر على ما نالني منه، فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر[1].

وشتم رجل بكر بن عبد الله المزني رحمه الله وبالغ في شتمه، وهو ساكت فقيل له: ألا تشتمه كما شتمك؟ فقال: إني لا أعرف له شيئًا من المساوئ حتى أشتمه به، ولا يحل لي أن أرميه بالكذب.

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٦) للغزالي.

أيها المسلمون . . عباد الله...

هكذا كانت أخلاق رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وخلق السلف الصالح - رضوان الله عليهم - فهل تأملنا أخلاقنا، وأخلاق أبنائنا في عصرنا هذا، إنه مما يؤسف له أن الكثير من الناس قد تجردوا من لباس الأخلاق، أخلاق القرآن، أخلاق الرسول، أخلاق الصحابة والتابعين في الوقت الذي نشط فيه أعداء الإسلام بنشر الغزو الأخلاقي المركز المختلف الوسائل، المتعدد القوالب ضد المسلمين، وضد أسرهم ومجتمعاتهم، فما هي النتيجة؟

لقد انتشر الفساد، وكثرت المخالفات والمنكرات، وانتشر سوء الأخلاق، وقلة الحياء في سلوك كثير من الناس ومعاملاتهم، فهل من عودة يا أمة الإسلام، يا أمة القرآن، يا أمة الأخلاق؟

هل من يقظة يا شباب الإسلام ترشد إلى المثل العليا، وتبعد عن سيئ الأخلاق، ومساوئ الأعمال؟!

هل من عودة لمثل أخلاق رسول الله ﷺ وصحابته - رضوان الله عليهم - ومن سار على دربهم، ونهج نهجهم؟

هذا هو رجاؤنا في مولانا ﷻ، وعلينا الصدق والعمل، والله المستعان قال ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْـجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ**».

عباد الله...

إن الذنب لا ينسى، والديان لا يموت، واعمل ما شئت كما تدين تدان، والتائب حبيب الرحمن، أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». ادعوا الله.



الخطبة الثانية

الحمد لله، الكريم الفتاح، أهل الكرم والسماح، المجزل لمن عامله بالأرباح، سبحانه فالق الإصباح، وخالق الأرواح أحمده سبحانه على نعم تتجدد بالغدو والرواح، وأشكره على ما صرف من المكروه، وأزاح.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة بها للقلب انفساح وانشراح.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، الذي أرسله بالهدى والصلاح.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله وأصحابه ما بدا نجم ولاح.

أما بعد...

أيها الموحدون...

ولأهمية الأخلاق كانت أخلاق العبد السيئة، وسلوكياته المشينة تأكل خيرات، وتجعله مفلسًا من الحسنات، وتحمّله من غيره الأوزار والسيئات وتقذف به في الدركات، حتى ولو صلى وصام، وعمل الصالحات، قال سيد الكائنات عليه أفضل الصلوات يومًا لأصحابه: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْـمُفْلِسُ؟**».

قَالُوا: الْـمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ:«**إِنَّ الْـمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ**».

أجهد نفسه في فعل الطاعات، وأسهر ليله، وصام نهاره، وتكبد سفرًا في الحج إلى بيت الله الحرام، فلما وقف بين يدي الجليل المتعال، فوجئ برصيد هائل من

الديون، فقد شتم، وضرب، وسفك، فوزعت حسنات النهار، وطاعات الليل، سدادًا لتلك الديون في يوم الجزاء والنشور، فهذا خادم مغبون، وذاك عامل مظلوم، وهذا جارٌ له مشتوم، ويتيم أو ضعيف ماله مأكول ومهضوم، فوقف أمام الجميع بين يدي الجبار العظيم، وقلبه متأوه محزون، وانهمرت الدموع من العيون، هل من طريق للفرار من الديون، هذا وأمثاله يوم القيامة مفلسون.

ورد عن النبي ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال: «هِيَ فِي النَّارِ».

قالوا: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقتها، وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الإقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ».

عباد الله...

عليكم بتقوى، وحسن الخلق، واعلموا أن حسن الخلق له علامات، ذكرها لنا أصحاب الأخلاق الكريمة.

قال يوسف بن أسباط رحمه الله: علامة حسن الخلق عشر خصال: قلة الخلاف وحسن الإنصاف، وترك طلب العثرات، وتحسين ما يبدو من السيئات، والتماس المعذرة، واحتمال الأذى، والرجوع بالملامة على النفس، والتفرد بمعرفة العيوب، وطلاقة الوجه للكبير والصغير، ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه.

اللَّهُمَّ اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق والأقوال فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، اللَّهُمَّ أعذنا من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء.

اللَّهُمَّ اختم بالأعمال الصالحات أعمارنا وحقق بفضلك آمالنا وسهل لبلوغ رضاك سبلنا وحسن في جميع الأحوال أعمالنا يا منقذ الغرقى ويا منجي الهلكى ويا دائم الإحسان أذقنا برد عفوك من كرمك وجودك ما تقر به عيوننا من رؤيتك

في جنات النعيم واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ وفقنا لاتباع الهدى وجنبنا أسباب الهلاك والشقا واغفر لنا ولوالدينا.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك أن تمطر محل قلوبنا من سحائب برك وإحسانك وأن توفقنا لموجبات رحمتك وعزائم مغفرتك إنك جواد كريم رؤوف غفور رحيم.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا، وعلمًا متقبلًا، ونسألك بركة الحياة وخير الحياة، ونعوذ بك من شر الحياة، وشر الوفاة.

اللَّهُمَّ إنا نسألك نفسًا مطمئنة، تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك، يا أرأف الرائفين، وأرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ إنا نسألك التوفيق لما تحبه من الأعمال، ونسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ اجعلنا من عبادك المخبتين، الغر المحجلين الوفد المتقبلين.

اللَّهُمَّ إنا نسألك حياة طيبة، ونفسًا تقية، وعيشة نقية، وميتة سوية ومردًّا غير مخز ولا فاضح.

اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم. وأقم الصلاة.

الخطبة الثامنة

بر الوالدين طريق إلى الجنة

الحمد لله، إلهي...

أيا من كل ما نودي أجابا ... ومن بجلاله ينشئ السحابا
وكلم في الدجى موسى بلطف ... كلامًا ثم ألهمه الخطابا
ويا من ردّ يوسف بعد بُعدٍ ... وكان أبوه ينتحب انتحابًا
ويا من خصّ أحمد واصطفاه ... وأعتق من شفاعته الرقابا
لك الفضل المبين على عطاء ... مننت به وضاعفت الثوابا

نحمدك يا ربنا كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك، نحمدك حمدًا يليق بذاتك، ونشكرك شكرًا يستلهم المزيد من خيراتك وإنعامك وإفضالك.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ذو الجلال والإكرام، إذا اشتد المرض بالمريض، وضعف جسمه، وشحب لونه، وقلت حيلته، وضعفت وسيلته، وعجز الطبيب، وحار المداوي، وجزعت النفس، واتجه إلى العلي القدير، فنادى: يا الله، يا الله، زال الداء، ودب الشفاء، وسُمع الدعاء، إذا مرضت فقل: يا الله، إذا ضاقت بك الدنيا، فقل. يا الله، إذا تعسرت الأمور، فقل: يا الله، إذا أجدبت الأرض، فقل: يا الله، إذا رقدت على فراش الموت، فقل: يا الله، إذا جاءك ملك الموت، فقل: يا الله، يا الله، يا الله.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله، بعثه بالنور المضيء، والبرهان الجلي، أسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، أرسله ربه بحجة كافية، وموعظة شافية، فأظهر به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، اللَّهُمَّ صلِّ

وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون.

أما بعد...

أيها المسلمون . . أحباب الحبيب محمد ﷺ...

وما زال لقاؤنا مستمرًّا ومتواصلًا مع الطريق إلى الجنة، وطريق اليوم طريق شاق، وهو بر الوالدين، بر الآباء والأمهات، يقول سيد الكائنات ﷺ: «**الجنة تحت أقدام الأمهات**»(١).

وروى أحمد وغيره من حديث جاهة أنه رضي الله عنه جاء للنبي ﷺ يومًا، فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو في سبيل الله، وجئت أستشيرك فقال له المصطفى ﷺ: «**هل لك من أم؟**».

قال: نعم، فقال له الحبيب المصطفى ﷺ: «**الْـزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْـجَنَّةُ، الْـزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْـجَنَّةُ**»(٢).

وهذان الحديثان بينا فضل الأم وحدها، وهي مقدمة في الفضل والبر عن الأب، هي مقدمة في البر؟ نعم.

ألم يرو في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**».

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**».

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**».

---

(١) ضعيف: ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٦٦٦).

(٢) حسن: رواه النسائي وأحمد في «مسنده» والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٥١)، وقال: صحيح الإسناد، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٤٨).

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»(١).

وقدمت الأم لما يصيبها من آلام من حين أن يكون جنينًا في أحشائها، حتى يخرج إلى هذه الحياة، من ساعة أن كان جنينًا في بطنها، كان الجنين يتحرك من ناحية إلى ناحية، قاست مرارة الوحم، ولما نما وزنه، لم يدعها تهنأ بطعام ولا شراب، ولا تهدأ في نوم، فإذا ما حلَّ بها الشهر التاسع، واقتربت ساعة الخروج إلى الدنيا، ففي هذا الوقت لا هو يرغب في البقاء، ولا هو براغب في الخروج، وهنا الشدة التي لا تطاق؛ لأنه ربما لا يخرج الجنين أو الطفل إلا قيصريًّا، فيمزق الطبيب لحمها، وتتسابق روحه في الخروج، وربما سبقت روحها إلى الموت، ويحيا هو ويخرج إلى الحياة، ويخرج معه همومه، وحينئذ تقاسي الأم آلام الرضاع وسهر بالليل، ونصب بالنهار في سبيل رعايته.

تحرم نفسها الطعام والشراب إن مرض أو أصابه مكروه، تذبل الأم لذبول ولدها وتغيب بسمتها إن غابت ضحكته، وتذرف الدموع إذا ألم به سوء، وتتحمل الذل والشقاء كي يحيا ويسعد ولدها، لأجل ذلك قال الله ﷻ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤].

لكن هناك أحاديث أخرى جاءت ببرهما معًا، كحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه مسلم في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ».

إنه تهديد ووعيد بأسلوب من أفصح الأساليب البلاغية، ففيه دعاء عليه بالذلة والندامة والخسران، فقال الجالسون حوله من الصحابة - رضوان الله عليهم -: من يا رسول الله؟ قال: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا،

---

(١) رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْـجَنَّةَ»(١)، فالبر سبب مباشر، وطريق واضح من طرق دخول الجنة والنجاة من النيران.

عباد الله...

وبر الوالدين من أعظم القربات التي يتقرب بها إلى رب الأرض والسموات، أعظم قربة يتقرب بها بعد توحيد الله ﷻ، وبعد الصلاة لوقتها، قال الله ﷻ: ﴿ **وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا** ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا** ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ وقلت له: أي العمل أحب إلى الله ﷻ؟ فقال الحبيب النبي ﷺ: «**الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا**».

قلت: ثمَّ أي؟ قال: «**بِرُّ الْـوَالِدَيْنِ**».

قلت: ثمَّ أيّ؟ قال: «**الْـجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(٢).

فقد قدم أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله.

بر الوالدين مفتاح من أعظم مفاتيح الفرج، فإن أردت أخي الحبيب أن يفرج الله كربك، ويزيح همك وغمك، فعليك ببر والديك، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْـمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ** - أي لما جن عليهم الليل دخلوا غارًا في بطن جبل ليبيتوا فيه - **فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْـجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْـغَارَ** فماذا يفعلون؟ ما المخرج من هذا المأزق العصيب؟ ما النجاة من هذا الموقف الشديد؟ قال أحدهم: **إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللَّـهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ**.

(١) رواه مسلم (٢٥٥١).

(٢) رواه البخاري وغيره.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ - وهذا هو الشاهد في هذا الحديث - **اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلاَ مَالًا** - أي لا أسقي أحدًا من اللبن قبل أبواي -، **فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا**، فلما عاد متأخرًا وجدهما قد ناما، فماذا فعل؟ يقول: **فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا ، حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا**». - أي أن أولاده كانوا يبكون ويصرخون من شدة الجوع، هم يريدون الشراب، هم يريدون اللبن، لكنه لا يقدم أحدًا على والديه، بل لابد أن يشرب أبوه وتشرب أمه، ثم أولاده بعد ذلك. نقول: هذا الحديث ونذكر به من سولت له نفسه، ووسوس له شيطانه أن يخفي الفاكهة عن والديه، لماذا؟ ليقدمها إلى زوجته، ويحرم منها أبويه، فيا من تبالغ في إكرام زوجتك، ست الحسن والجمال، على حساب أمك، اعلم أن عملك غير مقبول عند الله ﷻ، لن تنفعك زوجتك، لن ينفعك أولادك لن ينفعك إلا برك بوالديك، لأن الله ﷻ أمرك به في كتابه، فماذا قال هذا الرجل الذي وقعت عليه الصخرة هو ومن معه - قال: **اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ**»(١).

أرأيتم كيف أن بر الوالدين يفرج الكروب، ويزيح الهموم؟!

أيها الموحدون الكرام...

بر الوالدين سبب من أسباب سعة الرزق، وزيادة العمر، قال - صلوات ربي وسلامه عليه -: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ، وَيُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**».

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية عند البيهقي: «فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(١).

بر الوالدين سبب لقبول الأعمال، والتجاوز عن السيئات، قال الله ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝﴾ [الأحقاف: ١٥، ١٦].

بر الوالدين كفارة لكبائر الذنوب، كالقتل وغيره، قال مكحول: بر الوالدين كفارة للكبائر، ولا يزال الرجل قادرًا على البر ما دام في فصيلته من هو أكبر منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا جاءه، فقال: إني خطبت امرأة، فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري، فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا، قال: تب إلى الله ﷻ، وتقرب إليه ما استطعت، فذهبت وسألت ابن عباس - أي ذهب عطاء بن يسار، وسأل ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: لأني لا أعلم عملًا أقرب إلى الله ﷻ من بر الوالدة(٢).

ومن أرق ما قرأت ما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أبايعك على الهجرة والجهاد في سبيل الله، فقال له المصطفى ﷺ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟». قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلاَهُمَا. قَالَ ﷺ: «فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّـهِ؟». قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»(٣).

(١) رواه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٢) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد (٤)، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٥٤٩)، والبخاري (٣٠٠٤).

قال النووي رحمه الله: في الحديث دليل لعظم فضيلة بر الوالدين، وأنه آكد من الجهاد في سبيل الله.

لقد شهد سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رجلًا من اليمن، يطوف بالبيت الحرام حاجًّا، وهو يحمل أمه على ظهره، ويقول:

إني لهـا بعـيرها المـذلل إن أذعـرت ركابهـا لم أذعـر
الله ربي ذو الجـلال الأكـبر
حملـتها أكثـر ممـا حملـت فهـل تـرى جازيـتها يـا ابن عمر؟

ثم قال: يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة[1].

عباد الله...

ورضي الله عن سلفنا الصالح، فقد كانوا أبر الناس بآبائهم وأمهاتهم، ولو ذكرنا أحوالهم في البر، لاستصغرنا أنفسنا واحتقرناها في جانب برنا لآبائنا لقد قال رجل لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنَّ لي أمًّا بلغ منها الكبر عتيًّا وإنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية، فهل أديت حقها؟ قال: لا، لأنها كانت تصنع بك ذلك، وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها.

وكان طلق بن حبيب رحمه الله من العباد والعلماء العاملين، كان يقبل رأس أمه، وكان لا يمشي فوق ظهر بيت، وهي تحته، إجلالًا لها.

وكان الفضل بن يحيى أبر الناس بأبيه، بلغ من بره إياه أنهما كانا في السجن وكان يحيى لا يتوضأ إلا بماء ساخن، فمنعهما السجان من إدخال الحطب في ليلة باردة، فلما نام يحيى، قام الفضل إلى قمقمة وملأها ماء، ثم أدناه من المصباح، ولم يزل قائمًا - وهو في يده - حتى أصبح.

---

(١) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد، والبيهقي في شعب الإيمان.

ورأى كهمس بن الحسن عقربًا في البيت، فأراد أن يقتلها، أو يأخذها، فسبقته إلى جحرها، فأدخل يده في الجحر يأخذها، فجعلت تضربه، فقيل له: ما أردت إلى هذا؟ لمَ أدخلت يدك في جحرها تخرجها؟

قال: إن خفت أن تخرج من الجحر، فتجيء إلى أمي فتلدغها.

وكان حيوة بن شريح - وكان أحد الأئمة الأعلام - يقعد في حلقته، يُعلِّم الناس، فتقول له أمه: قم يا حيوة، فألق الشعير للدجاج، فيقوم ويترك مجلس العلم بين طلابه وتلامذته، تنفيذًا لأمر أمه وطاعة لها.

وذكر أبو نعيم في الحلية (٤/ ٧، ٨): عن طاووس اليماني رحمه الله قال: كان رجل له أربعة بنين، فمرض، فقال أحدهم: إمَّا أن تمرضوه، وليس لكم من ميراثه شيء وإما أن أمرضه، وليس لي من ميراثه شيء.

قالوا: مرِّضه وليس لك من ميراثه شيء، فمرضه حتى مات، ولم يأخذ من ميراثه شيئًا، قال: فأتى في النوم، فقيل له: ائت مكان كذا وكذا، فخذ منه مائة دينار، فقال: أفيها بركة؟ قالوا له: لا.

قال: فأصبح، فذكر ذلك لامرأته، فقالت: خذها، فإن من بركتها أن نكتسي منها، ونعيش منها.

فأبى - رفض - فلما أمسى أتى في النوم، فقيل له: ائت مكان كذا وكذا، فخذ منه عشرة دنانير، فقال: أفيها بركة؟

قالوا: لا، فلما أصبح، قال ذلك لامرأته، فقالت له مثل مقالتها الأولى فأبى أن يأخذها، فأتى في الليلة الثالثة، فقيل له: ائت مكان كذا وكذا، فخذ منه دينارًا، فقال: أفيه بركة؟ قالوا: نعم.

قال: فذهب، فأخذه ثم خرج به إلى السوق، فإذا هو برجل يحمل حوتين - أي سمكتين كبيرتين - فقال: بكم هما؟

قال: بدينار، فاشتراهما منه بدينار، ثم انطلق بهما، فلما دخل بيته شق بطنهما، فوجد في بطن كل واحدة منهما درة لم ير الناس مثلها.

قال: فبعث الملك يطلب درة يشتريها، فلم توجد إلا عنده، فباعها بوقر ثلاثين بغلًا ذهبًا، فلما رآها الملك قال: ما تصلح هذه إلا بأخت، اطلبوا أختها، وإن أضعفتم، فجاءوه فقالوا له: أعندك أختها، ونعطيك ضعف ما أعطيناك؟ قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم، فأعطاهم إياها بضعف ما أخذوا الأولى.

هكذا يكون جزاء البر بالوالدين، تجد جزاؤه في دنياك قبل أخرك، في دنياك سعة في الرزق، وتفريج للهموم، ويجلب التوفيق، ويكون سببًا في حسن خاتمة المرء، وسببًا لقبول الأعمال، وفي الآخرة رضا الرحمن، فقد قال النبي العدنان ﷺ: «**رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما**»، ومن فاز برضوان الله فهو الفائز، ومن باء بسخطه فهو الخاسر.

كان الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله من أبر الناس بأمه، بل بوالديه فكان يدعو لهما ويستغفر لهما مع شيخه حمَّاد، وكان يتصدق بعشرين دينارًا في كل شهر عنهما.

ولما سجن الإمام بسبب رفضه للقضاء، كانوا يخرجونه من السجن، فيضرب. ليدخل القضاء، لكنه يأبى، فلما ضربوه على رأسه، وأثر ذلك على وجهه، بكى بكاء شديدًا، فقيل له في ذلك، فقال: إذا رأته أمي بكت واغتمت، وما عليَّ شيء أشد من غم أمي.

وكانت لمسعر بن كدام رحمه الله أم عابدة، تحب الصلاة في المسجد، وتحافظ عليها، فكان يحمل لها لبدًا، ويمشي معها، حتى يدخلها المسجد، فيبسط لها اللبد. فتقوم فتصلي، ويتقدم هو إلى مقدم المسجد، فيصلي، ثم يجلس، لكي يحدث الناس، ثم ينصرف إليها، فيحمل لبدها، وينصرف معها.

أحبتي في الله...

يقول النبي ﷺ: «**ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْـوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ، وَدَعْوَةُ الْـمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْـمُسَافِرِ**»(١).

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، والتائب حبيب الرحمن. أو كما قَالَ. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الكريم الرؤوف الرحيم المجيد، والحمد لله الذي بحمده تستفتح أبواب المزيد، نحمده كما يجب لجلاله، وكما ينبغي له من التحميد.

وأشهد أن لا إله إلا الله، العزيز الحميد، شهادة ننجو بها من الفزع الأكبر يوم الوعيد.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، البشير النذير الشهيد، اللَّهُمَّ فصلِّ وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أئمة العدل والتوحيد.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

ومع كثرة النصوص والآثار الدالة على عظم شأن الوالدين، ورفع مكانهما إلا أن بعض الناس قد أخلوا بهذا الجانب إخلالًا عظيمًا، فكم سمعنا وقرأنا وشاهدنا كثيرًا من مظاهر العقوق.

والعقوق من أكبر الكبائر، ففي الصحيحين من حديث أبي بكرة أن النبي ﷺ قال: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْـكَبَائِرِ**».

قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّـهِ.

(١) حسن: رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٣١).

قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّـهِ، وَعُقُوقُ الْـوَالِدَيْنِ».

وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: «أَلاَ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَشَهَادَةُ الزُّورِ».

فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ(١).

عقوق الوالدين يحبط الأعمال، قال ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لا يُقْبَلُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ صَرْفٌ، وَلا عَدْلٌ: عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ، وَمُكَذِّبٌ بِقَدْرٍ**»(٢).

وكما أن عقوبة البر معجلة، فعقوبة العقوق هي الأخرى معجلة، قال ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّـهُ لِصَاحِبِهِ الْـعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْـبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**».

وفي بعض الروايات كما في الأدب المفرد للبخاري: «**بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق**».

وإذا كان البر والإحسان إلى الوالدين يوجب دخول الجنة، فإن العقوق موجب لدخول النار، وبئس القرار، قال ﷺ: «**ثَلاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّـهُ عَلَيْهِمُ الْـجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْـخَمْرِ، وَالْـعَاقُّ، وَالْـدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْـخَبَثَ**».

وصور العقوق كثيرة لا تحصى، فكم نجد ونسمع من يلتمس رضا زوجته، ويقدمه على رضا والديه، فربما لو غضبت الزوجة، لأصبح الزوج طوال اليوم كئيبًا حزينًا لا يبتسم، ولا يفرح بخبر سار، حتى ترضى زوجته الميمون، ست الحسن والجمال، في حين أن أبواه غضبا عليه لا يحدث شيئًا من ذلك.

ذكر أحد بائعي الجواهر - الذهب والفضة - قصة غريبة، وصورة من صور العقوق يقول: دخل عليَّ رجل ومعه زوجته، ومعهم عجوز تحمل ابنهما الصغير

(١) رواه البخاري (٢٦٥٣)، ومسلم.

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، وابن أبي عاصم في «السنة»، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٧٥٨).

- هي أمه - أخذ الزوج يضاحك زوجته، ويعرض عليها أفخر أنواع الحلي والمجوهرات، فلما راق لها نوع من المجوهرات، دفع الزوج المبلغ، وبقي حوالي ٨٠ ريالًا، وكانت الأم الرحيمة التي تحمل طفلها قد رأت خاتمًا، فأعجبها، لكي تلبسه في العيد، فسأل الجواهرجي: لماذا الثمانون ريالًا؟ قال: لأجل هذه المرأة، لأنها قد أخذت خاتمًا، فصرخ بأعلى صوته: العجوز لا تحتاج إلى الذهب، فألقت الأم الخاتم وانطلقت إلى السيارة باكية من حرمان ولدها وعقوقه، فعاتبته الزوجة قائلة: لماذا أغضبت أمك فمن يحمل ولدنا بعد اليوم؟

ذهب الابن إلى أمه، وعرض عليها الخاتم، فقالت: والله ما ألبس الذهب حتى أموت، ولك يا بني مثله.

هذه صورة من صور العقوق، يدخل الزوج وهو يعيش مع والديه، أو والداه يعيشان عنده، يدخل البيت معبس الوجه، مكفهر الجبين، فإذا دخل غرفة نومه سمعت الأم الضحكات تتعالى من وراء باب الحجرة، أو يدخل ومعه هدية لزوجته فيعطيها، ويدع أمه، هذا نوع من العقوق.

فيا أخي، من أحق بالبر المرأة التي هي سبب وجودك، والتي حملتك في بطنها تسعة أشهر، وتألمت من حملك، وكابدت آلام وضعك، بل وغذتك من لبنها وسهرت ونمت، وتألمت لألمك، وسهرت لراحتك، وحملت أذاك وهي غير كارهة وتحملت أذاك وهي راضية، فإذا صرت كبيرًا عاقلًا، ورجت منك أن تبرها عققتها، وبررت امرأة لم تعرفها إلا منذ سنة أو سنتين أو أكثر أو أقل.

وهذه قصة في الواقع قد حدثت، حدثني بها أحد الزملاء يقول:

خرجت للنزهة مع أهلي على شاطئ البحر، ومنذ أن ذهبنا هناك رأينا امرأة عجوزًا جالسة على بساط صغير، كأنها تنتظر أحدًا، يقول: فمكثنا طويلًا، حتى إذا أردنا الرجوع إلى شقتنا وفي ساعة متأخرة من الليل، فوجدت العجوز جالسة

كما هي، فقلت لها: ما أجلسك هنا يا خالة؟ فقالت: إن ولدي تركني هنا، وسوف ينهي عملًا له، وسوف يأتي، فقال لها: يا خالة الساعة متأخرة، ولن يأتي ولدك بعد هذه الساعة.

قالت: دعني وشأني، وسوف أنتظر ولدي إلى أن يأتي، وبينما هي ترفض الذهاب إذا بها تحرك ورقة في يدها، فقال لها: يا خالة، هل تسمحين لي بهذه الورقة؟ يقول في نفسه: علني أجد رقم الهاتف أو عنوان المنزل.

اسمعوا يا إخوان، ماذا وجد في هذه الورقة، مكتوب فيها: إلى من يعثر على هذه العجوز، نرجو منه أن يسلمها إلى دار العجزة عاجلًا.

يا سبحان الله، هل هذا هو جزاء الأم التي سهرت وتعبت، وتحملت الألم والأذى؟

أحبتي في الله...

إني أدعوكم جميعًا ألا تخرجوا من هذا المسجد المبارك إلا وقد عاهدتم الله ﷻ أنه من كان بينه وبين والديه خلاف أو قطيعة، أن يصلح ما بينه وبينهم، ومن كان مقصرًا في بر والديه، فليعاهد الله أن يبذل وسعه في بر والديه، ومن كان بارًّا بهما، فليحافظ على ذلك، وإن كانا قد ماتا، فليتصدق عنهما، ويبرهما بدعوة صالحة أو عمل صالح يهدي ثوابه لهما، جاء رجل إلى النبي ﷺ قائلًا: هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال ﷺ: «**نَعَم الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا**، - أي الدعاء لهما - **وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِى لاَ تُوصَلُ إِلاَّ بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا**»(١).

فهل تعجز عن ذلك يا من فقدت والدك، يا من فقدت أمك، صل عمك

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد (٤/ ١٥٥)، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (١١٠١).

بعد موت أبيك، صل خالتك بعد موت أمك، لا تبخل بالدعاء لهما، وأما أنت أيها العاق، فاعلم أنك مجزي بعملك في الدنيا والآخرة.

يقول العلماء: كل عقوبة تؤخر عقوبتها بمشيئة الله إلى يوم القيامة إلا العقوق فإنه يعجل في الدنيا، وكما تدين تدان.

اللَّهُمَّ اجعلنا بارين بآبائنا وأمهاتنا، اللَّهُمَّ رضنا وارض عنا، وأكرمنا ولا تهنا وكن لنا ولا تكن علينا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا، وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إمامًا، اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللَّهُمَّ ثبت قلوبنا على الإيمان بك.

اللَّهُمَّ وفقنا للعمل بكتابك واتباع شرعك، اللَّهُمَّ أعنا على أعمال الخير والبر والإحسان، اللَّهُمَّ إنا نسألك الصِّدق في العمل والاستقامة على الحق في الغضب والرضى، اللَّهُمَّ امنحنا برحمتك التوفيق والحكمة والسداد، اللَّهُمَّ ارزقنا الصبر على طاعتك وعلى أقدارك المؤلمة والصَّبر عن معصيتك يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ أصلح أزواجنا وذرياتنا وهب لنا منهم قرة أعين يا حي يا قيوم، اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تنصر المسلمين في كل مكان.

اللَّهُمَّ انصر المستضعفين من المؤمنين في كل مكان، اللَّهُمَّ واجعلهم حاملين لشرعك رافعين لراية توحيدك يا ربَّ العالمين داعين إلى دينك كما دعا إليه نبيك ﷺ، اللَّهُمَّ وألهمهم رشدهم وقهم شرور أنفسهم، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، فرِّج همَّ المهمومين، ونفس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا أجمعين، اللَّهُمَّ فك أسر المأسورين من إخواننا المسلمين في كل مكان.

اللَّهُمَّ ارحم غربتهم، اللَّهُمَّ آنس وحشتهم، اللَّهُمَّ نفس كربتهم، اللَّهُمَّ ردهم سالمين غانمين، اللَّهُمَّ لا تجعل لكافر على مؤمن سبيلًا، اللَّهُمَّ نورّ على

أهل القبور قبورهم، واغفر للأحياء ويسر لهم أمورهم.

اللَّـهُمَّ اجعل آخر كلامنا من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتوفنا وأنت راض عنا غير غضبان، اللَّـهُمَّ تُب علينا توبة نصوحًا ترضيك عنا، اللَّـهُمَّ لا تفرق جمعنا هذا إلا بذنب مغفور وسعي مشكور وعمل متقبل مبرور، اللَّـهُمَّ اغفر لآبائنا وأمهاتنا واغفر لمشايخنا ولمن علمنا وتعلم منا، اللَّـهُمَّ أحسن إلى من أحسن إلينا.

اللَّـهُمَّ إنا نسألك أن ترفع عنا الربا والزنا وأسبابه، وأن تدفع عنا الزلازل والمحن والفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّـهُمَّ اجعلنا باذلين للخير صانعين له.

اللَّـهُمَّ اجعل قضاء حوائج النَّاس على أيدينا، اللَّـهُمَّ من آتيته منا مالًا أو جاهًا أو منصبًا فاجعله في سبيلك، وعونًا على طاعتك، وطريقًا لبذل المعروف لعبادك وقضاء حوائجهم، وتفريج كرباتهم يا حي يا قيوم نسألك أن تلين قلوبنا لطاعتك وأن تجعلنا من المحافظين على أوامرك ومن المجتنبين لكل ما نهيت عنه يا ربَّ العالمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم. وأقم الصلاة.

الخطبة التاسعة

من حفظ ما بين لحييه (أي لسانه) دخل الجنة

الحمد لله، الصبور الشكور، العلي الكبير، السميع البصير، العليم القدير، الذي شملت قدرته كل مخلوق، وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور، وأسمعت دعوته لليوم الموعود، أصحاب القبور سبحانه سبحانه، قدر مقادير الخلائق وآجالهم، وكتب آثارهم وأعمالهم وقسم بينهم معايشهم وأموالهم، كل عسير عليه يسير، وهو المولى النصير، فنعم المولى، ونعم النصير.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إله جل عن الشبيه والنظير، وتعالى عن الشريك والظهير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، مكرم من اتقاه، ومهين من عصاه، ومعز من انقطع إليه، ومذل من تمرد عليه.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، رفع الله له قدره، وقرن اسمه باسمه، فلا يقال: لا إله إلا الله، إلا ويقال بعدها: محمد رسول الله.

أغـــرُّ علـــيه للنـــبوة خـــاتم ... مـــن الله مـــشهود يلـــوح ويـــشهد

وضـم الإلـه اسـم النبي إلى اسمه ... إذا قـال في الخمـس المـؤذن أشـهد

وشـــق لـــه مـــن اســـمه لـــيجله ... فـذو العـرش محمـود وهـذا محمـد

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه، صلاة تفتح لنا بها أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنّا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًّا ونصيرًا، فأنت يا ربنا نعم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

نحن اليوم على موعد بلقاء، لقاؤنا مع السلسلة المباركة «الطريق إلى الجنة» وهذا هو اللقاء التاسع.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم الذي جمعنا في هذا اللقاء المبارك، وهذا المسجد المبارك أن يجمع بيننا وبين حبيبنا ﷺ في الفردوس الأعلى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وطريقنا اليوم أشار إليه الحبيب النبي ﷺ كما في البخاري من حديث سهل ابن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ**».

ويضمن من الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية، فأطلق الضمان، وأراد لازمه وهو أداء الحق الذي عليه، وبين لحييه العظمان بجانبي الفم، وأراد بما بينهما اللسان، وما يتأتى به من النطق وغيره، فيشمل سائر الأقوال، والأكل والشرب، وسائر ما يتأدى بالفم، والنطق باللسان أصل كل مطلوب.

وما بين رجليه - أي الفرج.

والمعنى أن من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بالواجب، والصمت عما لا يعنيه، وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال، وكفه عن الحرام.

أضمن له الجنة - أي دخولها إياه.

أحبتي في الله...

ما أكثر ما يدور بين الناس من كلام، ويملأ مجالسهم من حديث، فإذا تأملت ما قالوا، وجدت أكثره اللغو الضائع، أو الهذر الضار، وما لهذا ركب الله ﷻ الألسنة في الأفواه، بل وجعل للمرء لسانًا واحدًا، وأذنين، أتدرون لماذا؟ لكي نسمع أكثر مما نتكلم، لذا قال ربنا ﷻ عن ذلك ﴿ **لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء: ١١٤].

وقد اهتم الإسلام، واعتنى عناية كبيرة بموضوع الكلام، وأسلوب أدائه،

لأن الكلام الصادر عن إنسان ما يشير إلى حقيقة عقله، وطبيعة خلقه لذلك قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المرء بأصغريه: قلبه ولسانه.

فينبغي للمسلم أن يسأل نفسه قبل أن يحدث الآخرين، هل هناك ما يستدعي الكلام؟ فإن وجد داعيًا تكلم، وإلا فالصمت أولى.

ويكون الإعراض عن الكلام حين لا تكون له ضرورة، عبادة جزيلة الأجر.

وكلام ابن آدم كله محفوظ عليه، قال الله عز وجل: ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝** ﴾ [الانفطار: ١٠- ١٢].

وكل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ذكر الله عز وجل وما والاه، وفي حديث معاذ رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنحن مؤاخذون بما تقول ألسنتنا؟ قال: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ - أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**».

والمراد بحصائد الألسنة هو جزاء الكلام المحرم وعقوبته فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات أو السيئات، وكل سيحصد ما زرع يوم القيامة، فمن زرع خيرًا، حصد كرامة، ومن زرع شرًا، حصد ندامة، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه، وإنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يظن أن تبلغ ما بلغت يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**» وعند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لاَ يَرَى بِهَا بَأْسًا، يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ**».

عباد الله...

واللسان نعمة من نعم الرحيم الرحمن تبارك وتعالى، ورغم أنه عضو صغير الحجم إلا أنه عظيم الخطر والجرم، به يصون المرء ماله ونفسه وعرضه في الدنيا،

ويسعد به في الآخرة، حفظه الله بالأسنان والشفتين لكيلا تعجل بإطلاقه، فالمسلم يوظفه في الخير، يقرأ به القرآن، ويذكر به الرحمن، ويهلل به، ويصلي به على نبيه، ويأمر بالمعروف، وينهى به عن المنكر، ويدل على الخير، وينهى به عن الشر، ويصلح به بين الناس، ويقول الحق والصدق، وينشر به العلم، ويدعو به إلى الفضيلة، وينفر من الرذيلة.

وبنفس العضو، باللسان يرتكب الكذب والغيبة والنميمة، والحلف بغير الله والسب واللعن والشتم، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وغير ذلك.

فاللسان عضو عجيب، لذلك نرى الحكيم لقمان عليه السلام لما أمره سيده أن يذبح له شاة، قال له: ائتني بأطيب عضوين فيها، فأتاه بالقلب واللسان، وبعد أيام طلب منه أن يذبح له شاة، ويأتيه بأخبث عضوين، فأتاه بالقلب واللسان، فقال له: عجبًا لك يا لقمان، أمرتك أن تأتيني بأطيب عضوين، فأتيت بالقلب واللسان، وأمرتك أن تأتيني بأخبث عضوين فأتيت بالقلب واللسان، فقال له لقمان: يا سيدي، هما أطيب ما في البدن إذا طابا، وهما أخبث ما فيه إذا خبثا.

فاللسان سلاح ذو حدين، يستعمل في الخير، ويستعمل في الشر، ولذلك فإن أعضاء الجسد كلها تخشى اللسان، وتخشى عواقبه الوخيمة، فتخاطبه وتتوسل إليه أن يتقي الله فيها، في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّـهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ، اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ، اعْوَجَجْنَا**».

وقد جعل نبينا المصطفى ﷺ استقامة إيمان العبد بأمرين أو بعضوين استقامة القلب، واستقامة اللسان، فقال ﷺ: «**لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ**».

وأول مراحل هذه الاستقامة أن ينفض يديه مما لا شأن له به، وألا يقحم نفسه فيما لا يسأل عنه، لذا قال أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْـمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ**».

ولأجل ذلك رفع الله ﷻ لقمان الحكيم لحكمته، فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال: ألست عبد فلان الذي كنت ترعي غنمه بالأمس؟ قال: بلى، قال: «فما الذي بلغ بك ما أرى؟ قال: قدر الله، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وترك ما لا يعنيني».

ومن وصاياه لولده: يا بني، ما ندمت على السكوت قط، وإن كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب.

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض من شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان».

وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: خمس أحسن من الدُّهْم الموقفة - أي الجيدة - لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنه فضل، ولا آمن عليكم الوزر، ولا تتكلم فيما لا يعنيك، حتى تجد له موضعًا، فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه، فعيب به، ولا تمارِ حليمًا ولا سفيهًا، فإن الحليم يقليك، وإن السفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به، وأعفه مما تحب أن يعفيك عنه، واعمل عمل رجل يرى أنه مجازي بالإحسان مأخوذ بالإجرام».

والمسلم لا يستطيع أداء هذه الخصال الخمس إلا إذا ملك لسانه، وسيطر على زمامه بقوة، فكبحه حيث يجب الصمت، وضبطه حيث يريد المقال أما الذي تقودهم ألسنتهم إلى مصارعهم.

ولله در من قال:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

قال بعض الحكماء: الزم الصمت، تعد حكيمًا، جاهلًا كنت أو عالمًا.

وقال بعض الأدباء: سعد من لسانه صموت، وكلامه قوت.

وقال بعضهم: الزم الصمت، فإنه يكسبك صفو المحبة، ويؤمنك المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤنة الاعتذار.

عباد الله...

ينبغي على المسلم إذا نطق أن يختار الألفاظ التي تدل على حكمته، وتدل على علمه وخلقه، ولذلك يحكي أن نبي الله عيسى عليه السلام كان يمشي بطريق ومعه أصحابه في يوم من الأيام، فرأوا خنزيرًا أمامهم، فقال سيدنا عيسى عليه السلام للخنزير: انفذ بسلام، فقالوا: تقول هذا لخنزير؟

فقال: إني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء.

وزن الكــــلام إذا نطقـــت فـــإنما يــبدي عــيوب ذوي العيوب المنطق

والبعد عن اللغو من أركان الفوز والفلاح، فقد جاء في مفتتح سورة المؤمنون صفات أهل الإيمان والفوز والفلاح، قال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١ - ٤].

لقد جاءت صفة حفظ اللسان عن الخوض في اللغو والباطل بين ركنين من أركان الإسلام، وفريضتين من فرائضه، وهما: الصلاة والزكاة، وهذا يدل على أهمية حفظ هذا العضو الخطير.

ووصف الله عباد الرحمن بقولـه: ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا** ﴾ [الفرقان: ٦٣].

لا يقولون إلا الخير، لا يقولون شرًا ولا سوءًا، بل وذكر من صفاتهم أيضًا ﴿ **وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا** ﴾ [الفرقان: ٧٢].

ولله در ابن القيم رحمه الله **إذ يقول:** قد يتورع الرجل عن أكل الحرام، وهو في الوقت ذاته يفري في أعراض الأحياء والأموات في الليل والنهار، شر عظيم، وخطر جسيم.

لماذا ندنس ألسنتنا بالسوء؟ لماذا ندنس ألسنتنا بالكلام القبيح؟ لماذا ندنسها باللغو والباطل من الكلام؟

كيف وقد أخذ الله عز وجل العهد والميثاق على بني إسرائيل في عهد كليم الله موسى عليه السلام ألا يقولوا إلا الكلام الحسن الجميل، الكلام الطيب، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ [البقرة: ٨٣].

وإن الكلام الطيب ليجمل مع كل أحد من الناس، يجمل مع الصديق، ومع العدو فأمَّا مع الأصدقاء فهو يحفظ مودتهم، ويستديم صداقتهم، ويمنع كيد الشيطان ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا** ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٣].

أما مع الأعداء، فإنه يُذهب وحر الصدر - أي غيظه - وبسل السخائم والضغائن وبطفئ الخصومات، كما قال سبحانه: ﴿ **ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ** ﴾ [فصلت: ٣٤].

وفي تعويد الإنسان لسانه على الطيب من القول، ولطف التعبير، مهما اختلفت الأحوال بقول نبي الكمال ﷺ: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسطة الوجه، وحسن الخلق**»(١).

واسمعوا لهذه القصة اللطيفة الطريفة، والتي ذكرها صاحب كتاب الحاوي

---

(١) حسن: رواه أبو يعلى والبزار من طرق أحدها حسن جيد، قاله المنذري في «الترغيب»، وقال الألباني: حسن لغيره صحيح الترغيب رقم (٢٦٦١).

في الفتاوى، لترون حساسية السلف - رحمهم الله - ودقة حرصهم على انتقاء الألفاظ، حتى مع الحيوانات.

كان الشيخ تاج الدين بن السبكي، مع جماعة في دهليز داره، فمر بهم كلب يقطر ماءً يكاد يمس ثيابهم، يقول: فنهرته، وقلت: يا كلب ابن الكلب، وإذا بأبيه الشيخ العلامة تقي الدين السبكي قد سمعه من داخل البيت، فلما خرج على ولده، قال له: لم شتمته؟ فقال: ما قلت إلا حقًّا أليس هو بكلب ابن كلب؟ فقال: هو كذلك، إلا أنك أخرجت الكلام في مخرج الشتم والإهانة، ولا ينبغي ذلك.

قال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْـيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**».

عباد الله...

والإمساك عن فضول الكلام نجاة، قال عقبة بن عامر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما النجاة؟ فقال: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**».

ولله در الشافعي حين قال:

إن شـئت أن تحـيا سـليما مـن الأذى ... وحظـك موفـور وعرضـك صـين
لـسانك لا تذكـر بـه عُـورَة امـريء ... فكلـك عـورات وللـناس ألـسن
وعيـنك إن أبـدت إلـيك مـساوئًا ... فـصنها وقـل يـا عـين للـناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... وفـارق ولكـن بالتـي هـي أحـسن

أيها المسلمون...

اتقوا الله عز وجل في ألسنتكم، واتقوا الله في ألفاظكم، وفي كل ما تتكلمون به، ولا تؤذون غيركم بلسانكم، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، يقول ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي**» أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، له الصفات العلى - والأسماء الحسنى خلق الأرض والسموات العلى، الرحمن على العرش استوى.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، في ألوهيته وربوبيته وتدبيره، لا نظير له في صفاته، ولا راد لتقديره.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، سيد الأنام، ومصباح الظلام، المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للسالكين، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ما تعاقبت الليالي والأيام وسلم تسليمًا.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب المصطفى ﷺ...

لأجل هذا كله، ولعظم خطر هذا العضو كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يحفظون ألسنتهم، ولا يتكلمون إلا بالطيب الصالح من القول فكان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يمسك بلسانه، ويأخذ به، ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وكان يضع الحصاة في فمه يمنع بها نفسه عن الكلام.

وكان الربيع بن خثيم رحمه الله إذ أصبح، أعد قلمًا ودواءة وقرطاسًا فكل ما يتكلم به يكتبه، ثم يحاسب نفسه عند المساء.

وسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخذ لسانه يومًا، وهو يحدث نفسه، ويقول: ويحك، قل خيرًا تغنم، أو اسكت عن شر تسلم، وإلا فاعلم أنك ستندم.

وسيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: الكلام كالدواء، إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه قتل.

وأعظم كلام تتكلم به هو كلام رب العالمين، الكلام بالقرآن الكريم، والعبد يتعبد لله ﷻ بقراءته أو سماعه، أو النظر إليه.

وكان من السلف من يحرص ألا يتحدث إلا بآيات من كتاب الله ﷻ خشية الوقوع في الزلل.

يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله: خرجت إلى بيت الله الحرام، وزيارة مسجد نبيه ﷺ فبينما أنا في الطريق، إذا أنا بسواد على الطريق، فإذا امرأة عجوز، فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقالت: ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨ ﴾ [يس: ٥٨].

فقلت: رحمك الله، ما تصنعين في هذا المكان؟

فقالت: ﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ [الزمر: ٢٣].

فعلمت أنها ضلت الطريق، فقلت لها: أين تريدين؟

قالت: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾ [الإسراء: ١].

فعلمت أنها قد قضت حاجتها من الحج، وتريد الذهاب إلى بيت المقدس.

فقلت لها: أنت منذ كم في هذا الموضع؟

قالت: ﴿ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴾ [مريم: ١٠].

فقلت: ما أرى معك طعامًا تأكلين؟!

قالت: ﴿ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ ﴾ [الشعراء: ٧٩].

فقلت: بأي شيء تتوضئين؟

قالت: ﴿ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا ﴾ [المائدة: ٦].

فقلت: لم لا تكلميني مثل ما أكلمك؟!

قالت: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

فقلت لها: هل أوصلك إلى ما تريدين؟

فقالت: ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فأنخت لها ناقتي، فلما همت بالركوب، قالت: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠]، فلما استوت على الناقة، قالت: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝ ﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤].

اللَّهُمَّ اغفر لنا جميع ما سلف منا من الذنوب، واعصمنا فيما بقي من أعمارنا، ووفقنا لعمل صالح ترضى به عنا.

اللَّهُمَّ سامع كل صوت، ويا بارئ النفوس بعد الموت، يا من لا تشبه عليه الأصوات، يا عظيم الشأن، يا واضح البرهان، يا من هو كل يوم في شأن، اغفر ذنوبنا إنك أنت الغفور الرحيم.

اللَّهُمَّ يا عظيم العفو، يا واسع المغفرة، يا قريب الرحمة، يا ذا الجلال والإكرام، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة.

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم فرغنا لما خلقتنا له، ولا تشغلنا بما تكلفت لنا به، واجعلنا ممن يؤمن بلقائك، ويرضى بقضائك، ويقنع بعطائك، ويخشاك حق خشيتك.

اللَّهُمَّ اجعل رزقنا رغدًا، ولا تشمت بنا أحدًا.

اللَّهُمَّ رغبنا فيما يبقى، وزهدنا فيما يفنى، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يعول في الدين إلا عليه.

اللَّهُمَّ إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفينا شر ما أهملنا وما لا نهتم به وأن تعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

اللَّهُمَّ يا عليم يا حليم يا قوي يا عزيز يا ذا المن والعطاء والعز والكبرياء يا من تعنوا له الوجوه وتخشع له الأصوات.

وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير.

اللَّهُمَّ إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا، وتلم بها شعثنا وترفع بها شاهدنا، وتحفظ بها غائبنا، وتزكي بها أعمالنا، وتلهمنا بها رشدنا وتعصمنا بها من كل سوء.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين. وأقم الصلاة.

الخطبة العاشرة

خصلتان في الذكر تدخلان صاحبها الجنة

الحمد لله رب العالمين، ينادي على عباده مذكرًا إياهم آلاءه ونعماءه، عبدي، أذكرك وتنساني، وأسترك ولا ترعاني، لو أمرت الأرض لابتلعتك من حينها، أو البحار لأغرقتك في معينها، أو الشمس لأحرقتك بشعاعها، ولكن أحميك بقدرتي، وأمدك بقوتي، وأؤجلك إلى أجل أجلته، ووقت وقته، فوعزتي وجلالي، لابد لك من الورود عليّ، والوقوف بين يدي، أعدد عليك أعمالك وأذكرك أفعالك، حتى إذا أيقنت بالبوار، وقلت لا محالة أنك من أهل النار، واليتك رضواني، ومنحتك غفراني، وغفرت لك الأوزار، وقلت لك: لا تحزن فمن أجلك سميت نفسي الغفار.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، يقول أحد الصالحين: إني أعلم متى يذكرني المولى ﷻ، فقال له الجالسون حوله: كيف تقول ذلك؟ قال: ألم يقل الله ﷻ: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ [البقرة: ١٥٢]، «**إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**».

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، رسول الله أرسله ربه بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، بعثه من أمة أمية، فجعلهم قادة البشرية جمع الله به شتاتها، ورفع به رأسها، وأعلى به شأنها وأظهر عزها.

إن البرية يوم مبعث أحمد — نظر الإله لها فبدل حالها
بل كرَّم الإنسان حين اختار — من خير البرية نجمها وهلالها
لبس المرقع وهو قائد أمة — جبت الكنوز فكسرت أغلالها

اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون . . أحباب رسول الله ﷺ...

حياكم الله جميعًا، وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلًا، وأسأل الله العظيم، الذي جمعنا وإياكم في هذه الدنيا على طاعته أن يجمعنا وإياكم في الآخرة مع سيد النبيين في جنته، ودار كرامته، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وما زال لقاؤنا متواصلًا مع سلسلتنا المباركة «الطريق إلى الجنة» وهذا هو الطريق العاشر.

إنه طريق يسير على من يسره الله عليه، طريق لا يكلفك شيئًا من المال ولا من المتاع، علمنا إياه حبيبنا وأستاذنا محمد ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خصلتان لا يحصيهما عبد مسلم، إلا دخل الجنة، ألا وهما يسير، ومن يعمل بهما قليل: يسبح الله في دبر كل صلاة عشرًا، ويحمده عشرًا، ويكبره عشرًا، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، ويكبر إذا أخذ مضجعه أربعًا وثلاثين، ويحمده ثلاثًا وثلاثين، ويسبح ثلاثًا وثلاثين، فتلك مائة باللسان، وألف في الميزان، فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة؟!**»، قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: رأيت رسول الله ﷺ يعقدهن بيده، وقيل: يا رسول الله، كيف لا يحصيهما؟ قال: «**يأتي أحدكم الشيطان، وهو في صلاته، فيقول له: اذكر كذا، اذكر كذا، ويأتيه عند نومه، فينومه**».

عباد الله...

اعلموا أن حياة القلوب أولى بالاهتمام من حياة الأجساد، لماذا؟ لأن حياة القلب تؤهل صاحبها لأن يعيش حياة طيبة طاهرة في الدنيا، وسعادة أبدية في الآخرة، لكن حياة الأجساد حياة مؤقتة، سرعان ما تزول وتنقضي ولا سبيل

فعلاج حياة القلب، وزيادة الإيمان فيه إلا بالطاعات، فهي لازمة لحياة القلب، كما يلزم الطعام والشراب لحياة الجسد.

والقلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وتظمأ كما يظمأ الزرع، وتجف كما يجف الضرع، ولأجل ذلك فهي تحتاج إلى ري وجلاء يزيلان عنها الأصداء والظمأ، ولا أعظم لجلائها ورفع صدئها، وريها إلا بذكر الله ﷻ إنه أعظم غذاء نافع للقلوب.

وقد قيل للحسن البصري رحمه الله عندما قال: إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل له: وما جلاؤها؟ قال: ذكر الله.

والمرء في هذه الحياة محاط بالأعداء من كل جانب: نفسه الأمارة بالسوء، تورده موارد الهلكة، وكذا هواه وشيطانه، فهو بحاجة ماسة إلى ما يحفظه ويؤمنه من أولئك الأعداء، ويسكن مخاوفه، ويطمئن قلبه، وإن أكثر ما يزيل تلك الأدواء، ويحرز من الأعداء، ذكر الله ﷻ، والإكثار منه لخالقها ومعبودها، فهو الحصن الحصين من الإنس والشياطين، وهو الجُنة الواقية من عذاب الله تعالى.

قال النبي ﷺ: «**وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّـهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْـعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ**».

أحبتي في الله...

لأجل ذلك حرص الحبيب النبي ﷺ على أمته أشد الحرص، وخاف عليهم أشد الخوف، فدلهم على ما فيه صلاح قلوبهم، وسلامة أبدانهم وغذاء قلوبهم وأرواحهم، ولما كانت الحياة التي يعيش فيها المسلم يمكن أن تشغله عن ربه ومولاه، وتدني منه أعداءه بما عسى أن يصيبه من الغفلة، والبعد عن الله، جعل النبي ﷺ ذكرًا دبر الصلوات الخمس، ليجدد المسلم إيمانه، ويجلو صدأ قلبه مما ران عليه من القسوة والغفلة، وحب للدنيا، ه الشهوات والماديات، شرع النبي

ﷺ ذلك عونًا لأتباعه، وحرصًا منه عليهم، ليجتهدوا في الطاعات، ويستكثروا من الحسنات، ويرضوا رب الأرض والسموات، وبأسلوب يسير، وسهل شرع الذكر بعد الصلوات، وجعله طريقًا إلى الجنات، فقد ذهب فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى، والنعيم المقيم، فقال النبي ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟».

قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلاَ نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلاَ نُعْتِقُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «أَفَلاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ، إِلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ».

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّـهِ.

قَالَ ﷺ: «تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ مَرَّةً».

قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْـمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّـهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ».

وفي صحيح مسلم أيضًا من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مُعَقِّبَاتٌ لاَ يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ أَوْ فَاعِلُهُنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ تَسْبِيحَةً، وَثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ تَكْبِيرَةً».

وهذا الذكر المبارك الذي قاله النبي ﷺ معقبات، لأنهن تقال بعد الصلاة أي عقيبها، وقيل سميت بذلك، لأنها تفعل مرة بعد الأخرى، ومعنى: «لا يخيب قائلهن» أي لا يحرم من الجنة والجزاء.

هذا الذكر القليل في الكلمات، العظيم في الأجر، ذكر أن الله عز وجل يغفر به الذنوب، ولو كانت تلك الذنوب والخطايا مثل زبد البحر، قال ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ

اللَّـهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَحَمِدَ اللَّـهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّـهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْـمِائَةِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْـمُلْكُ، وَلَهُ الْـحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْـبَحْرِ».

والخصلة الثانية في خصال الحديث الذي هو طريقنا إلى الجنة، هو التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثًا وثلاثين أيضًا مثل ختام الصلاة عند أخذ المضطجع من النوم،

فعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: شَكَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَى فِي يَدِهَا، قَالَ: فَذَهَبَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تَرَهُ، قَالَ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها فَلَمَّا جَاءَ ذَكَرَتْ لَهُ، قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْتُ أَقُومُ فَقَالَ: «مَكَانَكَ». ثُمَّ جَلَسَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي. فَقَالَ: **«أَلاَ أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا - أَوْ أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا - فَسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ».**

قال سيدنا عليٌّ رضي الله عنه: ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ فقيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين.

لكن أحبتي في الله، ورد التسبيح والتحميد والتكبير مرة عشرًا، ومرة ثلاثًا وثلاثين فهل ينبغي على المسلم أن يتقيد بعدد من الأعداد؟ أو أن هناك معارضة بينهم؟ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح: قد كان بعض العلماء يقول: إنَّ الأعداد الواردة كالذكر عقب الصلاة، إذا رتب عليها ثواب مخصوص، فزاد الآتي بها على العدد المذكور لا يحصل له ذلك الثواب المخصوص، لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد.

وقال الحافظ أبو الفضل في شرح الترمذي: فيه نظر؛ لأنه أتى بالمقدار، الذي رتب الثواب على الإتيان به فحصل له الثواب بذلك، فإن زاد عليه من جنسه فكيف تكون الزيادة مزيلة لذلك الثواب بعد حصوله.

قال النووي: ويمكن أن يفترق الحال فيه بالنية، فإن نوى عند الانتهاء إليه امتثال الأمر الوارد، ثم أتى بالزيادة، فالأمر كما قال شيخنا - أبو الفضل - لا محالة، وإن زاد بغير نية، بأن يكون الثواب رتب على عشرة مثلًا، فرتبه هو على مائة فيتجه إلى القول الماضي.

ثم قال: وقد مثله بعض العلماء بالدواء يكون مثلًا فيه أوقية سكر، فلو زيد فيه أوقية أخرى لتخلف الانتفاع به.

أيها الأحبة الكرام...

وقد جاء ذكر الله ﷻ في السنة المطهرة غير مرتبط بوقت، وكذا في كتاب الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا عند رسول ﷺ فقال: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟**».

فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**».

فهذا الذكر قد حدده النبي ﷺ بمائة مرة، فإن زدت في ذلك فهو خير. وأحب إلى الله ﷻ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ. وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْـمُلْكُ، وَلَهُ الْـحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ.**

وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ».

الله، الله، فوق هذا الثواب العظيم، وهذا الفضل العميم من الرب الكريم، كان هذا الذكر حرزًا له من الشيطان، نعم، الذكر حصن حصين من الشيطان الرجيم حكى الإمام ابن القيم رحمه الله عن بعض السلف، أنهم قالوا: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان، صرعه الإنسي، كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنسي، فإن أردت أن تتحصن من الجان، وتقي نفسك من الشيطان، فعليك بذكر الرحمن قال المصطفى ﷺ: «**من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان**».

وقال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِى صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّـهِ، الَّذِى لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَىْءٌ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْـعَلِيمُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، لم يَضُره شَىْءٌ**».

بل إنَّ الذكر سلاح مقدم من أسلحة الحروب الحسية، التي لا تثلم، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال في فتح القسطنطينية: «**فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلاَحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَاللَّـهُ أَكْبَرُ. فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا**».

ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَاللَّـهُ أَكْبَرُ. فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَاللَّـهُ أَكْبَرُ. فَيُفَرَّجُ لَهُمْ فَيَدْخُلُوهَا، فَيَغْنَمُوا»(١).

عباد الله...

إنَّ الله ﷻ خلق هذا الإنسان من قبضة من طين، ونفخة روح، فجعل كما ذكرنا للجزء الطيني غذاءه من الأطعمة والأشربة، التي تنمو بها الأجساد، وتنمو

(١) رواه مسلم.

بها الأبدان وتقوى، لكن الروح، وهي سر الله الأعظم في الإنسان، لأنه لا يعرف حقيقتها إلا من خلقها، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقد جعل الله ﷻ للروح ما تسمو به، وترتقى، وما ترق به وما تسعد، فجعل الذكر غذاءً لها، فذكر الله ﷻ غذاء للأرواح، وهو معراجها الذي فيه ترقى، وزينتها التي بها تتحلى، وعدتها التي بها تتقوى.

والذكر كما قال الإمام ابن القيم في مدارجه: الذكر منشور الولاية، الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم، التي متى فارقها، صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه، صارت بورًا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي إذا فارقهم، انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت توصلهم إلى علام الغيوب به يستدفعون الآفات. ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء، فهو ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، وهو رياض جنتهم، التي فيه يتقلبون، ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكًا مسرورًا، ويوصل الذاكر إلى المذكور، ويجعله ذاكرًا مذكورًا[١].

أحبتي في الله...

لله در الإمام ابن القيم، ما أبدع وصفه، وما أعمق فهمه، وما أجمل قوله تعالى عن الذكر: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، لأنكم إذا ذكرتموه ذكركم. وذكره لكم أكبر من ذكركم له، فالإنسان ضعيف عاجز، يذكر ربه القوي العظيم. الإنسان فقير حقير، يذكر الله الغني الكريم، ولئن كان الذكر ذاته أكبر، فإن أجر

(١) تهذيب «مدارج السالكين» (ص٤٦٣).

أعظم، قال سيد الذاكرين ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ**».

قَالُوا: وَذَلِكَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ قَالَ: «**ذِكْرُ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ**».

ذكر الله تعالى أشرف ما يخطر بالبال، وأطهر ما يمر بالفم، وتنطق به الشفتان وأسمى ما يتألق به العقل المسلم.

ولقد كان البشير النذير ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه، ووصف ربنا ﷻ المؤمنين بأنهم يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، وقد ذكر أهل العلم أن المراد هو المداومة على الذكر في غالب الأحوال، لأن الإنسان قل أن يخلو من هذه الحالات الثلاث وهي: القيام والقعود، وكونه نائمًا على جنبه.

وكثرة ذكر الله ﷻ أمان من النفاق، فإن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا، قال كعب رحمه الله: من أكثر ذكر الله ﷻ، برئ من النفاق أتى رجل أبا مسلم الخولاني رحمه الله فقال له: أوصني يا أبا مسلم.

قال: اذكر الله تحت كل شجرة ومدرة، فقال له: زدني.

فقال: اذكر الله، حتى يحسبك الناس من ذكر الله مجنونًا.

قال: وكان أبو مسلم يكثر ذكر الله ﷻ فرآه رجل وهو يذكر الله، فقال: أمجنون صاحبكم هذا؟ فسمعه أبو مسلم، فقال: ليس هذا بالمجنون يا ابن أخي، ولكن هذا دواء الجنون.

والذكر يزيد المؤمن إيمانًا، فعن حنظلة الأسيدي، قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة.

قال: سبحان الله، ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار، حتى كأننا نراها، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ وعدنا إلى أزواجنا وأولادنا ومعاشنا، نسينا كثيرًا.

قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ؟**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْـجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا نراهُما رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ، وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِى، وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْـمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِى طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**»(١). ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، والتائب حبيب الرحمن. أو كما قَالَ. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، العزيز، ذي العرش المجيد، أفضل من ذكر، وأكرم من سئل، وأعدل من انتقم، علمه بعد حلمه، وعفوه بعد قدرته، هو أقرب إلى من دعاه من حبل الوريد، قال في حديثه القدسي الجليل: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِى**». وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، ليس لجلاله حد، ولا لصفات كماله وجماله عد وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبده ورسوله، الذي كان مع ربه ومولاه في ليله ونهاره وسره وجهاره، وقوله وعمله، وخلقه، وسائر أحواله، فكان الله معه زاد نوره، وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ونصره الله نصرًا عزيزًا.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الذين رضي الله عنهم، ورضوا عنه.

---

(١) رواه مسلم.

أما بعد...

عباد الله...

إلى متى نظل غافلين عن ذكر الله تعالى؟ إلى متى سنظل غارقين في ذكر الدنيا والمال والشهوات؟ إلى متى نظل ساهين في ذكر ما لا ينفع؟ إلى متى نظل مضطربين عن طريق الصالحين؟

لابد أن نقف مع أنفسنا وقفة حقيقية، نعرف مصيرها، ونرسم طريقها، ونبصر هدفها، فإن كنا من طلاب الآخرة فسيروا على بركة الله؟ وإن كنا من طلاب الدنيا، فهيا نراجع حساباتنا.

أخي في الله، يا صاحب اللسان، بالله عليك إن لم تشغله بالذكر في حياتك فمتى سوف تشغله؟ إن لم تفكر بعقلك، ويعيش قلبك مع ذكر الله فمتى يحين له ذلك؟ أتعلمون أن حسرة أهل الجنة ليست على صيام، ولا قيام، ولا صلاة، ولكن بغفوتهم عن ذكر الله ﷻ.

يقول أبو عمرو الأوزاعي رحمه الله: ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العباد يوم القيامة، يومًا يومًا، وساعة فساعة، فلا تمر ساعة على ابن آدم لم يذكر الله تعالى فيها، إلا تقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة، ويومًا مع يوم، وليلة مع ليلة؟!».

يتحسر أهل الجنة؟! أمرٌ عجيب، كيف يتحسر من فاز؟ ألم ينالوا مرادهم؟ ألم يبلغوا ما أملوا؟ قال النبي الحبيب ﷺ: «**لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْـجَنَّةِ إِلا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّـهَ ﷻ فِيهَا**».

عجيب أمركم أهل الجنان، تتحسرون، ليس لأنكم عصيتم الله الواحد الديان ولكن لأنكم تركتم فيها ساعة، لم تملأوها بذكر الله، بينما يبكي غيركم لفوات لذاته، ويتحسر لفراق شهواته، فشتان ثم شتان بين هؤلاء وأولئك اللَّهُمَّ زين ألسنتنا بذكرك، اللَّهُمَّ أعنا على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك.

اللَّـهُمَّ أمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللَّـهُمَّ أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك، ولا تجعل اللَّـهُمَّ مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا تجعلنا من الغافلين.

اللَّـهُمَّ عليك باليهود وأذنابهم وأعوانهم ومن ناصرهم وشايعهم في ديار المسلمين، اللَّـهُمَّ اشدد عليهم وطأتك، اللَّـهُمَّ أرنا فيهم عجائب قدرتك يا قوي يا عزيز. اللَّـهُمَّ إنهم آذونا في أموالنا وفي أهلينا ونسائنا، اللَّـهُمَّ فأرنا فيهم يومًا أسود كيوم فرعون وثمود وعاد وإخوان لوط، اللَّـهُمَّ أرنا فيهم عجائب قدرتك.

اللَّـهُمَّ لا نهلك وأنت رجاؤنا، اللَّـهُمَّ عاملنا برحمتك وحلمك واجعل حبنا لدينك ولنبيك ولعبادتك شفيعا لنا عندك، اللَّـهُمَّ يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، يا من دبر الدهور، وقدر الأمور، وعلم هواجس الصدور.

اللَّـهُمَّ يا صاحب كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى، ويا رافع كل بلوى، ويا منقذ الغرقى، ويا منجي الهلكى، يا ربنا، ويا سيدنا، ويا مولانا، ويا غاية رغبتنا، لا رب لنا سواك فندعوه، ولا مالك لنا غيرك فنرجوه، إلهنا من نقصد وأنت المقصود، ومن نتوجه إليه وأنت صاحب الكرم والجود، ومن الذي نسأله وأنت الرَّب المعبود، يا من عليه يتوكل المتوكلون.

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]. وأقم الصلاة.

الخطبة الحادية عشرة

ستة طرق إلى الجَنَّة، أولها: اصدقوا إذا حدثتم

الحمد لله الذي جعل جنات الفردوس لعباده المؤمنين نزلا، ونوع لهم الأعمال الصالحة، ليتخذوا منها إلى تلك الجنان سبلًا، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه، وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلًا وأودعها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وكملها بدوام نعيمها، فأهلها خالدون فيها أبدًا، لا يبغون عنها حولًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إذا دخل أهل الجنة الجنة، نادى مناد من قبل الله ﷻ: يا أهل الجنة، إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وأن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، لا تبلى ثيابكم ولا يفنى شبابكم.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، سيد السابقين واللاحقين وسيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، وشفيع المذنبين يوم الدين، أعطاه الله ﷻ نهر الكوثر، وسأله أصحابه عنه، فقال: «**الْـكَوْثَرُ: نَهَرٌ فِي الْـجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَالْـيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْـمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْـعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ**».

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين،

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

وما زال لقاؤنا موصولًا في سلسلتنا الطيبة المباركة «الطريق إلى الجنة» وهذا

هو اللقاء الحادي عشر من لقاءات الإيمان، ولقاؤنا اليوم لقاء دائمًا وأبدًا يتجدد بالإيمان، يبين لنا الرسول الأعظم ﷺ للأمة ستة طرق كلها تؤدي إلى الجنة، كلها تأخذ بصاحبها إلى طريق الجنان، وتنقذه من النيران، فماذا عن هذه الطرق، والتي سوف نتحدث اليوم عن طريق منها؟

ففى الحديث الذي رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في الشعب وغيرهم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْـجَنَّةَ، اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»**.

فحـى عـلى جـنات عـدن فإنهـا ... مـنازلك الأولى وفـيها المخـيم

ولكنـنا سـبى العـدو فهـل تـرى ... نعـود إلى أوطانـنا ونـسلم •

وأول هذه الطرق، أحبتي الكرام هو «الصدق».

فإن صدق المسلم في حديثه، بل في أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته، إذا صدق مع مولاه، وصدق مع عباد الله: استحق أعظم مكافأة، بل جائزة من أعظم الجوائز، ليست جائزة نوبل، ولا جائزة مقدمة له من الرئيس الفلاني، أو الوزير، وإنما مقدمة له من ملك الملوك ومالك الملك، الله رب العالمين، والجائزة الكبرى «هي الجنة».

قال ﷺ: **«عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْـبِرِّ، وَإِنَّ الْـبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْـجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّـهِ صِدِّيقًا»**.

وفي القرآن الكريم، يقول رب العالمين جل في علاه: ﴿ **قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾** ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال الصادق الأمين ﷺ: **«أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِى رَبَضِ الْـجَنَّةِ** – لمن هذا؟ قال: –

لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ».

بيت في وسط الجنة لمن؟ لمن ترك الكذب، ولو كان مازحًا، لمن ترك الكذب، واتصف بالصدق.

فالصدق خصلة محمودة، وسجية ممدوحة، وهو صفة الأنبياء والصالحين قال الله ﷻ عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ **وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا** ﴾ [مريم: ٤١].

وقال عن إدريس عليه السلام: ﴿ **وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾** ﴾ [مريم: ٥٦].

وقال عن إسماعيل عليه السلام: ﴿ **وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾** ﴾ [مريم: ٥٤].

وقال عن كليمه موسى عليه السلام: ﴿ **حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ** ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، أي الصدق.

وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿ **يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ** ﴾ [يوسف: ٤٦].

وقال في وصفه: ﴿ **وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ** ﴾ [يوسف: ٥١].

وقال عن حبيبه ومصطفاه ﷺ وعن صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ﴿ **وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾** ﴾ [الزمر: ٣٣].

إنه فضيلة حميدة، ومزية رشيدة، وخلق كريم، رغبنا الله ﷻ في اتباعه، وأمرنا بالتحلي به، والتجمل بفضيلته، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾** ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقد ذكر مولانا ﷻ الصادقين في تعداد الذين أثنى عليهم، وفي زمرة الذين رفع أقدارهم، ووعدهم الأجر والثواب، والذين أسكنهم منازل الأبرار السعداء،

فقال عنهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

الصدق أصل كل خير، قال الحارث المحاسبي رحمه الله: «واعلم - رحمك الله - أن الصدق والإخلاص أصل كل حال، فمن الصدق يتشعب الصبر، والقناعة، والزهد، والرضى، والأنس.

وعن الإخلاص يتشعب اليقين، والخوف، والمحبة، والإجلال والحياء، والتعظيم.

فالصدق في ثلاثة أشياء لا تتم إلا به: صدق القلب بالإيمان تحقيقًا، وصدق النية في الأعمال، وصدق اللفظ في الكلام.

وللإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «مدارج السالكين» كلام طيب جميل، يقول عن منزلة الصدق: وهي منزلة القوم الأعظم، الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم من لم يسر عليه، فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه، الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلًا إلا أرداه وصرعه، من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم حجته، فهو روح الأعمال، ومحل الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال.

وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم في الجنان تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين، كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين.

وقد سئل الإمام الجنيد رحمه الله عن الصدق والإخلاص، أهما واحدًا أم بينهما فرق؟ فقال: بينهما فرق، الصدق أصل، والإخلاص فرع، الصدق أصل في كل شيء، والإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في الأعمال، والأعمال لا تكون مقبولة إلا بهما.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ألا يكون في أحوالك شوب، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب.

أيها المسلمون أحباب رسول الله...

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق، فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠].

وأخرج عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه سأله أن يهب له لسان صدق في الآخرين، فقال: ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤].

وبشر عباده بأن لهم عنده تبارك وتعالى قدم صدق، فقال: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: ٢].

وبشر المتقين بأن لهم مقعد صدق، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعد الصدق، فنسأله أن يجعلنا من أهل الصدق والصادقين.

عباد الله...

تعودنا في جميع لقاءاتنا أن نتأسى أولًا بالرسول الأمين - والصادق الوعد الأمين ﷺ - وحق لنا أن نتأسى به، لأنه أسوتنا وقدوتنا لأنه إمامنا، وأستاذنا ومعلمنا، وهو مخرجنا من الظلمات إلى النور فهيا لنتعايش بقلوبنا مع حبيب

قلوبنا، لا أقول كل ما كان عنه من الصدق، ولكن نقطف زهرات من بستان أخلاقه، من حديقة أخلاقه الحافلة بورود الصدق والإخلاص وغيرهما.

فقد شهدت له قريش قبل بعثته بأنه الصادق الأمين، وكما يقولون: الفضل ما شهدت به الأعداء، لما نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

خرج رسول الله ﷺ حتى صعد على الصفا، فهتف به يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال لهم: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا وراء هذا الوادي، تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيّ؟**» قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبًا قط، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**».

ولقد روى أنَّ رجلًا من سادات قريش لقى أبا جهل في أحد طرقات مكة، فاستوقفه، ثم قال له: يا أبا الحكم، ليس هنا غيري وغيرك، أنشدك بالله هل محمد صادق أم كاذب؟ فأجابه أبو جهل بكل صراحة.

قال: إنَّ محمدًا صادق، وما كذب قط.

قال: فما يمنعكم من اتباعه؟

فقال أبو جهل: تنافسنا نحن وبنو هاشم، وتنازعنا الزعامة والفخر، فأطعموا فأطعمنا، وسقوا فسقينا، وأجاروا فأجرنا، حتى كنا كفرسي رهان، ثم زادوا علينا، فقالوا: بعث منا نبيٌّ، فمن أين نأتيهم بنبي؟! والله لا نؤمن به، ولا نتبعه، فأنزل الله ﷻ مخاطبًا رسوله وحبيبه ﷺ: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

والحق ما شهدت به الأعداء، هم يعلمون أنه نبي، ويعلمون صدقه وأمانته ويعلمون أنه هو الحق، الذي لا مراء فيه، ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤].

أحبتي في الله...

والصدق نجاة لصاحبه، قال عمر بن الخطاب ﷺ: عليك بالصدق، وإن قتلك.

عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد
وأبغ رضا المولى فأغبى الورى من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال إسماعيل بن عبيد الله: لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه، فقال لهم: يا بني عليكم بتقوى الله، وعليكم بالقرآن، فتعاهدوه، وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلًا، ثم سئل عنه، أقرَّ به، فوالله ما كذبت كذبة قط منذ قرأت القرآن.

ورحم الله القائل:

الصدق منجاة لأربابه وقربة تدني من الرب

وهذا هو الإمام عبد القادر الجيلاني رحمه الله وكان من العُبَّاد الصالحين يقول: بنيت أمري على الصدق، وذلك أني خرجت من مكة المكرمة إلى بغداد في طلب العلم، فأعطتني أمي أربعين دينارًا، وعاهدتني على الصدق، فلما وصلنا إلى أرض همدان بالعراق، خرج علينا أعراب فأخذوا القافلة ونهبوها، فلما جاء إليَّ أحدهم سألني: ماذا معك؟ فقلت: معي أربعون دينارًا، فقال أين هي؟ فقلت: هي هنا في مكان كذا، فتعجبوا من ذلك، فلما سألوه قال لهم: عاهدت أمي قبل أن أخرج على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها، فصاح كبير اللصوص باكيًا، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أكون خائفًا لعهد الله عز وجل؟! ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة فقال كبيرهم: أنا تائب إلى الله عز وجل على يديك.

فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعًا ببركة الصدق.

والصدق عباد الله - أقوى من الجاه والمال، والسلطان، فهذا بلال بن رباح

رضي الله عنه مؤذن الحبيب محمد ﷺ كان له أخ شقيق يريد الزواج، فخطب امرأة من قبيلة مخزوم، وهي قبيلة لها عراقتها وأصالتها في النسب، وعلوٌّ في الحسب، ولا ترضى بمثل بلال رضي الله عنه صهرًا لها بسبب أنه لا قبيلة له.

فلما أصر أخو بلال على الزواج من هذه المرأة، أخذه سيدنا بلال وذهب إليهم، وقام بلال قائلًا: نحن من قد عرفتم، كنَّا عبدين، فأعتقنا الله، وكنّا ضالين فهدانا الله تعالى، وكنا فقيرين، فأغنانا الله تعالى، وأنا أخطب منكم لأخي ابنتكم، فإن تنكحوها له، فالحمد لله تعالى، وإن تردونا، فالله جل وعلا أكبر من كل كبير، فأقبل بعضهم على بعض، فقالوا: بلال من قد عرفتم سابقته، ومشاهده، ومكانه من رسول الله ﷺ فرحب به القوم، وأكرموا قدومه، وقبلوا شفاعته، وقالوا له: مرحبًا بمؤذن رسول الله ﷺ ثم زوجوا أخاه ابنتهم.

فلما انصرفا من عند قبيلة مخزوم، قال أخو بلال لبلال - كأنه يلومه ويؤنبه: يا أخي، هلاّ ذكرت لهم مواقفنا في الإسلام، فقد أبلينا مع رسول الله ﷺ بلاءً حسنًا؟

فقال بلال رضي الله عنه: اسكت يا هذا، صدقت، فأنكحك الصدق.

وخطب الحجاج بن يوسف الثقفي، فأطال، فقام رجل فقال: الصلاة، فإن الوقت لا ينتظرك، والرب لا يعذرك، فأمر بحبسه، فأتاه قومه، وزعموا أنه مجنون، وسألوه أن يخلي سبيله، فقال: إن أقر بالجنون خليته فاحتالوا على السجان، حتى دخلوا عليه، وقالوا له: تظاهر بالجنون، لكي تخرج من السجن، ويعفو عنك الحجاج.

فقال: معاذ الله، لا أزعم أن الله ابتلاني بشيء قد عافاني الله منه، فلما بلغ الحجاج قوله، عفا عنه لصدقه، وجعله من المقربين إليه.

في الصدق رضا الرحمن، في الصدق الفوز بالجنات، في الصدق بركة في

الأرزاق، الصدق سبب للبركة في البيع والشراء، والزيادة والنماء، يقول سيد الأنبياء صلى الله عليهم وسلم: «**الْـبَيِّعَانِ بِالْـخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**».

عباد الله...

لأجل هذا فإنك لا تجد صادقًا في معاملته إلا وجدت الناس إليه منجفلين وإلى معاملته مسرعين، وإلى خبره مطمئنين، ورأيت رزقه رغدًا، وماله صعدًا، ووجدت له محبة في القلوب، وتقديرًا لأمانته وصدقه، وعرفانًا بحقه وفضله، يطمئن إليه القريب والبعيد، ويسارع الناس إلى معاملته، وترويج سلعته، ويأتمنونه على أموالهم وأسرارهم، ومتى حصل منه كبوة، أو زلة، فالصدق شفيعه المقبول.

يقول النبي الأمين ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**».

قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟.

قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى**».

وقال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».

أو كما قال، «ادعوا الله».

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور أحمده – سبحانه – فإنه يحب الصالحين، ويبغض أرباب الفجور وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الصادق المبرور، أرسله ربه بالهدى ودين

الحق، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ما توالت الأيام والشهور.

أما بعد...

لقد قسم الله ﷻ الخلق إلى قسمين: سعداء وأشقياء، فجعل السعداء هم أهل الصدق والتصديق، والأشقياء هم أهل الكذب والتكذيب وأخبر سبحانه أنه لا ينفع العباد يوم القيامة إلا صدقهم، فقال: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة: ١١٩]، أي صدقهم في إيمانهم وأقوالهم وأفعالهم، وجعل سبحانه علم المنافقين وعنوانهم الكذب في أقوالهم وأفعالهم، فكل ما نعاه عليهم من الأخلاق الذميمة، والصفات الرذيلة، فأصله الكذب والمخادعة، قال ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**».

فالكذب بريد النفاق وعلامته، وحليته ولباسه، ولبه وأساسه، كما أن الصدق بريد الإيمان ودليله، وحليته ولباسه، ولبه وروحه.

أيها المسلمون . . عباد الله...

اتقوا الله في أنفسكم، وفي دينكم، وفي إخوانكم ومجتمعكم، عليكم بالصدق والأمانة، وإياكم والكذب والخيانة، أليس من العار عليكم يا أهل الإسلام أن يصدق غيركم، ومنكم من يكذبون؟!

أوليس من الفضيحة أن يتخلق غيركم بالفضائل، وأنتم عنها معرضون؟

أوليس من العجز والحرمان أن يحرص غيركم على الصدق من أجل الكسب، وتحصيل الدنيا وأنتم تهملون الصدق، فتخسرون الدنيا والآخرة.

أفيعجبك أيها المسلم - إذا كذبت - أن يقال عن المسلمين: أنهم كاذبون أنهم خائنون، أنهم غشاشون ومدلسون؟!

ألم تعلم أنك عنوان لدينك، ومثالٌ له، وصورة عنه، شئت أم أبيت؟ أفترضى نسبة العيب إلى دينك، وتنقيصه بسوء أفعالك وتشويه صورته بقبح أخلاقك وأعمالك؟!

احذروا الكذب، والزموا الصدق، تحشروا يوم القيامة مع الصديقين وما أجدرنا أن نعود عودة صادقة إلى ديننا، وأن نكون صادقين مع ربنا ومع أنفسنا، ومع الناس من حولنا، وأن نجعل الصدق شعارنا ورائدنا في جميع أقوالنا وأفعالنا، وأن نربي عليه أولادنا، وبناتنا، وإخواننا لنفوز بالخير الذي وعدنا ربنا، حيث يقول: ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [محمد: ٢١].

فنسأل الله ﷻ أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يزينًا وإياهم بزينة الإيمان، وأن يجعلنا هداة مهتدين.

اللَّهُمَّ طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

يا الله يا أرحم الراحمين، يا حي يا قيوم، يا علي يا عظيم، يا ذا الجلال والإكرام أنت الله. أنت الرحمن الرحيم.

خلقتنا رحمة من غير حاجة لنا، ورزقتنا وكفيتنا وآويتنا وتكفلت بأرزاقنا وآجالنا منَّة وكرمًا منك.

اللَّهُمَّ فأحينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين لا مغيرين ولا مبدلين ولا خزايا ولا مفتونين.

نسألك اللَّهُمَّ حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك يا ربّ العالمين.

اللَّهُمَّ أعتق رقابنا ورقاب والدينا وأهلينا والمسلمين من النار يا عزيز يا غفار.

اللَّهُمَّ أجرنا من النار، اللَّهُمَّ أجرنا من النار، اللَّهُمَّ أجرنا من النار.

يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللَّهُمَّ قنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

اللَّهُمَّ رحمتك نرجو، اللَّهُمَّ رحمتك نرجو، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

اللَّهُمَّ انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك الموحدين.

اللَّهُمَّ اكفنا شر المستهزئين، وشر الساخرين يا ربَّ العالمين.

أمِّنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا ممن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبنا محمد ﷺ. وأقم الصلاة.

۞۞۞۞۞

الخطبة الثانية عشرة

الوفاء بالوعد يدخل صاحبه الجنة

الحمد لله، القائم على كل نفس بما كسبت، والرقيب على كل جارحة بما اجترحت، المطلع على ضمائر القلوب إذا هجست، الحسيب على خواطر عباده إذا اختلجت، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض تحركت أو سكنت، المحاسب على النقير والقطمير، والقليل والكثير من الأعمال وإن حصيت، المتفضل بقبول الطاعات، وإن صغرت، المتفضل بالعفو عن معاصيهم وإن كثرت، وإنما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت، وتنظر فيما قدمت وأخرت.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْـجَنَّةِ الْـجَنَّةَ، قَالَ اللَّـهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْـجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ - قَالَ - فَيَكْشِفُ الْـحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ». ثم تلا: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦].

فالحسنى هي دخول الجنة، والزيادة هي رؤية وجه الله الكريم، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه بعثه الله للإيمان مناديًا، وإلى دار السلام داعيًا، وبالمعروف آمرًا وعن كل منكر ناهيًا، ترك أمته على المحجة البيضاء، فسلكها الراغبون في جنات النعيم، وعدل عنها المخذولون إلى طريق الجحيم.

اللَّهُمَّ صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب رسول الله ﷺ...

في بداية هذا اللقاء الطيب المبارك، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فإنه قد فاز المتقون وسعدوا، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

ونحن اليوم على موعد بلقاء مع **(الطريق إلى الجنة)** وهذا هو اللقاء الثاني عشر وطريق اليوم هو من أعظم الطرق الموصلة إلى جنة الله رب العالمين، طريق سلكه أنبياء الله ورسله، ثم سلكه من تبعهم من الصالحين، إنه طريق يمتن الله به على من يشاء من عباده، أتدرون ما هو؟

إنه طريق الوفاء بالوعد، وقد رسم لنا النبي ﷺ خريطة وضح فيها ستة طرق من طرق الجنة، تكلمنا عن طريق منها في اللقاء الماضي، واليوم نتكلم عن طريق آخر منها، قال فيه النبي ﷺ: «**وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ**».

فأهل الوفاء هم أهل الفردوس الأعلى، فقد وصف الله عباده المؤمنين الذين كتب الله لهم السعادة والفلاح بصفات جليلة، وكان من بينها: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨].

حتى قال مبينًا جزاءهم وعاقبتهم ومآلهم، ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

أهل الوفاء هم أهل البر والصدق والتقوى، قال تعالى في بعض أوصافهم: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٧٧]، حتى ختم الآية بقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

أهل الوفاء هم أولو الألباب، الذين لهم عقبى الدار، الذين يدخلون جنات عدن ويتنعمون فيها، وتدخل الملائكة للسلام عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠﴾ [الرعد: ١٩، ٢٠].

حتى قال الله ﷻ في جزائهم وعاقبتهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٢ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٤].

ما أعظمه من جزاء؟! وما أكرمه من فضل؟! وما أعظمه من خير وبر من الله ﷻ لهؤلاء؟! نسأل الله العظيم، رب العرش الكريم أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا معهم في جنات عدن.

عباد الله...

الوفاء خلق كريم، وأدب رفيع، وطبع نبيل، يتحلى به الأخيار، ويتمسك به الأبرار، إنه طريق الأنبياء والمرسلين، فهذا هو الخليل إبراهيم عليه السلام يصفه مولاه بقوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النجم: ٣٧]، أي وفى مع الله ﷻ بطاعته، وقام بجميع أوامره، وترك نواهيه، ووفى لخلقه بأن بلغهم رسالة ربه ونصحهم وأرشدهم، فاستحق بهذا أن يكون إمامًا يقتدى به في جميع أقواله وأفعاله.

ونبي الله إسماعيل عليه السلام يقول الله ﷻ عنه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤﴾ [مريم: ٥٤].

ذكر ابن كثير وابن جرير أن إسماعيل عليه السلام وعد رجلًا مكانًا أن يأتيه فيه فجاء ونسي الرجل، فظل به إسماعيل، وبات حتى جاء الرجل من الغد، فقال: ما برحت من هاهنا؟ قال: لا، قال: إني نسيت.

قال إسماعيل: لم أكن لأبرح حتى تأتيني، فلذلك كان صادق الوعد.

وها هو كليم الله موسى عليه السلام، لما لقى الرجل الصالح من أهل مدين، قيل: إنه نبي الله شعيب عليه السلام، وعرض عليه أن يزوجه إحدى ابنتيه على أن يعمل عنده برعي الغنم، ثمان سنين أو عشرًا، فما كان من موسى عليه السلام إلا أنه وفى بأفضل الأجلين وأكملهما، مع أن الأمر كان على الخيار.

وفي البخاري: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: سَأَلَنِى يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ أَىَّ الأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ قُلْتُ: لاَ أَدْرِى حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى حَبْرِ الْعَرَبِ فَأَسْأَلَهُ . فَقَدِمْتُ ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: قَضَى أَكْثَرَهُمَا وَأَطْيَبَهُمَا ، إِنَّ رَسُولَ اللَّـهِ إِذَا قَالَ فَعَلَ .

أيها الأحبة الكرام...

وسيد الأوفياء سيدنا محمد ﷺ فهو خير أسوة للمربين والمرشدين والأئمة والحكماء، والعابدين والزاهدين، وهو مثل أعلى للفرد في قبيلته، والزوج مع زوجته، والأب مع ابنه، والتاجر في تجارته، والمربي مع تلاميذه، والعابد في محرابه، والزاهد في قناعته، كل هؤلاء يجدون من صفاته ﷺ مُثلًا عليًا يحتذونها، وروحًا يقوون على مزاولة أعمالهم بها، وإمامًا يسيرون عليه في تحقيق مآربهم، ومردًّا يرجعون إليه عند حيرتهم.

ولعل من أروع مظاهر الوفاء بالعهد ما حدث في صلح الحديبية، فقد صالح النبي ﷺ المشركين يوم الحديبية على أشياء منها: أنه من أتاه من المشركين رده إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه، وفي أثناء كتابة المعاهدة، جاء أبو جندل يحجل في قيوده، فرده إليهم وفاء بالعهد، الذي لم يتم توقيعه، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ فاشتد ذلك على الناس على ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: **«يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْـمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا»**.

وفي رواية: «**انطلق إلى قومك، فإننا لا نغدر**».

وفي مستهل ذي القعدة من السنة السابعة أمر النبي ﷺ أصحابه أن يشدوا رحالهم إلى مكة، قضاء للعمرة التي لم يؤدوها بسبب معاهدة الحديبية في العام الماضي، فلما علمت قريش، ثبت روادها في جميع السبل، لتترقب قدوم عسكر المسلمين، ولما ظهر لهم أن قوم محمد مسلحون، أرسلوا إليه وفدًا برياسة مكرز بن حفص، يقول له: يا محمد، والله ما عرفت بالغدر صغيرًا ولا كبيرًا.

الله أكبر، والحق ما شهدت به الأعداء، والله ما عرفت بالغدر صغيرًا ولا كبيرًا إنه رسول الوفاء، بل هو الوفاء نفسه، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قالوا: أتدخل على قومك بالسلاح في الحرم، وقد أمنتهم وأمنوك؟ فأعلمهم أنهم لن يدخلوا بالسلاح ما داموا على الوفاء، وهذا السلاح سيكون في الخارج ليأتون به إذا حدث شيء يدعو إليه.

ولما رأت قبائل العرب ما أظهره الرسول ﷺ من الوفاء بالعهد، والمحافظة على الوعد، رغبت في محالفته، وأقبلت على معاهدته.

وكان صلوات ربي وسلامه عليه وفيًا مع أهل بيته، مع زوجاته، مع كل الناس فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي، فقال لها رسول الله ﷺ: «**من أنت؟**».

قالت: أنا جثامة المزنية، فقال: «**بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ وكيف حالكم؟ وكيف كنتم بعدنا؟**».

قالت: بخير، بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فلما خرجت، قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «**إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان**»(١).

---

(١) صحيح: رواه الحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢١٦).

فما أعظمك يا رسول الله! يا حبيب الله، وما أعظم أخلاقك؟!

يأتي إليه في يوم من الأيام أبوه من الرضاعة، فوضع له بعض ثوبه، فقعد عليه ثم أقبلت أمه من الرضاعة، فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر، فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة، فقام له رسول الله ﷺ وأجلسه بين يديه(١).

إن كان للأخلاق من ركن قائم ... في هذه الدنيا فأنت الباني

المجد والشرف الرفيع صحيفة ... جعلت لها الأخلاق كالعنوان

ولا يخفى موقفه من هوازن وفيهم عماته وخالاته من الرضاعة، وحواضنه، وقد قال له أحدهم: لو أرضعنا للنعمان بن المنذر، لرجونا عطفه، وأنت خير المكفولين فمنّ عليهم، وجبر خاطرهم، وهذا أكبر شاهد على وفائه ومروءته.

وعن أبي الفضل رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ بالجعرانة فجاءته امرأة، وأنا يومئذ غلام، فلما دنت من رسول الله ﷺ بسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هذه، قالوا: أمه التي أرضعته(٢).

والسيدة خديجة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ وفيًّا لها، حتى تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: غرت يومًا فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدقين، قد أبدلك الله خيرًا منها؟

قال: «**مَا أَبْدَلَنِى اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِى إِذْ كَفَرَ بِى النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِى إِذْ كَذَّبَنِى النَّاسُ، وَوَاسَتْنِى بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِى النَّاسُ، وَرَزَقَنِى اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِى أَوْلاَدَ النِّسَاءِ**».

وكان وفيًّا لأصحابه، للمهاجرين منهم والأنصار.

---

(١) رواه أبو داود وغيره، وضعفه الألباني.

(٢) رواه الحاكم، وقال: هذا الحديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه رقم (٧٤٠٣) في «المستدرك» (١٧/ ١٤٢)، وضعفه الألباني في سنن أبي داود رقم (٥١٤٤).

أيها المسلمون . . أحباب رسول الله ﷺ...

الوفاء من شيم النفوس الشريفة، والأخلاق الكريمة، والخلال الحميدة، يعظم صاحبه في العيون، وتصدق فيه خطرات الظنون.

ويقال: الوعد سحابة، والإنجاز مطره.

إذا قلت في شيء: نعم فأتمه فإن نعم دَينٌ على الحُرّ واجب

وإلا فقل: لاَ تسترح وترح بها لئلا يَقول الناس: إنك كاذب

وقال أعرابي: وعد الكريم نقد وتعجيل، ووعد اللئيم مطل وتعليل.

وقال الشاعر الحكيم:

تعجيل وعد المرء أكرومة تنشر عنه أطيب الذكر

والحر لا يمطل معروفه ولا يليق المطل بالحر

ولذلك نرى صحابة النبي ﷺ سائرين على دربه من الوفاء بالعهد فهذا سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما حضرته الوفاة، ونزل به الموت جمع أهله، وجعل يوصيهم، وكان من بين وصاياه التي كلفهم بها، أن قال لهم: يا بني، إن فلانًا كان قد خطب مني ابنتي، فكان مني شبه وعد له، فإذا أنا شفيت، كان الأمر لي، وإن أنا مت، فزوجوه منها، فإني لا أحب أن ألقى الله عز وجل بثلث النفاق، وإني أشهدكم أني زوجت الرجل من ابنتي، فلا يقف أحد منكم في طريقه إليها.

ولما جيء بالهرمزان قائد جيش الفرس أسيرًا إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان قد فعل بجيوش المسلمين الأفاعيل، وأتعب الصحابة - رضوان الله عليهم - في بلاده، فلما نصرهم الله عز وجل على أعدائهم، وقبض على قائدهم، وجيء به مكبلًا إلى سيدنا عمر، فعرض عليه سيدنا عمر الإسلام، فرفض، فأراد عمر قتله، ولكنه استمهله قليلًا، وقال له: مهلًا يا أمير المؤمنين، فأنا عطشان، ولأن أقتل وأنا ريان خير من أن أقتل على ظمآ، فأمر له سيدنا عمر بشربة ماء، فلما

وضعت بين يديه، قال لسيدنا عمر: هل أنا آمن حتى أشربها، قال له: نعم، فأراق الماء على الأرض وصاح بأعلى صوته: (الوفاء نور أبلج) فغضب سيدنا عمر، وأدرك أنه قد خدعه، فاستشار أصحابه في شأنه، فأشاروا إليه بالوفاء، فوفى للرجل وعفى عنه، فأسلم، وحسن إسلامه، وكان بعد ذلك من أخلص أعوان الإسلام.

أيها المسلمون . . عباد الله...

وفوا عهودكم، ولا تنقضوها، وأخلصوا في وعودكم، واحذروا من خلف الوعد، فإن ذلك من أخلاق المنافقين، ففي الحديث القدسي الجليل: «**قَالَ اللَّـهُ تَعَالَى ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِى ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ**».

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، والتائب حبيب الرحمن، أو كما قال. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الغني الحميد، المبدئ المعيد، ذي العرش المجيد، الفعال لما يريد، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، وهو على كل شيء شهيد، نحمده ونشكره، ونسأله من فضله المزيد.

ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، وهو الحكيم العليم، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله الصادق الأمين، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها الموحدون الكرام...

ليسأل كل واحد منا نفسه: هل تفي بوعدك إذا واعدت؟ إذا كانت الإجابة بنعم، فأبشر بجنة عرضها السموات والأرض، والذي ضمنها لك هو رسول الله وإن كانت الأخرى، فهيا من الآن طهر نفسك من هذه الآفة، فإنها من النفاق - أي عدم الوفاء بالوعد - وحاشاك أن تكون كذلك، ثم ضع نصب عينيك قول النبي الأكرم، والرسول الأعظم ﷺ: **«آيَةُ الْـمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»**.

ثم هل تفي إذا عاهدت؟ إن الوفاء بالعهود من أعظم أخلاق الإيمان.

هل تعرفون مدينة حمص؟ هل تعلمون كيف دخل أهلها في دين الإسلام؟

لقد فتح المسلمون كثيرًا من البلاد في الشام، وكان من بينها مدينة (حمص) كان أهلها نصارى، فدعوهم إلى الإسلام، فأبوا وقبلوا الجزية، وفي مقابل دفعهم الجزية، يلتزم المسلمون حمايتهم، والدفاع عنهم، ولكن الرومان، أعادوا ترتيب صفوفهم لحرب المسلمين، فطلب من الجيش الإسلامي الذي كان في حمص أن يخرج منها، لماذا؟ لكي ينضم إلى بقية الجيش في غيرها من بلاد الشام، فقام المسلمون برد الأموال، التي سبق لهم قبضها من النصاري، فتعجبوا من ذلك؟ وسأل أهلها المسلمون: لماذا رددتم لنا أموال الجزية؟! فأجابهم المسلمون بأنهم غير قادرين على حمايتهم، وطالما أنهم لا يستطيعون الوفاء بالشرط، فيجب أن يردوا الأموال، وهنا استشعر أهل حمص عظمة هذا الدين، وكمال وسمو أخلاق أهله، فدخلوا في دين الإسلام، وبقيت قوات المسلمين معهم تدافع عن أهل حمص من أذى الرومان، أرأيتم ماذا يفعل الوفاء؟!

وتأملوا ما حدث مع التابعي الجليل عبد الله بن المبارك رحمه الله لقد كان في يوم من الأيام يقاتل مجوسيًا، ولما جاء وقت صلاة العصر، قال ابن المبارك للمجوسي:

أعطني هدنة حتى أتم صلاتي، ففعل المجوسي، وقام عبد الله إلى صلاة العصر وصلى ولم يعتدِ عليه المجوسي، ولم يمسه بسوء أثناء صلاته، فلما جاء وقت الغروب طالبه المجوسي بأن يعاهده أن يتركه حتى يؤدي صلاته كما فعل معه المجوسي عند صلاة العصر، فوعده عبد الله أن لا يمسه بسوء، فلما سجد المجوسي، وثب عليه عبد الله ليقتله وهو ساجد، فسمع هاتفًا يهتف به ويقول: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النحل: ٩١].

فرجع عنه، فلما فرغ المجوسي من صلاته، سأله: رأيتك قد هممت بي سوءًا، ثم رجعت؟ فأخبره عبد الله بما سمع من القرآن الكريم.

فقال المجوسي: نعم الرب ربك يا عبد الله، إنّ ربًّا يعاتب حبيبه من أجل عدوه، أحق أن يعبد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله.

أيها الأحبة الكرام...

هل رأيتم ماذا فعل الوفاء بالمجوسي؟ لقد جعله يدخل في دين الإسلام، ويترك ما دون الله ﷻ، وعلم أن هذا الدين حق، فما أعظم الوفاء، حتى لو كان مع الأعداء.

وقالوا: إنَّ رجلًا من الصالحين، خرج من اليمن أو من بلده متوجهًا إلى حج بيت الله الحرام، ثم زيارة الحبيب المصطفى ﷺ فودعه إخوانه، وطلب منه جماعة منهم إذا كان عند قبره الحبيب، أقرءه سلام إخوانه، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوعدهم أن يوفي بذلك، فلما توجه إلى مكة، وقضى حجته ثم توجه إلى المدينة للزيارة، زار قبر الحبيب ثم نسى أن يبلغ سلام القوم لرسوله ثم سار مع القافلة متوجهًا إلى بلده، فلما كان في الطريق تذكر وعد إخوانه فترك القافلة، وعاد على الفور وحده إلى المدينة، فزار الحبيب مرة ثانية، وبلغه سلام القوم، وسلامهم على

أبي بكر وعمر، ومن التعب أخذه النوم، وهو جالس في رحاب الروضة الشريفة، فإذا به يرى رسول الله ﷺ في المنام ورسوله الله ﷺ يقول: «**مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي**».

رآه وهو يقبله في المنام، ويقول له: مرحبًا بك يا أبا الوفاء، فقال له الرجل: يا رسول الله، إن كنيتي «أبو العباس» فقال له: بل أنت أبو الوفاء، فقال له الرجل: يا رسول الله، لقد فاتتني القافلة قال له: ولكن لم يفتك الوفاء، ثم رفعه رسول الله ﷺ بيده.

قال الرجل، فانتبهت من نومي، ثم سلكت الطريق وحدي، فوصلت قبل القافلة بسبعة أيام.

الله أكبر، ما أعظم الوفاء؟! وما أجمل أن يكون المؤمن وفيًّا مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ ومع إخوانه من المسلمين والمسلمات.

كونوا من الأوفياء بالعهود تنالوا جنة الواحد المعبود، تكونوا من الرابحين كونوا من الذين باعوا الفاني بالباقي، والخسيس بالنفيس، والحقير بالعظيم، واتجروا تجارة الأكياس، ولا تغتروا بتجارة السفهاء.

اللَّهُمَّ يا من ذلت له جميع الرقاب، وجرى بأمره السحاب، كن لنا ولا تكن علينا يا كريم يا وهاب، ثبتنا في الحال والمآب، وألهمنا بالتقوى قبل حلول التراب، وأرشدنا عند السؤال إلى صحيح الجواب، وهب لشيبتنا معاصي الشباب.

اللَّهُمَّ يسرنا لليسرى، وجنبنا للعسرى، واجعلنا هداة مهتدين.

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا قريب سميع الدعاء. اللَّهُمَّ اجعلنا من الأوفياء للعهود، والركع السجود، والمطيعين للملك المعبود، اللَّهُمَّ اهدِ شبابنا وشباب المسلمين، اللَّهُمَّ حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، واجعلهم من الراشدين.

اللَّـهُمَّ يا صاحب كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى، ويا رافع كل بلوى، يا منقذ الغرقى، ويا منجي الهلكى، لا رب لنا سواك فندعوه، ولا مالك لنا غيرك فنرجوه، إلهنا من نقصد وأنت المقصود، ومن نتوجه إليك وأنت صاحب الكرم والجود، ومن الذي نسأله وأنت الرَّب المعبود، يا من عليه يتوكل المتوكلون، وإليه يلجأ الخائفون نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار.

اللَّـهُمَّ إنا نعوذ بك أن تطرحنا في النار برحمتك يا أرحم الراحمين، يا أمان الخائفين، ويا رجاء المذنبين، نسألك برحمتك أن لا تعذبنا بالنار، وقد أسكنت توحيدك قلوبنا يا ذا الجلال والإكرام، اللَّـهُمَّ أعطنا ولا تحرمنا، وكن لنا ولا تكن علينا، واختم بالصالحات أعمالنا، وارحم ضعفنا واجبر كسرنا، ولا تخيب.

اللَّـهُمَّ رجاءنا، واجعل آخر كلامنا من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله، وتوفنا وأنت راض عنا غير غضبان، اللَّـهُمَّ تول أمرنا وأحسن خلاصنا واحفظ أمننا وبلادنا وقرانا ومساكننا يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّـهُمَّ إنا نسألك حبَّك، وحبَّ رسولك محمد ﷺ، وحبَّ العمل الذي يقربنا إلى حبك، اللَّـهُمَّ اجعل حبك وحب رسولك ﷺ أحب إلينا من أنفسنا ووالدينا، ومن الماء البارد على الظمأ، اللَّـهُمَّ ارزقنا اتباعه، وأكرمنا بشفاعته، وأوردنا حوضه، وارزقنا مُرافقته في الجنة.

عباد الله...

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبي محمدٍ ﷺ. وأقم الصلاة.

الخطبة الثالثة عشرة

أدوا إذا ائتمنتم تدخلوا جنة ربكم

الحمد لله رب العالمين، إلهي، ما أحلمك على من عصاك! وما أقربك ممن دعاك، وما أعطفك على من سألك، من ذا الذي سألك فحرمته؟! ومن ذا الذي لجأ إلى بابك فطردته؟! ومن ذا الذي تقرب إليك، فأبعدته؟ ومن الذي تاب إليك فما قبلته؟!

يا مؤنس كل وحيد، ويا صاحب كل فريد، ويا قريبًا غير بعيد، ويا شاهدًا غير غائب، ويا غالبًا غير مغلوب، أتراك تعذبنا وتوحيدك في قلوبنا؟

نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلا أن تحسن أخلاقنا، وأن تسقينا من حوض نبينا محمد ﷺ.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادٍ من قبل الله ﷻ، يا أهل الجنة: فيقولون: لبيك ربنا وسعديك فيقول لهم: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك؟! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا، عبد الله ورسوله، أول شافع وأول مشفع وأول من يدخل الجنة فيحرك حلقها، فيقول رضوان خازن الجنان: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وتمسك بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب رسول الله. . .

نحن اليوم على موعد بلقاء، لقاؤنا دائمًا يتجدد بالإيمان، لقاؤنا مع المنهل العذب المورود، مع نبي الملك المعبود، يرشدنا إلى «طريق الجنة» فهو إمامنا، وهو قدوتنا، وهذا هو اللقاء الثالث عشر.

من لقاءاتنا «**الطريق إلى الجنة**» وطريق اليوم هو الطريق الذي رسمه لنا النبي الأكرم، والرسول الأعظم ﷺ هنالك في الحديث الذي ذكرناه منذ عدة لقاءات: «**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْـجَنَّةَ**».

وموعدنا مع قوله: «**وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ**».

وطريق اليوم فضيلة من أنبل الفضائل، وخلق من أعظم الأخلاق، وصفة من خير صفات المؤمنين، وخصيصة من أعظم خصائصهم.

من اتصف بها كان الفلاح غنيمته، والفوز في هذه الحياة نصيبه، وكان جزاؤه يوم القيامة الفردوس الأعلى، والنعيم الأوفى، والعيش الرضي إنها «الأمانة».

قال الله ﷻ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝** ﴾ [المؤمنون: ٨ - ١١].

إنها الفريضة التي يتواصى المسلمون برعايتها، ويستعينون بالله على حفظها، حتى إنه عندما يكون أحدهم على أهبة سفر يقول له أخوه، كما جاء في حديث الترمذي وغيره: «**أَسْتَوْدِعُ اللَّـهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ**»[1].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٤٣٥)، و«صحيح الجامع» (٩٢٧).

ولذلك كان سيدنا الأمين ﷺ يوصي بها في جميع خطبه، فيقول أنس رضي الله عنه: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: **«لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ»**(١).

فهي لب الإيمان، وهي منه بمنزلة القلب من البدن، فمن ضيع جزءًا منها سقم إيمانه وضعف بقدره، فإن ضيع الكل خرج عن جملة الإيمان.

عباد الله...

إن أردتم أن يحبكم الله ورسوله، فأدوا الأمانات إلى أهلها، ولا تخونوا قال ﷺ: **«إن كنتم تحبون أن يحبكم الله ورسوله، فحافظوا على ثلاث خصال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الجوار»**(٢).

ولمكانة الأمانة في الإسلام نجد أن النبي ﷺ أوصى أصحابه - رضوان الله عليهم، بل أوصى الأمة كلها بأدائها، فقال: **«أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»**(٣).

وذكرها النبي ﷺ في الخصال الأربع، التي لا بأس على صاحبها إن فعلها وقت فوات الدنيا، قال أمين وحي الأرض ﷺ: **«أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلاَ عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصَدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ»**(٤).

---

(١) صحيح: رواه أحمد والبزار، والطبراني في «الأوسط» وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٠٠٤).

(٢) حسن بمجموع طرقه: كما قال الألباني في «الصحيحة» رقم (جـ٦/ ٤٩٧ رقم ٢٩٩٨)، وقال: ذكره الشاطبي في كتابه الاعتصام (٢/ ١٣٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٧) رقم (١٩٧٤٨).

(٣) صحيح: «صحيح سنن أبي داود» للألباني (٣٥٣٤)، والترمذي (١٢٨٧)، والمشكاة (٢٩٣٤).

(٤) صحيح: رواه أحمد والطبراني، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٧٣).

بل وصل الأمر في الاهتمام بها، غاية الاهتمام لدرجة أن الشهيد يغفر له كل شيء إلا الأمانة، يقول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: القتل في سبيل الله، يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة، ثم قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله، فيقال: أدِّ الأمانة، فيقول: أي ربِّ، كيف وقد ذهبت الدنيا، قال: فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية، فينطلق به إلى الهاوية وتمثل له الأمانة، كهيئتها يوم دفعت إليه، فيراها، فيعرفها، فيهوي في أثرها، حتى يدركها، فيحملها على منكبيه، حتى إذا نظر ظن أنه خارج، زلت عن منكبيه، فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين، ثم قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عدها، وأشد ذلك الودائع.

قال - يعني زاذان -: فأتيت البراء بن عازب، فقلت: ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود، قال كذا، قال كذا.

قال: صدق، أما سمعت الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

عباد الله...

ونرى في كلام ابن مسعود رضي الله عنه أنه يريد أن يوضح للناس أن الأمانة واسعة الدلالة، فليست مقصورة على الودائع المالية، أو نحوها، فحقيقتها في دين الله عز وجل أوسع وأضخم بكثير مما يتصور عامة الناس، فذكر ابن مسعود رضي الله عنه أن الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والكيل أمانة، فالأمانة في نظر الشارع واسعة الدلالة، ولذلك قيل في تعريفها: هي كل ما افترض الله على العباد، فهو أمانة، كأركان الإسلام، وأداء الدين وكتم الأسرار، وقيل: كل ما يؤتمن عليه من أموال وحرم وأسرار فهو أمانة، والغسل من الجنابة أمانة، قال صلى الله عليه وسلم: «**خَمْسٌ مَنْ جَاءَ مِنْهُنَّ مَعَ إِيمَانٍ بِاللَّـهِ دَخَلَ الْـجَنَّةَ:**

١ - مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْـخَمْسِ عَلَى وُضُوئِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ.
٢ - وَصَامَ رَمَضَانَ.
٣ - وَحَجَّ الْـبَيْتَ إِنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا.
٤ - وَأَدَّى الزَّكَاةَ عَنْ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ.
٥ - وَأَدَّى الأَمَانَةَ».

قالوا: يا أبا الدرداء - راوي الحديث - وما أداء الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة[١].

وما يدور بين الرجل وزوجته في فراش الزوجية أمانة، قال - صلوات ربي وسلامه عليه -: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّـهِ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»[٢].

وحواسك التي أنعم الله ﷻ بها عليك أمانة، والمواهب التي خصك الله ﷻ بها دون غيرك أمانة، وأولادك أمانة، وزوجتك أمانة، فيجب على المسلم أن يسخر أعضاءه وحواسه وأمواله في طاعة الله ﷻ وقرباته ومرضاته، وإن امتحن بنقص شيء منها، فلا يجزع، فلله ما أعطى، ولله ما أخذ، وإن امتحن ببقائها، فلا ينبغي أن يتقوى بها على معصية الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٧، ٢٧].

ومن معاني الأمانة أن يوضع كل شيء في المقام الجدير به، واللائق له، لأن الوظيفة التي يقوم بها المسلم أمانة، والعمل الذي يوكل إليه ليقوم به مهما كان حجمه، صغيرًا أو كبيرًا، عظيمًا أو حقيرًا فهو أمانة.

---

(١) حسن: رواه الطبراني بإسناد جيد، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٩)، وصحيح الترغيب برقم (٣٦٩).
(٢) رواه مسلم وأحمد وأبو داود.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**»(١).

أمة الإسلام...

ألا ترون إلى نبي الله يوسف عليه السلام، إنه لم يرشح نفسه لإدارة شئون البلاد بإيمانه وبتقواه، أو بنبوته فحسب، لكن بعلمه ومقدرته على هذا العمل؛ ﴿ **قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٥٥].

ومن الأمانة أن لا يستغل الإنسان منصبه أو وظيفته التي عين فيها، لجلب نفع خاص به، أو لدفع ضر عنه، واستغلال المناصب خيانة للأمانة، وجريمة في حق سائر الأمة، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٦١].

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: «**مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

والمجالس إذا جلست فيها، ودار فيها الحديث عن فلان وفلان، فهذا أمانة، فلا تدع لسانك يفشي أسرارها، أو يسرد أخبارها.

فكم من حبال تقطعت، ومصالح قد تعطلت، لأن بعضهم قد استهان بأمانة المجلس، قال صلى الله عليه وسلم: «**إذا حدَّث رجل رجلًا بحديث، ثم التفت فهو أمانة**»(٣).

فالأمانة فضيلة ضخمة، عرضت على السموات والأرض والجبال، فأشفقن من حملها.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه مسلم وأبو داود وغيرهما.

(٣) حسن: رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٠٢٥).

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

الأمانة حمل ثقيل كبير، تصوروا أن السموات والأرض والجبال، هذه المخلوقات الضخمة القوية تشفق من حملها، أبت أن تحمل هذا الحمل الثقيل، ويتقدم الإنسان الضعيف الحول، القصير العمر، الذي تتحكم فيه الشهوات والرغبات يتقدم هذا الإنسان الجهول ليحملها، فمن أداها كاملة على مراد الله فهو الأمين ومن خانها فهو الظلوم الجهول.

قالوا: أودع رجل إلى جاره ألف دينار، وأمره بالمحافظة عليها، حتى يعود من سفره، فقبض الرجل الوديعة منه، وأقسم له أيمانًا مؤكدة أنه سيحافظ عليها وسوف يرعاها حتى يعود، فمات صاحب الوديعة في سفره، فقامت زوجته برعاية أولاده من بعده، وعلمت أن لزوجها وديعة عند جارهم، فتوجهت إليه وذكرته بما حدث لزوجها، وأنه مات ولم يترك لهم شيئًا، ثم طلبت منه الأمانة التي كانت عنده، لكي تستعين بها على تربية أولادها، لكنه أنكر الوديعة، وخان الأمانة، وحلف أنه ما أخذ شيئًا، فرفعت أمرها إلى الحاكم، فحلف زورًا وبهتانًا أنه ما أخذ من زوجها مالًا، فانصرفت المرأة باكية متحسرة، وأخذت تجتهد في الدعاء عليه، ولم تمض إلا أيام قلائل على إنكاره، حتى أصابه دعاؤها فمات فجأة قبل أن يستغفر الله من ذنوبه، وقبل أن يرد الأمانة إلى أصحابها، فلما جردوه من ثيابه ليغسلوه، وجدوا على جسده ألف كية بالنار، فأخبروا بذلك أحد الصالحين، فقال لهم: إنها كيات بعدد الدنانير، التي خان فيها.

عباد الله...

لقد أخبرنا سيد الأمناء ﷺ أن تضييع الأمانة علامة من علامات الساعة ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس

يحدث القوم، جاء أعرابي، فقال: متى الساعة؟ - يعني متى تقوم القيامة؟ - فمضى رسول الله ﷺ يُحدِّث، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال: قَالَ «**أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ**».

قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّـهِ.

قَالَ: «**فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**».

قَالَ الأعرابي: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يا رسول الله؟

(فذكر النبي ﷺ صورة من صور ضياع الأمانة فقال): «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»(١).

ونحن في هذا الزمان ألم يوسد الأمر إلى غير أهله؟! فقد وقعت والله هذه العلامة، الأمة الأمينة هي التي تقدم الأكفاء، تقدم الرجل المناسب للمكان المناسب في الوقت المناسب، لكن في عصرنا هذا ضيعت الأمانة.

قال ﷺ: «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْـكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْـخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**» قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ؟ «**الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْـعَامَّةِ**».

وفي لفظ: «**الرجل السفيه يتكلم في أمر العامة**».

عباد الله...

إنَّ الأمانة من أبرز أخلاق أنبياء الله ورسله عليهم السلام فسيدنا نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم جميعًا من الله السلام يخبرنا مولانا ﷻ أن كل رسول منهم قد قال لقومه: ﴿ **إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** ﴾ [الدخان: ١٨].

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم باب فضل العلم، وفي كتاب الرقاق باب رفع الأمانة.

ورسولنا محمد ﷺ كان في قومه قبل الرسالة وبعدها مشهورًا بينهم بأنه الأمين، وكان الناس يختارونه لحفظ ودائعهم عنده، لأجل هذا عندما هاجر من مكة إلى المدينة، وترك مكة، ترك سيدنا عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه ليرد الودائع إلى أصحابها.

وسيدنا جبريل عليه السلام أمين وحي السماء، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣].

وكذلك نبي الله وكليمه موسى عليه السلام وصفته إحدى ابنتي الرجل الصالح بالأمانة حين سقى لهما الأغنام، واحترم أنوثتهما، وكان معهما عفيفًا شريفًا ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص: ٢٤ - ٢٦].

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان أو كما قال، «ادعوا الله».

الخطبة الثانية

الحمد لله من تقرب إليه شبرًا تقرب منه ذراعًا، ومن تقرب إليه ذراعًا تقرب منه باعًا، ومن مشى إليه، هرول إليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، بمحبته تطمئن القلوب، وتصفو النفوس من أكدار الذنوب.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وحبيبه من خلقه وخليله، حبه سعادة وصفاء، وراحة وهناء، ومنزلة فيها حسن الجزاء.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

عباد الله...

اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، اتقو الله وارعوا أماناتكم وحسنوا أخلاقكم، وأدوا ما ائتمنتم عليه، فهذه صفات المؤمنين المتقين الذين كتب الله لهم الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة.

فقد أتى لعمر بن عبد العزيز رحمه الله بتفاحتين، فأبى أن يقبلهما، فقيل له: قد كان رسول الله ﷺ - يقبل الهدية، فقال عمر: هو لرسول الله ﷺ هدية، وهو لنا رشوة، ولا حاجة لي به.

فما أحوجنا أن نتخلق بهذا الخلق الرفيع، ومن أجمل وأرق ما قرأت في هذا الباب ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: **«أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِى بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ.**

فَقَالَ: كَفَى بِاللَّـهِ شَهِيدًا.

قَالَ: فَأْتِنِى بِالْـكَفِيلِ.

قَالَ: كَفَى بِاللَّـهِ كَفِيلًا.

قَالَ: صَدَقْتَ.

فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِى الْـبَحْرِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْـتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا، يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِى أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً، فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ، وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْـبَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّى كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلاَنًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِى كَفِيلًا، فَقُلْتُ:

كَفَى بِاللَّـهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّـهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا، أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا.

فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا، يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ.

فَقَالَ: وَاللَّـهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ.

قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ.

قَالَ: فَإِنَّ اللَّـهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»(١).

أيها الأحبة في الله...

ما أحوجنا إلى الأمانة، فكل منا مستأمن على شيء، وقد قال نبينا ﷺ: «**أول ما تفقدون من دينكم الأمانة**» فلنكن أهلًا للأمانة أيًا كان حجمها، فلنتق الله، ولنراقبه سبحانه وتعالى، فإنه معنا يسمع ويرى، واحذروا أن تكون من الذين لا يحبهم الله ﷻ ولا يهديهم، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٢].

اللَّهُمَّ اختم بالأعمال الصالحات أعمالنا، وحقق بفضلك آمالنا، وسهل لبلوغ رضاك سبلنا، وحسن في جميع الأحوال أعمالنا.

يا منقذ الغرقى، ويا منجي الهلكى، ويا دائم الإحسان، أذقنا برد عفوك،

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

وأنلنا من كرمك وجودك ما تقر به عيوننا من رؤيتك في جنات النعيم.

اللَّهُمَّ عاملنا بلطفك وإحسانك، واقطع عنا ما يبعدنا عن طاعتك اللَّهُمَّ ثبت محبتك في قلوبنا، وامح الغل والحسد من صدورنا.

اللَّهُمَّ اجعلنا للأمانة مؤدين، وبالصدق ناطقين، وبالعهود موفين وعلى سنة حبيبك محمد ﷺ عاملين، ولقرآنك تالين وبالتوحيد قائمين، ولفضلك راجين يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ إن هذا حالنا لا يخفى عليك، فعاملنا يا ربنا بالإحسان إذ الفضل منك وإليك، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، يا رب العالمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبي محمدٍ ﷺ. وأقم الصلاة.

الخطبة الرابعة عشرة

احفظ فرجك تدخل الجنَّة

الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، ورب الخلائق أجمعين، سبحانه، سبحانه، بهرت عظمته عقول العارفين، وظهرت بدائعه لنواظر المتأملين، سبحانه له مقاليد السموات والأرض، وبيده القبض والبسط، والرفع والخفض، نصب الجبال فأرساها، وفجر المياه وأجراها، ورفع السماء وأعلاها، ووضع الأرض ودحاها، وسخر الشمس والقمر دائبين، وجعل الليل والنهار متعاقبين، الملائكة من خشيته مشفقون، والرسل من هيبته خائفون، والجبابرة لعظمته صاغرون، له من في السموات والأرض، كل له قانتون، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

يا رب...

إن ذنـــوبي في الـــورى عظمـــت وليس لي من عمل في الحشر ينجيني

أتيـــتك بالتوحـــيد يـــصحبه حـب الرسـول وهذا القدر يكفيني

وأشهد أن سيدنا، وحبيبنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله ربه للإيمان مناديًا وإلى الجنة داعيًا، وإلى الطريق المستقيم هاديًا، وفي مرضاة ربه ساعيًا، وبكل معروف آمرًا، وعن كل منكر ناهيًا، فرفع الله له ذكره، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والمهانة على من خالفه.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

أحبتي في الله...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلًا، وأسأل الله العلي العظيم، رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم مع سيد الدعاة، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغرِّ المحجلين، في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وموعدنا اليوم لنستكمل المسيرة الطيبة مع سلسلتنا الطيبة (الطريق إلى الجنة) وهذا هو اللقاء الرابع عشر، نواصل الحديث عن الطريق الثاني في حديث النبي ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَـحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْـجَنَّةَ**».

تحدثنا في اللقاء السابق عن حفظ اللسان، وعلمنا كيف أن اللسان، وما يخرج منه من كلام طيب يوصلنا إلى جنة ربنا ﷻ، وبالعكس لو خرج من اللسان كلام غير طيب، كلام باطل، قبيح، سيئ، كان سببًا في دخول صاحبه النار.

واليوم مع الشطر الآخر: «**وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْـجَنَّةَ**» أي يحفظ المسلم فرجه، عن أي شيء يحفظه؟ يحفظه عن الوقوع فيما حرم الله ﷻ، يحفظه عن الوقوع في الزنا، يحفظه عن الوقوع في أفحش الفواحش، وقد جعل ربنا تبارك وتعالى حفظ الفرج، وقبله حفظ اللسان من أوصاف من كتب الله لهم الفلاح والنجاح، كما قال الله ﷻ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝** ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧].

وبعد أن بين صفاتهم بين جزاءهم، فقال: ﴿ **أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝** ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

وقد بشر النبي ﷺ هؤلاء الذين يحفظون ألسنتهم، ويحفظون فروجهم

بالجنة، كما ذكرنا في حديث سهل بن سعد ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه، تضمنت له بالجنة**».

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

وعند الطبراني وأبي يعلى: «**مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ فَقْمَيْهِ وَفَخِذَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

وفي رواية عن أبي موسى ﵁ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أحدثك ثنتين من فعلهما، دخل الجنة**».

قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**يحفظ الرجل ما بين فقميه وما بين رجليه**».

وعند الحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «**يا شباب قريش، احفظوا فروجكم، لا تزنوا، ألا من حفظ فرجه، فله الجنة**».

أيها الموحدون الكرام...

إنَّ من أفحش الفواحش، وأحط القاذورات جريمة الزنا، حرمها الله ﷻ، وجعلها قرينة للشرك في سفالة المنزلة، وفي العقوبة والجزاء، قال الله تعالى: ﴿**ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾**﴾ [النور: ٣].

وقال في الجزاء والعقوبة: ﴿**وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ**﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

وما ذلك إلا لأنه من أشنع الجرائم، وأقبح القبائح، لماذا؟ لأنه يبدد الأموال، وينتهك الأعراض، ويهلك الحرث والنسل، عاره يهدم البيوت، ويطأطئ عالي الرؤوس، يسود الوجوه البيضاء، ويخرس ألسنة البلغاء، ويهبط بالعزيز إلى هاوية الحقارة والازدراء، هاوية ما لها من قرار.

الزنا علاقة حيوانية، لا تبعة فيها، ولا مسئولية، ولا يقدم عليها إلا الجبناء الذين لا يريدون أن يتحملوا مسئولية أسرة، ولا أبناء، ولكنهم لا يريدون إلا قضاء شهواتهم، وإشباع غرائزهم المنحطة.

إنه يشين جميع أفراد الأسرة، ويقضي على مستقبلها، بانتشاره تغلق أبواب الحلال، ويكثر اللقطاء، وتنشأ في المجتمع طبقات بلا هوية، طبقات شاذة حاقدة على المجتمع، لا تعرف المودة، ولا المحبة، ولا العطف والحنان، ولا العلاقات الأسرية، فيعم الفساد.

إنه يجمع خلال الشر كلها من الغدر والكذب والخيانة أليس ينزع الحياء، ويذهب الورع والمروءة، ويطمس نور القلب، ويجلب غضب الرب.

عباد الله. . .

إنه امتهان لكرامة الإنسان، ذكرًا كان أو أنثى، بل لقد نفى الله ﷻ والنبي ﷺ الإيمان في أكثر من حديث، ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَزْنِى الزَّانِى حِينَ يَزْنِى وَهْوَ مُؤْمِنٌ**».

وقال: «**إِذَا زَنَى الْـعَبْدُ خَرَجَ مِنْهُ الإِيمَانُ فَكَانَ فَوْقَ رَأْسِهِ كَالظُّلَّةِ فَإِذَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْـعَمَلِ عَادَ إِلَيْهِ الإِيمَانُ**».

إنه يعرض مرتكبه، بل المجتمع كله للإصابة بالأمراض السرية القاتلة مثل مرض الزهري والسيلان؟ ومن أمراض العصر الشهيرة من مرض الإيدز، ومرض الهربس، إلا وليدة هذه القاذورات.

اسمعوا إلى حديث المصطفى ﷺ الذي أخرجه ابن ماجه وغيره من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يَا مَعْشَرَ الْـمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّـهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ** - وذكر منها -: **لَمْ تَظْهَرِ الْـفَاحِشَةُ فِى قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِى لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِى أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا**».

نسأل الله العفو والعافية.

الزنا، وارتكاب هذه الفاحشة القبيحة يمكن أعداء الإسلام من المسلمين، ويطيل عمر الباطل، جاء في كتاب بروتوكلات حكماء صهيون: إذا أردنا السيطرة على العالم، فلا بد من تدمير أخلاقه.

نابليون بونابرت عندما أراد أن يحتل بلدًا من بلاد المسلمين، جاء ومعه سفينة محملة بالنساء العاهرات الفاجرات، فقيل له: نحن في حالة حرب، فلماذا أتيت بأولئك العاهرات؟ قال: بالعاهرات الفاجرات أفتح بلاد المسلمين.

لكن الله ﷻ حرمه، وحرم سبله، والطرق المؤدية إليه، قال تعالى في كتابه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢].

لم يقل: ولا تزنوا، وإنما قال: ولا تقربوا الزنا، أي لا تقربوا ولا تفعلوا مقدماته من نحو لمس وتقبيل ونحو ذلك مما يثير الشهوات، فيوقع في المحذور.

عباد الله...

لذلك نرى أن الإسلام عمل على سد هذا الباب، وهذا الطريق لأنه طريق إلى الهاوية، أمر المؤمنين بغض البصر، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

وحذر من الخلوة بالمرأة الأجنبية، فقال ﷺ: «لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ».

ونرى في هذا الزمان شبابًا كثيرين يعزفون عن الزواج الشرعي الصحيح على كتاب الله وسنة رسوله، ويتحايلون، إما بالزواج العرفي كما يسمونه، وإما بالزواج السري، أو بعلاقة أثيمة بين شاب وفتاة، لماذا؟

لأنه لا يجد المهر، وإذا وجد المهر لا يجد الشقة، وإذا وجدهما لا يجد المال

الذي يشتري به ما يسمونه بالعفش، فأصبح الحلال عسيرًا في زماننا، والحرام يسيرًا سهلًا، وأصبح الشباب بعيدًا عن دينهم وعن رسولهم، مع أن رسولنا ﷺ قال: «**أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً، أَيْسَرُهُ مُؤْنَةً**».

وزوج النبي ﷺ بعض أصحابه على آيات أو بعض سور من القرآن الكريم، وقال له: «**زوجتكها بما معك من كتاب الله**».

فعلى الآباء أن ييسروا للشباب الزواج، فهم مسئولون عن أبنائهم وبناتهم، قال ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» .

وكلنا مأمورون بأن نقي أنفسنا وأهلنا من النار، قال تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ** ﴾ [التحريم: ٦].

أيها الموحدون الكرام...

وللزنا أسباب كثيرة منها:

العقوبة المشجعة لا الرادعة، العقوبة يراد بها أن تردع الجرم ولكن بعد أن انحرفت أمتنا عن منهج الله، ونحّت كتاب الله عن الحياة جئنا بقوانين من بلاد كفرنسا التي تجيز في قوانينها التعايش الثلاثي وهو أن يعيش الزوجة والزوج والعشيق تحت سقف واحد، من هذه البلاد العاهرة أخذنا قوانيننا، وفي بلاد الإسلام مادة معمول بها أن الرجل إذا زنى بالمرأة برضاها لم توقع عليه عقوبة وإذا زنى بامرأة متزوجة ولم يرفع الزوج بذلك دعوى لم توقع عليه عقوبة بمعنى إذا أردت أن تزني التمس رضا من تريد أن تزني بها أما أن تلمسها من غير رضاها فالعقوبة عشر سنوات ولكن إذا كان برضاها فليس عليك شيء في ذلك.

حادثة جرت ومن الجرائد نفسها امرأة غضبى خرجت من بيت زوجها فتلقفها سبعة عشر شابًا وفعلوا بها الفاحشة، عرض الأمر على القضاء ما الذي حكم به القاضي أما الزوج الشريف فقد تنازل عن دعواه فالعرض عرضه وهو

حر فيه فسقطت العقوبة عن الزوجة، وبما أن العقوبة سقطت عن الزوجة إذن تسقط العقوبة عن الزناة ويؤخذ عليهم تعهد بحسن سير السلوك لمدة ستة أشهر، تشريعات لا غيرة فيها، ولا يمكن أن تصدق أو تطبق إلا في مجتمع أفراده خنازير، تأمل معي عمر بن الخطاب كان يأكل الطعام فجاءه رجل يعدو ومعه سيفه وهو يقطر دمًا فجلس عند أمير المؤمنين، فجاء رجال يعدون قالوا: يا أمير المؤمنين إن هذا الرجل قتل صاحبنا، نظر عمر بن الخطاب إلى الرجل فقال له: ماذا يقولون؟

قال: يا أمير المؤمنين دخلت داري فرأيت رجلًا بين فخذي امرأتي فعلوته بالسيف فإن كان صاحبهم فقد قتلته.

نظر إليهم وقال: ماذا تقولون؟ قالوا: إنه صاحبنا، نظر عمر بن الخطاب إلى الرجل وأخذ سيفه وهزه هزة المعجب به، وقال: بارك الله فيك وفي سيفك فإن عادوا فعد وأهدر دم الزاني.

ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي إلى أن الرجل إذا دخل داره ورأى رجلًا فوق امرأته فقتلهما كلاهما فلا عقوبة عليه ويهدر دم المقتول، منهج من طبيعة الإنسان السليمة، ومن الفطرة المستقيمة لا كما هو الحال في ديارنا التي أخذنا قوانينها من ديار أعداء الله.

وفي سويسرا جرت حادثة، أن رجلًا دخل داره فرأى رجلًا في فراش الزوجية فألزمهما أن يكونا في هذا الوضع واتصل بالشرطة في الحال، عرض الأمر على القضاء فبماذا قضى؟ يطلق سراح المرأة ويطلق سراح العشيق، وتأخذ غرامة من الزوج لأنه قيد حرية الرجل الغريب.

الترف والمال العريض إذا قدر لإنسان لا دين له أو عنده ضعف في الدين فتنقلب عنده المقاييس فكيف يتعامل مع نعم الله ﷻ.

يعلمنا الله سبحانه أن سليمان عليه السلام استقبل نعمة الله وشعر بأنها ابتلاء فقال: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل: ٤٠].

أما الذي لا دين له فإنه يستقبل نعمة الله بالكفر وصدق الله العظيم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

فبدلًا من أن يستقبلها بالشكر يستقبلها بالجحود والكفران.

الرغبة في الحصول على المال: وأيسر طريق لفاقد الدين والحياء أن يبذل عرضه من واقعنا، ففي إحدى الشركات يأتي مستخدم بسيط براتب بسيط ولا تمضي الأيام والأشهر وإذا به يصبح مديرًا للتعيينات في تلك الشركة كيف؟!! بذل زوجته لرئيس الشركة فارتقى بعرض زوجته إلى أن حصل على هذا المنصب.

وكذلك الأسر المفككة: لكل منهم عالمه الخاص الذي يعيش فيه وتوكل أمر التربية إلى الخدم في إحدى الضواحي أجريت عملية إحصاء فتبين أن سكانها ثلاثة آلاف، ألف أهلها وألفان من الخدم، بمعنى أن لكل فرد خادمتان أو خادمان؟ وأثبتت الدراسات التي تكتب عن أثر الخادمات في الأسر وفي البيوت وأن فيه إفساد للخلق وللدين وللعقائد ولكن قومي لا يعلمون.

أيها الموحدون...

لكن هذه الجريمة النكراء لها عقوبة من أشد العقوبات، أما عقوبة الزاني فكيف تكون؟!

أما في الدنيا فإن الزاني لن يسلم عرضه، وقد جاء في الأثر: (بشر الزاني بخراب بيته ولو بعد حين)، (كما تدين تدان) ونذكر قصة الرجل الذي كان يتاجر بين الموصل والشام، بلغ به الكبر عتيًا فطلب من ولده أن يخرج في التجارة وأوصاه أن يحفظ عرض أخته، لم يفهم الولد، أخته في الدار وهو خارج للتجارة فكيف يحفظ عرضها؟! لما عاد بعد أن ربح الربح الوفير وفي الصحراء رأى فتاة ترعى غنمًا راودها عن نفسها فلم يظفر منها إلا أن قبّلها في تلك اللحظة وفي هذه الأثناء كان هناك سقاء يدور على البيوت يضع لهم الماء كما هو الحال من قبل، رجل في العقد

الخامس من عمره يطرق باب التاجر والتاجر في شرفة المنزل ينظر، تفتح ابنته الباب يدخل السقاء ويضع الماء فيغافل البنت فيقبلها ويهرب، لما عاد ولده وهو يخبره بالربح الوفير قال له: من الفتاة التي قبلتها ومتى وأين؟ فارتعب الولد من الذي أدرى أباه؟ ومن الذي أعلمه؟ قال: ألم أوصك أن تحفظ أختك، والله لو زدت لزاد، وجرت مثلًا عند أهل الموصل قولهم دقة بدقة وإن زدت لزاد السقا.

ثم عذاب الله ﷻ في الآخرة رأى النبي عليه الصلاة والسلام ليلة أسري به، رجالًا يأكلون لحمًا نتنًا تظهر رائحته ويتركون الطيب قال: «**من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء رجال من أمتك تكون عند أحدهم المرأة بالحلال فيدعها ويبيت عند امرأة خبيثة حتى يصبح**».

ورأى النبي عليه الصلاة والسلام في رؤياه ما يشبه التنور وسمع فيه أصواتًا وعواء فاطلع عليه فرأى رجالًا ونساء عراة يأتيهم اللهب من أسفل منهم حتى يرقى بهم إلى أعلى التنور ثم يهبط بهم، قال: «**من هؤلاء؟ فقيل له: هؤلاء الزناة والزواني**».

وفي حديث عند أحمد وأبي يعلى وابن حبان في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: «**إذا مات مدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة، قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجري من فروج المومسات - يعني البغايا - يؤذي أهل النار ريح فروجهن**»(١).

فأهل النار يعذبون بنتن ريح الزناة.

فاتقوا الله يا أمة الإسلام، وقفوا عند مسئولياتكم خذوا على أيدي السفهاء تنجوا وتنج سفينتكم.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٣٩٩)، وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات كما في «المجمع» (٥/ ٧٤)، وأخرجه الحاكم (٤/ ١٤٦)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

الزوج مسئول، والأم مسئولة، والأب مسئول، وولي الأمر مسئول، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، اطلبوا النجاة لأنفسكم وأولادكم وإخوانكم وكل من تحت مسئوليتكم.

وهناك عقوبات حسية شرعها الله ﷻ لمن ارتكب الزنى لكن من سمات إسلامنا التدرج في التشريع فكما أن رب العزة سبحانه تدرج في تحريم الخمر وفي تحريم الربا فهناك التدرج في عقوبة الزاني.

فبادئ ذي بدء في عقوبة الزاني هي الإيذاء، وصدق الله العظيم: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ﴾ [النساء: ١٦].

ثم انتقل بعد ذلك إلى الحبس في البيوت حتى الموت يقول رب العزة سبحانه: ﴿ وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ [النساء: ١٥].

ثم انتقل إلى عقوبة الجلد للبكر مائة جلدة وللمحصن أن يرجم، يقول رب العزة سبحانه: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢].

ورجم المصطفى عليه الصلاة والسلام ماعز والغامدية، و جاء رجل إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقال: يا رسول الله إني قد زنيت، شهد على نفسه أربع شهادات، فسأل النبي عليه الصلاة والسلام، «**هل به من جنون؟ فقيل: لا، قال: هل أحصنت؟** (أي تزوجت) **قال: نعم، قال: اذهبوا به فارجموه**»[(١)].

وقد رجم رسول الله ﷺ ورجم صحابته من بعده، فقد ورد أن أعرابيًّا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أنشدك بالله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال له رسول الله: «**قل**»، فقال: إن ابني كان عسيفًا - أي أجيرًا - عند هذا فزنى بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

العلم، فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم، فقال: «**والَّذي نَفسي بيده لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُما بِكِتَابِ اللَّـهِ، أَمَّا الْـوَلِيدَةُ وَالْـغَنَمُ فَرَدٌّ عَلَيْكَ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُنَيْسُ - لِرَجُلٍ - فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا فَارْجُمْهَا**». فغدا أنيس، فاعترفت، فأمر بها النبي ﷺ فرجمت.

أيها المسلمون الكرام...

فقد خص الله ﷻ حد الزنى من بين سائر الحدود بثلاث خصائص:

أولها: القتل فيه بأبشع القتلات، وحين خففه على غير المحصن، جمع فيه بين عقوبة البدن بالجلد، وعقوبة أخرى معنوية بتغريبه عن موطنه عام كامل.

ثانيها: أنه سبحانه نهى عباده أن تأخذهم بالزناة رأفة أو رحمة في الدين بحيث تمنعهم من إقامة الحد عليهم.

ثالثها: أنه أمر أن يكون الحد بمشهد من المؤمنين، فلا يكون في خلوة بحيث لا يراهما أحد، وهذا أبلغ في الزجر.

فيا عجبًا للمشغولين بأوطارهم عن ذكر أخطارهم، لو تفكروا في حال صفائهم في أكدارهم، لما سلكوا طريق اغترارهم، أما يكفي في وعظهم، وازدجارهم: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ** ﴾ [النور: ٣٠].

أين أرباب الهوى والشهوات، ذهبت والله اللذات، وبقيت التبعات، وندموا على ما فات، لكن هيهات هيهات.

يقول النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّـهِ: وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى**».

وقال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»، ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، العليم الخبير، الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء أحمده سبحانه في السراء والضراء، وأشكره في الشدة والرخاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ذو الفضل العظيم، والعطاء العميم.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا النبي المصطفى الكريم، أفضل النبيين.

وقائد المصلحين، وسيد الأولين والآخرين، وقائد الغرِّ المحجلين، وشفيع المذنبين يوم الدين، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان، وسلك طريقهم إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون عباد الله...

جاء إلى رسول الله ﷺ شاب فتى، تفور دماء الشهوة في عروقه، فقال: يَا رَسُولَ اللَّـهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا. فَأَقْبَلَ الْـقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ مَهْ.

فَقَالَ: «**ادْنُهْ**». فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. فَجَلَسَ. قَالَ ﷺ: «**أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟**». قَالَ: لاَ، وَاللَّـهِ جَعَلَنِى اللَّـهُ فِدَاكَ. قَالَ: «**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ**».

قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟**». قَالَ: لاَ، وَاللَّـهِ يَا رَسُولَ اللَّـهِ جَعَلَنِى اللَّـهُ فِدَاكَ. قَالَ: «**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**».

قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟**». قَالَ: لاَ وَاللَّـهِ جَعَلَنِى اللَّـهُ فِدَاكَ. قَالَ: «**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ**».

قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**». قَالَ: لاَ وَاللَّـهِ جَعَلَنِى اللَّـهُ فِدَاكَ. قَالَ: «**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**».

قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**». قَالَ: لاَ، وَاللَّـهِ جَعَلَنِي اللَّـهُ فِدَاكَ. قَالَ: «**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ**».

قَالَ أبو أُمامة ﷺ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**». قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْـفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»[1].

فليعلم كل مسلم أن للناس أعراضًا كعرضه، وحرمة كحرمته، فإذا ما حفظت أعراضهم حفظ الله عرضه، وإذا ما صان حرماتهم، صان الله حرمته، ولله در القائل:

عفـوا تعـف نـساؤكم في المحـرم ... وتجنـبوا مـا لا يلـيق بمـسلم
إن الزنـى ديـن فـإن أقرضـته ... كـان الـوفا مـن أهـل بيتك فاعلم
مـن يـزن يـزن بـه ولـو بجـداره ... إن كـنت يـا هـذا لبيـبا فـافهم
يـا هاتكًـا حـرم الـرجال وقاطعًـا ... سـبل المـودة عـشت غـير مكـرم
لـو كـنت حـرًا مـن سـلالة طاهر ... مـا كـنت هاتكًـا لحـرمة مـسلم

احتال قوم على امرأة ذات جمال بارع، وأعطوها مالًا على أن تتعرض للربيع ابن خثيم، لعلها تفتنه، فلبست أحسن الثياب، وتطيبت بأحسن الطيب ثم تعرضت له حين خرج من المسجد، فنظر إليها، فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة، فقال لها الربيع: كيف بك لو نزلت الحمى بجسدك، فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت، فقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟ فصرخت المرأة صرخة، ثم سقطت مغشيًا عليها، فلما أفاقت تابت ورجعت إلى الله ﷻ، حتى أنها يوم ماتت كانت كأنها جذع محترق».

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٣٧٠) (ج ١/ ٦٤٥)، وقال: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ بك من شرِّ أسماعنا ومن شر أبصارنا ومن شر ألسنتنا وشر قلوبنا وشر منينا.

اللَّهُمَّ عافنا في أبداننا وفي أسماعنا وفي أبصارنا اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك من الفقر والكفر.

اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت.

اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع ودعاء لا يسمع.

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك.

اللَّهُمَّ انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علمًا الحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار.

اللَّهُمَّ أغننا بالعلم وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجملنا بالعافية.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك صحة في إيمان وإيمانًا في حسن خلق ونجاحًا يتبعه فلاح، ورحمة منك وعافية ومغفرة منك ورضوانًا.

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ بوجهك الكريم واسمك العظيم من الكفر والفقر.

اللَّهُمَّ إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا، وتلم بها شعثنا، وترد بها ألفتنا، وتصلح بها ديننا، وتحفظ بها غائبنا، وترفع بها شاهدنا، وتزكي بها علمنا، وتبيض بها وجوهنا وتلهمنا بها رشدنا وتعصمنا بها من كل سوء.

اللَّهُمَّ أعطنا إيمانًا صادقًا ويقينًا ليس بعده كفر ورحمة ننال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة.

اللَّهُمَّ إنا نسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء.

اللَّهُمَّ ما قصر عنه رأينا وضعف عنه عملنا ولم تبلغه نيتنا وأمنيتنا من خير وعدته أحدًا من عبادك وخير أنت معطيه أحدًا من خلقك فإنا نرغب إليك فيه ونسألكه يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ ارزقنا أعينًا هطالة تشفيان القلب بذروف الدموع من خشيتك قبل أن تكون الدموع دمًا والأضراس جمرًا.

اللَّهُمَّ اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربًا لأعدائك وسلمًا لأوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبنا محمد ﷺ. وأقم الصلاة.

۞۞۞۞۞

الخطبة الخامسة عشرة

داوم على الاستغفار تدخل الجنة

الحمد لله رب العالمين، ينادي على عباده فيقول: «يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِى أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِى أُطْعِمْكُمْ.

يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِى أَكْسُكُمْ.

يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِى أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّى فَتَضُرُّونِى وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِى فَتَنْفَعُونِى.

يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِى مُلْكِى شَيْئًا.

يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِى شَيْئًا.

يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِى فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِى إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.

يَا عِبَادِى إِنَّمَا هِىَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّـهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ»[١].

---

(١) [illegible]

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له سبحانك، من الذي وقف ببابك فطردته ومن الذي دعاك فما أجبته؟ ومن الذي استغفرك فما غفرت له؟ يا سامع الصوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحمًا بعد الموت، يا من يرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، اغفر ذنوبنا.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور، سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله ربه رحمة للعالمين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين شرح الله به الصدور، وأنار به العقول، فتح الله به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، فهدى الله به بعد الضلالة، وعلم به بعد الجهالة، ووحد به بعد الفرقة، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين صلاة تفتح لنا بها يا ربنا أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًا ونصيرًا، فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب رسول الله ﷺ...

وما زال لقاؤنا موصولًا مع الطريق إلى الجنة، ونسأل الله رب العالمين في بداية هذا اللقاء الطيب المبارك أن يجمعنا يوم القيامة مع حبيب قلوبنا ونور أبصارنا سيدنا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى، إنه ولي ذلك والقادر عليه،

وطريقنا اليوم هو طريق من أعظم الطرق الموصلة إلى جنة الله رب العالمين وهو طريق يسير على من يسره الله عليه، طريق سلكه الأنبياء والمرسلون دلنا عليه النبي الأمين ﷺ وسماه سيد الاستغفار، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِى وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَىَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِى، اغْفِرْ لِى، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ**».

قَالَ ﷺ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْـجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهْوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهْوَ مِنْ أَهْلِ الْـجَنَّةِ»(١).

فقد جعل النبي المصطفى ﷺ سيد الاستغفار طريقًا إلى جنة الله رب العالمين جل في علاه.

لكن لماذا سماه النبي ﷺ بسيد الاستغفار؟ وما هي فوائد الاستغفار؟ وما هي الأوقات التي يندب فيها الاستغفار؟ وهل له صيغ أخرى؟

هذه الأسئلة سوف نجيب عنها بمشيئة الله تعالى في هذا اللقاء المبارك إنه لما كان هذا الدعاء جامعًا لمعاني التوبة كلها، أستعير له اسم السيد وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج، ويرجع إليه في جميع الأمور.

قال الشيخ ابن أبي جمرة رحمه الله: جمع ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يُسمى: سيد الاستغفار.

ففيه: الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعمة إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو، وفي كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة.

أحبتي في الله...

إن العبد يعترف بعجزه وقصوره في حق ربه ومولاه، الذي أخذ عليه العهد وهم في عالم الذر، ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ

---

(١) رواه البخاري والنسائي والترمذي وأحمد في «مسنده».

أنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فقد أقر له العباد بالربوبية، وأذعنوا له بالوحدانية وفيه اعتراف العبد بأن الله قد أنعم عليه بنعم لا تحصى ولا تعد، واعترف بالتقصير، وأنه لم يقم بأداء شكرها، فعد ذلك ذنبًا على سبيل المبالغة في التقصير، وهضم النفس،

ومن اعترف بذنبه، غفر الله له، قال ﷺ في حديث آخر: «**الْـعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّـهُ عَلَيْهِ**»(١).

فمن قال سيد الاستغفار، مخلصًا من قلبه، مصدقًا بثوابها، دخل الجنة، وقد أمرنا الله ﷻ بالاستغفار في كتابه العزيز في آيات كثيرة، وسمى نفسه ووصف نفسه بالغفار، وغافر الذنب، وذي المغفرة، وأثنى على المستغفرين ووعدهم جزيل الثواب، وكل ذلك يدلنا على أهمية الاستغفار، وفضيلته وحاجتنا إليه،

وقد ذكر لنا ربنا ﷻ عن أنبيائه ورسله، أنهم يستغفرون ربهم، ويتوبون إليه، فذكر عن الأبوين آدم وحواء عليهما السلام أنهما قالا: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وذكر لنا أن نوحًا عليه السلام قال: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٧].

وقال: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [نوح: ٢٨].

وكليم الله موسى عليه السلام قال: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ ﴾ [القصص: ١٦].

وذكر عن نبيه داود عليه السلام أنه استغفر ربه فقال: ﴿ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢٤].

---

(١) رواه البخاري وأحمد.

وذكر لنا أن نبي الله سليمان عليه السلام طلب من ربه المغفرة، فقال: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص: ٣٥].

وأمر خاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمدًا أن يستغفر ربه، فقال: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩]، أمره بذلك مع أنه أتقى الخلق وأكرمهم عليه، وأمره بالتسبيح والاستغفار في ختام حياته بعد أن دخل الناس في دين الله أفواجًا، فقال: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣ ﴾ [النصر: ٣].

لذلك كان النبي ﷺ ملازمًا للاستغفار آناء الليل، وأطراف النهار، حتى قال عن نفسه: «**وَاللَّهِ إِنِّى لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِى الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(١).

وقال سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كنّا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول: «**رَبِّ اغْفِرْ لِى، وَتُبْ عَلَىَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**».

وسيد الاستغفار، وهذا الدعاء من صيغ الاستغفار، الذي ينبغي للمسلم أن يتعلمها، ويرددها في آناء الليل، وأطراف النهار.

وقد جاء في حديث بلال بن يسار رضي الله عنه أن النبي ﷺ علم الأمة صيغة أخرى من صيغ الاستغفار، فقال: «**مَنْ قَالَ:أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ**».

عباد الله...

قال الحسن البصري رحمه الله: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم أينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة.

---

(١) رواه البخاري وأحمد وابن ماجه وغيرهم.

فينبغي على المسلم أن يكثر من الاستغفار آناء الليل، وآناء النهار، لأن به تحط الأوزار، وترفع الدرجات إلى منازل الأبرار، قال النبي المختار ﷺ: «**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**».

ولو لم نذنب ونستغفر، لذهب الله ﷻ بنا، ولجاء بقوم غيرنا يذنبون ثم يعودون إلى ربهم، فيستغفرون، فيغفر لهم، فما سمى نفسه الغفار إلا لأجلهم، قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ**».

يقول إبراهيم بن شيبان رحمه الله: كان عندنا شاب عبد الله ﷻ عشرين سنة فأتاه الشيطان، فقال له: يا هذا، لقد عجلت في التوبة والعبادة، وتركت لذات الدنيا، فلو رجعت إلى لذاتها فإن التوبة بين يديك؟

قال: فرجع إلى لذات الدنيا، وفي يوم من الأيام، وهو في منزله، قاعد في خلوة فذكر أيامه مع الله ﷻ، فحزن عليها، فقال في نفسه: تُرى إن رجعت يقبلني؟ فنودي: أن يا هذا، عبدتنا فشكرناك، وعصيتنا فأمهلناك، ولئن رجعت إلينا قبلناك.

أخي الحبيب...

هل تريد راحة البال، وانشراح الصدر، وسكينة النفس، وطمأنينة القلب والمتاع الحسن؟ فعليك بالاستغفار، قال العزيز الغفار: ﴿ **ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا** ﴾ [هود: ٣].

هل تريد قوة الجسم، وصحة البدن، والسلامة من العاهات والآفات والأمراض فعليك بالاستغفار، قال الملك الجبار: ﴿ **وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ** ﴾ [هود: ٥٢].

هل تريد دفع الكوارث والسلامة من الحوادث والأمن من الفتن والمحن؟

فعليكم بالاستغفار، يقول الواحد القهار: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنّ الله تعالى جعل في هذه الأمة أمانين: أمان قبضه الله تعالى - أي سيدنا محمد ﷺ - وأمان بقي فيكم، وهو الاستغفار.

إن أردت أن يكفر الله عنك السيئات، ويزيد لك في الحسنات، ويرفعكم درجات فعليكم بالاستغفار، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠]. وقال الرب العلي في الحديث القدسي: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ منك وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِى لاَ تُشْرِكُ بِى شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».

الاستغفار هو الدواء الذي يصقل القلوب من دنس الذنوب، قال قتادة رحمه الله: إنّ القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، أما داؤكم فذنوبكم، وأما دواؤكم فالاستغفار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِى قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِى ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤].

والاستغفار يفرج الهموم، ويزيح الكروب، ويفك المضايق، قال النبي المصطفى ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الاِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ».

أيها المسلمون عباد الله...

ومن أراد الأولاد، فليكثر من الاستغفار، ومن قلّ رزقه، فعليه بالاستغفار ومن أجدبت أرضه، فلم تخرج ذرعًا، فليلزم الاستغفار، فقد جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله وقال له: يا إمام، إنّ زوجتي عاقرًا لا تلد، فماذا أفعل؟ قال: اذهب فاستغفر الله.

ثم جاء آخر فقال له: يا إمام إن أرضي قد أجدبت، وقل إنتاجها، فقال له: اذهب، فاستغفر الله.

وجاء ثالث ليشكو داءً آخر، يا إمام، إن رزقي قليل، ومالي بسيط، قال: اذهب، فاستغفر الله.

فقال الجالسون معه: يا إمام، الداء مختلف، والدواء واحد، فقال لهم: ألم تقرءوا قول الله عز وجل: ﴿ **فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا** ﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

والله عز وجل يرضى عن المستغفر الصادق، لأنه يعترف بذنبه، ويتضرع إلى ربه، فكأنه يقول: يا رب، أخطأت وأسأت، وأذنبت، وقصرت في حقك، وتعديت حقوقك، وظلمت نفسي، وغلبني شيطاني، وقهرني هواي، وغرتني نفسي الأمارة بالسوء، واعتمدت على سعة حلمك، وكريم عفوك، وعظيم جودك، وكبير رحمتك، فالآن جئتك تائبًا نادمًا مستغفرًا، فاصفح عني، واعف عني، وسامحني، وأقل عثرتي، واغفر ذلتي، وامح خطيئتي، فليس لي رب سواك، ولا إله غيرك.

أيها الأحبة الكرام...

المستغفر ربه ومولاه يكيد شيطانه ويدحره، فهو عدوه اللدود، وقد أمرنا الله عز وجل أن نتخذه عدوًّا، قال ربنا عز وجل: ﴿ **إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦** ﴾ [فاطر: ٦].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لاَ أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي**»(١).

فأكثروا من الاستغفار ينزجر الشيطان ويصغر، فعن أبي قلابة، قال: إن الله عز وجل لما لعن إبليس سأله أن ينظره إلى يوم يبعثون، فأنظره إلى يوم الوقت المعلوم قال له: وعزتك وجلالك، لا أخرج من صدر عبدك، حتى تخرج نفسه، قال الله عز وجل له: «وعزتي لا أحجب توبتي عن عبدي حتى تخرج نفسه أو قال: روحه».

وهذا من رحمة الله الرحمن الرحيم بعباده، أنه جعل لذلك دواءً، وهو الاستغفار، ففي شعب الإيمان للبيهقي عن ثابت قال: بلغنا أن إبليس قال: يا رب، إنك خلقت آدم، وجعلت بيني وبينه عداوة، فسلطني عليه، فقال: صدورهم مساكن لك، قال إبليس: يا رب، زدني، قال: لا يولد لآدم ولد إلا ولك عشرة، قال: يا رب، زدني، قال: تجري منه مجرى الدم قال: يا رب، زدني، قال: اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد، قال: فشكا سيدنا آدم عليه السلام إلى ربه، فقال: يا رب، إنك خلقت إبليس، وجلعت بيني وبينه عداوة وبغضاء، وسلطته عليّ، وأنا لا أطيقه إلا بك، قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء، قال: رب زدني، قال: الحسنة بعشر أمثالها، قال: ربِّ زدني، قال: لا أحجب عن أحد من ولدك التوبة ما لم يغرغر(٢).

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده» (١١١٧٨)، بإسناد حسن (١٠/ ٩٣)، وأبو يعلى والطبراني في «الأوسط» ، ورواه الحاكم، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٤)، والترغيب (١٦١٧).

(٢) ذكره البيهقي في شعب الايمان برقم (٦٨٠٦).

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، والتائب حبيب الرحمن، أو كما قال. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله العلي الكريم الوهاب، الذي يعطي من فضله من يشاء بغير حساب نحمده على ما أطال من فضله وأطاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الرحيم التواب، سبحانه لا إله إلا هو عليه توكلت، وإليه متاب،

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، المنتخب من أشرف الأنساب، المؤيد بجنود الملائكة، كما جاء في الكتاب،

اللَّهُمَّ فصلِّ وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه خير آل وأصحاب.

أما بعد...

فيا عباد الله...

الاستغفار مشروع في كل وقت، وهناك أوقات وأحوال مخصوصة يكون للاستغفار فيها مزيد فضل، فيستحب الاستغفار بعد الفراغ من أداء العبادات ليكون كفارة لما يقع فيها من خلل أو تقصير، فشرع بعد الفراغ من الصلوات الخمس، فقد كان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة المفروضة يستغفر ثلاثًا، لأن العبد عرضة، لأن يقع منه نقص في صلاته بسبب غفلة أو سهو كما شرع الاستغفار في ختام صلاة الليل، قال تعالى في أوصاف المتقين: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

وقال: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧].

وشُرِع الاستغفار بعد الإفاضة من عرفة والفراغ من الوقوف بها، فقال: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٩].

وشرع الاستغفار في ختام المجالس، حيث أمر النبي ﷺ عندما يقوم الإنسان من المجلس أن يقول: «سبحانك اللَّهُمَّ، أستغفرك وأتوب إليك»، وبالاستغفار يودع الميت، ولذا فقد كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه، فقال: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ**».

والله ﷻ يغفر كل الذنوب والآثام، إذا تاب منها العبد، أو استغفر إلا الشرك بالله ﷻ، قال اللَّـه ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

قال محمد بن النضر الحارثي رحمه الله: قرأت في الكتب: يقول الله ﷻ: «يا ابن آدم، لو يعلم الناس منك ما أعلم، لنبذوك، ولكني سأغفر لك، ما لم تشرك بي».

وقال الله ﷻ: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

والنبي ﷺ يقول: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فيتوضأ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ إِلاَّ غَفَرَ اللَّـهُ لَهُ**». وفي رواية بزيادة: ثم قرأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

اللَّهُمَّ اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، اللَّهُمَّ آتنا ما وعدتنا على رسلك، ولا تخزنا يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد.

اللَّهُمَّ رضنا وارض عنا، وكن لنا ولا تكن علينا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا، اللَّهُمَّ ارزقنا حبك وحب من يحبك، وألهمنا ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وجعلنا الله وإياكم من أوليائه المفلحين، ومن الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

اللَّهُمَّ اجعلنا من عبادك الذاكرين، وعند النعماء من الشاكرين، وعند البلاء من الصابرين، اللَّهُمَّ يا قوي يا عزيز يا من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، أهلك الطغاة والظالمين، اللَّهُمَّ أدم على بلدنا الأمن والإيمان وعلى سائر بلاد المسلمين.

اللَّهُمَّ صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

اللَّهُمَّ إنا نسألك يا ذا الجلال والإكرام أن تعز الإسلام والمسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ وانشر في الأرض دينك ودين نبيك، وسنة نبيك محمد ﷺ، اللَّهُمَّ وأبدل ضائقة المسلمين سعة، اللَّهُمَّ وأبدل ضيقهم سعة وهناء وسعادة يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ أصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقواتنا وأزواجنا وذرياتنا وآجلنا مباركين أينما كنا، اللَّهُمَّ وفقنا لما تحب وترضى وأعنا على البر والتقوى ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين يا ذا الجلال والإكرام.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وأقم الصلاة.

الخطبة السادسة عشرة

الإحسان إلى اليتامى يدخلك الجنة

الحمد لله، الذي امتن على عباده بالأسماع والأبصار، وكرم الإنسان ورفع له المقدار، واصطفى من عباده المتقين الأبرار، فوفقهم للطاعات، وصرفهم عن المنكرات، وأعد لهم عقبى الدار.

أحمده سبحانه، فهو الذي خلق الليل والنهار، والقفار والبحار، وأنزل من السحاب الأمطار، يعلم عدد ورق الأشجار، ومثاقيل البحار،

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، لا ند له، ولا شبيه له ولا كفؤ له، ولا نظير له، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير،

يا من يرى مد البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها في نحرها ... والمخ في تلك العظام النّخل
امنن علينا بتوبة تمحو بها ... ما كان منا في الزمان الأول

وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه، أرسله ربه رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، فصلوات الله وسلامه عليه ما ذكره الذاكرون من الأبرار، وصلوات الله عليه، ما تعاقب الليل والنهار.

المصطفى المختار أكرم مرسل ... للعالمين وخير من وطيء الثرى
هذا الذي ظهرت معاجزه فقل ... ما شئت عنه محدثًا ومخبرًا
من كفه نبع الزلال وعاد من ... بين الأصابع سائلًا متفجرًا
وكذا عين قتادة قد ردها ... بعد العمى فرأى بها وتبصرًا
وأتى لأخمصه البعير مقبلًا ... وشكا إليه وقد أطال وأكثرا

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

وما زال لقاؤنا موصولًا مع سلسلتنا المباركة (الطريق إلى الجنة) فمرحبًا بكم في هذا اللقاء الطيب المبارك،

وطريق اليوم دلنا عليه أستاذنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور، دلنا عليه نور أبصارنا، وجلاء همنا وحزننا ﷺ إنَّ مثلنا ومثله، كما قال: «**مَثَلِى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْـفَرَاشُ، وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِى يَقَعْنَ فِى النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا**»[١].

فما أشد حب رسول الله ﷺ لنا، ولأنه يحبنا كان شديد الخوف علينا من كل ما يؤذينا، وهل هناك أذى مثل النار؟ ولما كان الله ﷻ قد أراه الجنة والنار، كان خوفه علينا من النار أشد، ولأنه لم يرنا مع شدة حبه لنا وخوفه علينا، كان يود أن يرانا، فيحذرنا منها بنفسه، ويرشدنا إلى الجنة بنفسه لتكون العظة أبلغ وأنجح، كان يقول: «**وَدِدْتُ أَنِّى لَقِيتُ إِخْوَانِى الَّذِينَ آمَنُوا بِى وَلَمْ يَرَوْنِى**»[٢]. إنه يدلنا اليوم على طريق يسير وعظيم، موصل إلى الجنات وفيه إرضاء لرب الأرض والسموات، أتدرون ما هو هذا الطريق؟

إنه [الإحسان إلى اليتامى، والاهتمام بهم، ورعايتهم] يقول سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين - صلوات ربي وسلامه عليه -: «**أَنَا وَكَافِلُ الْـيَتِيمِ فِى الْـجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ**». وأشار بالسبابة والوسطى[٣]، وفرج بينهما.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٠٢)، ومسلم (٤٢٣٤) وأحمد بنحوه.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن أنس ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٧١٠٨)، و«الصحيحة» (٣٨٨٨).

(٣) رواه البخاري.

إن رغبت في سكنى الجنان مع حبيب الرحمن، فأكرم اليتيم، إن رغبت أن تكون مع سيد الموحدين، وخاتم النبيين في أعلى عليين، فأدخل السرور على قلب اليتيم، إن كان لديك شوق إلى نيل المراتب العليا، فامسح على رؤوس اليتامى، وخذ بأيديهم إلى طريق الحق والصواب، قال الحبيب النبي ﷺ: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْـمِسْكِينِ كَالْـمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ، أَوْ كَالْـقَائِمِ لَيْلَهُ، الصَّائِمِ نَهَارَهُ، وَكَافِلُ الْـيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، إِذَا اتَّقَى اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَا وَهُوَ فِي الْـجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ**»[(١)].

قال ابن بطال رحمه الله: حق على من سمع هذا، أن يعمل به، ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة أفضل من ذلك في الآخرة.

نعم هذه حقيقة، فليس هناك منزلة أفضل من منزلة الحبيب المصطفى، والرسول المجتبى - صلوات ربي وسلامه عليه - إن خادمه ثوبان رضي الله عنه رآه النبي ﷺ يومًا، وقد اصفر لونه، وذبل جسده، وعرف في وجهه الحزن، فقال له الحبيب ﷺ: «**مالك يا ثوبان؟**» فقال: يا رسول الله، والله، ما بي من ضر، ولا وجع غير أني إذا لم أرك، اشتقت إليك، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت أنني في الآخرة، أني لا أراك، لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين، وإن دخلت الجنة، كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل، فذلك حين لا أراك أبدًا، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾**﴾ [النساء: ٦٩]»[(٢)].

فهل تحب الآن أن تكون في سكنى الجنان بطاعة الرحمن، وطاعة النبي

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى والطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٤٧٦).

(٢) حسن: رواه الطبراني في الصغير و«الأوسط» بنحوه، وذكره القرطبي في «تفسيره» (٢/ ١٩٣٤)، وابن كثير، والواحدي في «أسباب النزول» (ص ١٢٨).

العدنان ﷺ وقد حثكم وأرشدكم إلى الإحسان إلى اليتامى، وقد يرغب محب الخير أن يعرف السر في بلوغ الكافل لليتيم هذه المنزلة العظيمة، وتلك الرتبة العالية الشريفة، ليكون قرينًا لنبيه وحبيبه محمد ﷺ في المقام العظيم.

قال أهل العلم: لأنه ﷺ بعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم، فكان كافلًا لهم، ومعلمًا إياهم ومرشدًا، وقد كتب الله على يديه هدايتهم، وكذلك من يقوم بكفالة اليتيم، الذي لا يعقل أمر دينه، ولا دنياه، فيقوم عليه ويرشده، ويعلمه وينصحه، ويوجهه، ويحسن تربيته ومعاملته، فإذا بلغ مبلغ الرجال، كان رجلًا سويًّا، محفوظ الحقوق، موفور الكرامة.

وها هو حبيبنا ومعلمنا ﷺ يخبرنا بخبر عجيب، أتدرون ما هو؟

إنه خبر المرأة التي تبادر الرسول ﷺ في دخول الجنة، يقول: «**أنا أول من يفتح باب الجنة، إلا أنه تأتي امرأة تبادرني، فأقول لها: مالك - أي ما شأنك؟ ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي**»[1].

فيا سعادة من نال جواره، ويا سعد من كان رفيقه في جنة الرضوان، ﴿ **فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ** ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

يا سعادة من زحزح عن النار، وأدخل الجنة، يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين يوم تدنو الشمس من رؤوس العباد، لا ظل، ولا شراب، ولا طعام، ولا هواء، ولا تكييف، بل خاض الناس في عرقهم، وجيء بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، يومها تزفر جهنم زفرة فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا جثا على ركبتيه، وقال: يا رب سلم، سلم، وبينما أنت في هذه الكربات، التي وصفها الله ﷻ بقوله: ﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ**

---

(١) حسن: أخرجه أبو يعلى وذكره الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٦٢)، وحسنه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» وقال: لا بأس به.

مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ٢].

يأتي يتيم قد قدمت له طعامًا أو شرابًا أو أحسنت إليه في يوم من الأيام، فيأتيك هذا اليتيم، ويقول لك: إنك قد أطعمتني يوم كذا، وكسوتني يوم كذا، فيأخذ بيدك إلى الجنة: الله أكبر نعم أحباب المصطفى ﷺ أهوال القيامة عظيمة، وكرباتها شديدة، قد جعل الله ﷻ لكافل اليتيم منها نجاة ومخرجًا: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: ١١ - ١٥].

عباد الله...

لقد أمر الله ﷻ بالإحسان إلى اليتيم في آيات كثيرة من كتابه الكريم، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ [النساء: ٣٦]،

وقال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وقد جعل مولانا سبحانه وتعالى الإحسان إلى اليتامى من أعظم القربات، ونوعًا عظيمًا من البر، فقال سبحانه: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

وأوصى الله تعالى بالإحسان إلى اليتيم، الذي ترك له والده مالًا، برعاية هذا المال وتنميته وتثميره، وعدم الاعتداء عليه، بأي صورة من الصور، فقال تبارك

وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

أحبتي في الله...

أتحبون أن يلين الله قلوبكم، وتقضى حوائجكم؟ إن أردتم ذلك، فأكرموا اليتامى، وأحسنوا إليهم، لأن القلوب اللينة قريبة من الله ﷻ أصحابها قريبون من الجنة، لأن القلوب هي محل نظر الرب العلي تبارك وتعالى فقد قال الحبيب النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(١).

فأيهما خير عندما ينظر الله ﷻ في قلوبكم فيجدها لينة رحيمة، أم يجدها قاسية؟!

ومعلوم أنه لا يفلح ولا ينجو يوم القيامة إلا أصحاب القلوب الحية السليمة المؤمنة، ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

جاء رجل إلى طبيب القلوب، ونبي علام الغيوب يشكو، يشكو ماذا؟ إنه يشكو قساوة في قلبه، فقال له طبيب القلوب ﷺ: «**أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يُلين قلبك، ويدركك حاجتك**»(٢).

وفي رواية: «**ادن اليتيم منك، وألطفه، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك وأدنه منك وألطفه، فسوف يلين قلبك، وتدرك حاجتك**»(٣).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه الطبراني وغيره، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٥٤)، و«صحيح الجامع» (٢٥٠).

(٣) حسن: رواه البيهقي والخرائطي في «مكارم الأخلاق»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع».

أيها الأحبة في الله...

امسحوا رؤوس اليتامى، اقتربوا منهم، ابتسموا لهم، طيبوا خاطرهم، أدخلوا البهجة على أرواحهم الظامئة، بكلمة طيبة، وبسمة حانية،

قال - صلوات ربي وسلامه عليه -: «**مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلاَّ لِلَّهِ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ، أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ، كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ**»[(١)]، يقول أبو أمامة رضي الله عنه راوي الحديث: وفرق بين أصابعه السبابة والوسطى.

قال أحد السلف: كنت في بداية أمري مكبًا على المعاصي، كنت أشرب الخمر، وغيرها فظفرت يومًا بصبي يتيم فقير، فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته وأدخلته الحمام، وأزلت شعثه، وأكرمته كما يكرم الرجل ولده، بل أكثر، فنمت في هذه الليلة، فرأيت في نومي، كأن القيامة قد قامت، ودعتني ملائكة ربي للحساب، وأُمر بي إلى النار، لما كنت أفعله من المعاصي، وبينما الزبانية يسحبونني إلى النار، وأنا بين أيديهم حقير ذليل، فإذا بي أرى اليتيم، فيعترض طريقنا، ويقول للملائكة: خلوا عنه يا ملائكة ربي، حتى أشفع له عند ربي، فإنه قد أحسن إليَّ وأكرمني.

فقالت الملائكة: إنا لم نؤمر بذلك، وإذا بهم يسمعون النداء من قبل رب العزة والجلال: يا ملائكتي، خلوا عنه، فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم، وإحسانه إليه.

قال: فاستيقظت، وعزمت على التوبة، فتبت إلى الله، وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلى الأيتام.

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده» برقم (٢٢٠٥٣)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٩٠): رجال أحمد رجال الصحيح.

عباد الله...

إن رغبتم أن تظللوا في ظل عرش الرحمن، يوم الحرور، يوم النشور، يوم الأشهاد يوم الحشر الأكبر، فامسحوا على رؤوس اليتامى، وأحسنوا إليهم، ابتسموا إليهم، عاملوهم برفق ولين، وطلاقة وجه، يظلكم ربكم في ظل عرشه، يقول سيدنا داود عليه السلام في مناجاة له مع مولاه: «**إلهي، ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك؟ قال: جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»(١).

واعلموا أن الدنيا التي نعيشها الآن حلم، والآخرة يقظة، والمتوسط بينهما هو الموت، ونحن في أضغاث أحلام، فإذا رأيتم يتيمًا فأكرموه، وأحسنوا إليه، فربكم يئول بأحدكم الموت، فيصير أولاده أيتامًا، ولا تغتروا بقوة صحتكم، فكل يوم هو في شأن، يغير من حال إلى حال، له الحكم وإليه ترجعون، أما رأيتم ميتًا مات من غير سقم؟ من غير أن يشتكي مرضًا ولا تغتروا بطول المهلة، أما رأيتم مأخوذًا من غير عُدة؟

احذروا طول الأمل، وسارعوا إلى العمل، وتطلعوا لما هو أنفس وأعلى وأغلى، اربحوا الجنة، قدم لليتيم ولو شيئًا يسيرًا، بقدر استطاعتك تربح، قدم له، ولو كلمة طيبة، أو بسمة حانية، فالله لا يضيع عنده مثقال ذرة من الخير أو الشر.

﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨** ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

يقول - صلوات ربي وسلامه عليه -: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْـمِسْكِينِ كَالْـمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ، أَوْ كَالْـقَائِمِ لَيْلَهُ، الصَّائِمِ نَهَارَهُ**»(٢).

---

(١) حسن: أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» رقم (٦٠٧٣).

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، والتائب حبيب الرحمن، أو كما قال، ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الذي منَّ علينا بالإيمان والإسلام، وتفضل علينا ببيان الشرائع والأحكام، وأحل الحلال وحظر الحرام، ووعد من أطاعه الثواب في دار السلام ومن عصاه بالعقاب في دار الهوان والانتقام.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له الملك العلام.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الأنام - اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه السادة الأعلام، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين،

أما بعد...

عباد الله...

بعد أن عرفنا الجزاء العظيم، والفضل الكبير، لمن يبر اليتيم ويحسن إليه، وقد عرف السلف ذلك قبلنا، لأجل ذلك كانوا يحثون من حولهم، ويؤكدون على الحرص على الإحسان إلى اليتامى، فهذا هو الحسن البصري رحمه الله يقول: «لقد عهدت المسلمين، وإنَّ الرجل منهم يصبح فيقول: يا أهليه، يا أهليه، يتيمكم، يتيمكم يا أهليه، مسكينكم، مسكينكم، يا أهليه، يا أهليه، جاركم جاركم، وقد أسرع بخياركم، وأنتم كل يوم ترذلون»[1].

ويوصي سفيان الثوري رحمه الله عليَّ بن الحسن رضي الله عنه فيقول له: «إياك والشح فإن

(١) «الأدب المفرد» للبخاري (١٣٩).

الشح يفسد عليك دينك، وإياك والبغضاء، فإنما هي الحالقة، وعليك بالسلام لكل مسلم، يخرج الغل والغش من قلبك، وأدن اليتيم منك، وامسح برأسه، يزد في عمرك، وتكن رفيق نبيك»(١).

وكان سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يأكل طعامًا إلا وعلى خوانه - أي مائدته - يتيم يأكل معه(٢).

ونرى أن رب العزة والجلال سبحانه قد توعد من يأكل مال اليتيم بالنكال والوبال قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [النساء: ١٠].

قال السدي رحمه الله: يحشر آكل مال اليتيم ظلمًا يوم القيامة، ولهب النار يخرج من فيه - أي فمه - ومن مسامعه وأنفه وعينه، كل من رآه يعرفه أنه آكل مال اليتيم.

وفي ليلة الإسراء والمعراج رأى الحبيب النبي ﷺ آكل مال اليتيم في أبشع صورة، رآه في صورة مفزعة ومؤلمة، تشيب من هولها الرؤوس، رأى قومًا لهم مشافر مثل مشافر الإبل، يلتقمون الحجارة بأفواههم، فتخرج من أسافلتهم أي من أدبارهم، فسأل رفيق الرحلة سيدنا جبريل عليه السلام: من هؤلاء يا أخي يا جبريل؟ قال له: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا(٣)،

وقد عده النبي ﷺ أي أكل مال اليتيم من السبع الموبقات، قال سيد الكائنات ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْـمُوبِقَاتِ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ: وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّـهِ: وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِى حَرَّمَ اللَّـهُ إِلاَّ بِالْـحَقِّ، وَأَكْلُ

---

(١) ذكره أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٦١).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٩٩).

(٣) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم في «تفسيرهما» والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧).

مَالِ الْـيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْـمُؤْمِنَاتِ»[1].

عباد الله...

اتقوا الله في اليتامى، واتقوا الله في أنفسكم، وأمنوا مستقبل أولادكم قبل أن يدرككم الموت وأنتم غافلون، لكن ربما يتساءل البعض: كيف نؤمن مستقبل أولادنا؟ أنضع لهم رصيدًا ماليًّا في البنوك؟ أم نقيم لهم العمارات ونشتري لهم العقارات؟

أقول لكم: لا هذه، ولا تلك، وإنما مستقبل أبنائنا رسمه لنا مولانا ﷻ في آية واحدة من كتاب الله ﷻ، في قوله جل في علاه: ﴿ **وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩** ﴾ [النساء: ٩].

اترك لولدك رصيدًا في البنك مثلًا مائة ألف جنيه أو أكثر أو أقل، وليس عنده تقوى، وليس عنده إيمان، بعدما تموت، سوف يصرف هذه الأموال ويبددها، يصرفها في الخمر، في اللعب واللهو، والقمار، ويخسر الأموال، ويبيع العقارات، ويصرف ثمنها في ما لا ينفع وإنما في ما يضره ولا ينفعه، لماذا؟ لأنه ليس عنده تقوى، لم يترب على الإيمان - لم يترب على التقوى والعمل الصالح، فإن أردت أن تؤمن مستقبل ولدك بعد موتك، فعليك بتقوى الله ﷻ، والقول السديد.

حققوا التقوى ليحفظ أولادكم من بعدكم، قولوا قولًا سديدًا ليتول الله أولادكم بالرعاية والعناية بعد موتكم، دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز، وهو على فراش الموت فقال مسلمة، وهو ابن عم عمر: يا أمير المؤمنين، ألا توصي لأولادك بشيء من المال، فلقد تركت أولادك فقراء، فقال عمر رحمه الله: يا مسلمة، وهل أملك شيئًا من المال لأوصى به لأولادي؟ أم تريد أن

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

أمنحهم من مال المسلمين ما ليس لهم؟ لا يكون ذلك، فإنهم أحد رجلين: إما أن يكونوا صالحين، فالله يتولى الصالحين، وإما أن يكونوا غير ذلك، فكيف أدع لهم ما يستعينون به على معصية الله، وأسأل عنه بين يدي الله ﷻ[1]؟!

ثم قال عمر: أدخلوا أولادي عليَّ، فدخلوا عليه، وهو على فراش الموت، فنظر إليهم وبكى، وقال: يا بني، إنّ أباكم قد خيِّر بين أمرين: بين أن يترككم أغنياء ويدخل النار، وبين أن يترككم فقراء ويدخل الجنة، ولقد اختار أبوكم الجنة إن شاء الله، فإما أن تكونوا صالحين، فالله يتولى الصالحين، وإما أن تكونوا غير صالحين فلا أدع لكم ما تستعينون به على معصية الله،

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين، والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

اللَّهُمَّ اجعلنا لك مطيعين، وعليك متوكلين، ولسنة نبيك متبعين، اللَّهُمَّ اهدِ شبابنا وشباب المسلمين، اللَّهُمَّ حبِّب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا وإياهم من الراشدين.

اللَّهُمَّ انصرنا على أعدائنا، وانصرنا على شيطاننا، وانصرنا على شهواتنا يا رب العالمين، اللَّهُمَّ وفق ولاة الأمور إلى ما تحبه وترضاه.

اللَّهُمَّ اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء همنا وحزننا، اللَّهُمَّ أعطنا من الآمال منتهاها ومن الخيرات أقصاها، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين برحمتك يا قوي يا عزيز يا رب العالمين. اللَّهُمَّ من أراد بالمسلمين سوءًا فأشغله بنفسه واجعل كيده في نحره وتدبيره في تدميره، اللَّهُمَّ اكشف أمره وأهتك ستره وافضح سره واكفنا شره واجعله عبرة يا قوي يا عزيز يا رب العالمين.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٣٣)، وابن سعد في «الطبقات» (٥/ ٤٠٥).

اللَّـهُمَّ الطف بأمة محمد ﷺ أينما كانوا، اللَّـهُمَّ اهد ضالهم واشف مريضهم وعلم جاهلهم وارحم محتاجهم وانصرهم على من عاداهم، يا ذا الجلال والإكرام، اللَّـهُمَّ لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا كربا إلا كشفته، ولا مبتلى إلا عافيته، ولا حقًّا إلا استخلصته، ولا غائبًا إلا بالخير رددته، ولا عاصيًا إلا هديته ولا حاسدًا إلا خيبته، ولا عدوًّا إلا صرفته، ولا سعرًا إلا أرخصته، ولا خوفًا إلا أزلته، آمين يا رب العالمين.

اللَّـهُمَّ اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وألف بين قلوبهم على البر والتقوى، اللَّـهُمَّ طهر قلوبنا من الحقد والحسد والبغضاء، اللَّـهُمَّ اجعلنا إخوة متحابين حتَّى نلقاك، وأظلنا بظلك يوم لا ظل إلا ظلك يا رب العالمين، اللَّـهُمَّ نور على أهل القبور من المسلمين قبورهم، واغفر للأحياء ويسر لهم أمورهم برحمتك إنك أنت الرحمن الرحيم، ونسألك اللَّـهُمَّ العتق من النار، والفوز بالجنة إنك رؤوف رحيم.

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.

الخطبة السابعة عشرة

كظم الغيظ والعفو عمن أساء

الحمد لله، إلهي...

قصدت باب الرجا والناس قدر وبت أشكوا إلى مولاي ما أجد

فقلت: يا أملي في كل نائبة يا من عليه لكشف الضر أعتمد

أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها ما لي على حملها صبر ولا جلد

وقد مددت يدي إليك بالذل يا خير من مدت إليه يد

فلا تردنها يا رب خائبة فبحر جودك يروى كل من يرد

أحمدك وأستعينك وأستهديك، وأتوب إليك وأستغفرك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، جل وجهك، وعظم سلطانك، ولا إله غيرك، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير.

مسبب الأسباب، ومجرى السحاب، وراحم المذنب إذ انطرح بين يديه وأناب، ومجزل الثواب على الأحباب، كثير الخير، دائم المعروف، امتدت لمسألته أكف السائلين، وخرت لعبادته وجوه الساجدين،

وأشهد أن سيد الأولين والآخرين: وخاتم النبيين، وشفيع المذنبين، سيدنا محمد، الذي أكمل الله ببعثه دين الإسلام، وأتم بشرعه معالم الحلال والحرام، فاستمر للدين كماله، واستقر من الشرع تمامه ﷺ وعلى آله وصحبه صلاة باقية ببقاء الدهر وبعد ما تفنى لياليه وأيامه، وعلى آله وأصحابه الأطهار، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

سدد الله خطاكم، وبالخير والبر أيدكم ورعاكم، ما زلنا نواصل اللقاء مع «**الطريق إلى الجنة**» وهذا هو اللقاء السابع عشر.

وطريقنا اليوم هو طريق سلكه النبيون، وسلكه الصالحون، وسلكه المؤمنون الموحدون، سلكه نبي الله يوسف عليه السلام عندما ظلمه إخوته، وألقوه في غيابات الجب، ثم باعوه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين، وفعلوا ما فعلوا، ثم عفا عنهم وصفح، وقال لهم: ﴿ **لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ** ﴾ [يوسف: ٩٢].

وسلكه سيد الأولين والآخرين، وقائد الغرِّ المحجلين، وخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ بعدما رجع إلى مكة فاتحًا منتصرًا ومعه عشرة آلاف جندي من جنود الإسلام، الأبطال البواسل، ووقف القوم يومها أمام الرحمة المهداة، والنعمة المسداة ﷺ أذلاء حقراء، فنظر إليهم المصطفى ﷺ فقال لهم: «**مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟**» قالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم، فأصدر قرار عفوه الشامل، قائلًا لهم مثل قول يوسف لإخوته: ﴿ **لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ** ﴾، «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**».

فهل علمتم هذا الطريق؟! **إنه طريق العفو والصفح**، لكن كيف كان العفو طريقًا من طرق الجنة؟

والجواب على ذلك: أنه من أعظم الطرق، التي حثنا الله ﷻ وحثنا رسوله ﷺ على سلوكها، قال ربنا ﷻ في قرآنه: ﴿ ۞ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

وفي الخاتمة جنات تجري من تحتها الأنهار، وغفران من الله ﷻ ﴿أُولَٰئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٦].

في البداية جنة عرضها السموات والأرض، وفي الخاتمة جنات.

والرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ يقول في حديث عظيم، يشع منه النور، ويفيض بالعفو والرقة، يقول فيه: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ**»(١).

و قال ﷺ: «**وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا**»(٢).

وسيدنا علي بن الحسين الملقب بـ (زين العابدين) رحمه الله يقول كلامًا طيبًا في فضل العفو - يقول: إذا كان يوم القيامة، نادى منادٍ: أيكم أهل الفضل، فيقوم ناس، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون لهم: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، فيقولون لهم: قبل أن تحاسبوا؟ فيقولون: نعم فيقولون: ومن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقولون لهم: وما فضلكم؟

قالوا: كنّا إذا جُهل علينا حلمنا، وإذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا عفونا فيقولون لهم: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين.

ويقول سيدنا أبو بكر رضي الله عنه: بلغنا أن الله ﷻ، يأمر مناديًا يوم القيامة، فينادي: من كان له عند الله فضل، فليقم، فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله ﷻ بما كان من عفوهم عن الناس.

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي وابن ماجه وأحمد وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥١٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب «البر والصلة» (٢٥٨٨).

أيها المسلمون، أحباب رسول الله...

والعفو من شيمة العظماء، وأخلاق الأنبياء، ومنهج الصالحين.

فسيدنا عليٌّ رضي الله عنه يقول: أولى الناس بالعفو، أقدرهم على العقوبة وكان المأمون رحمه الله يحب العفو ويؤثره، ويقول: لقد حبب إليَّ العفو، حتى أني أخاف أن لا أثاب عليه.

وكان يقول: لو علم أهل الجرائم لذتي في العفو، لارتكبوها، وقال: لو علم الناس حبي للعفو، لما تقربوا إليَّ إلا بالجنايات.

وقال أحد الصالحين: إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه، شكرًا للقدرة عليه، وقيل: من عادة الكريم، إذا قدر غفر، وإذا رأى زلة ستر، وكان الأحنف بن قيس رحمه الله كثير العفو والحلم، وكان يقول: ما آذاني أحدٌ إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت فضله وإن كان مثلي تفضلت عليه، وإن كان دوني، أكرمت نفسي عنه.

فنظمه أحد الشعراء، فقال:

سألزم نفسي الصفح من كل ذنب ... وإن كثرت منه عَلَيَّ الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني:

وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

لأجل هذا كان أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ من أعظم الناس عفوًا وصفحًا، وقد ندبه الله ﷻ إلى الصفح والعفو، فقال له مخاطبًا: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥].

وقال له: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال الإمام القرطبي رحمه الله معلقًا على هذه الآية: وهذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات فقوله: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين.

ودخل في قوله: ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

وفي قوله: ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والرشيدة.

وسيدنا جعفر الصادق رحمه الله يقول عن هذه الآية: أمر الله تعالى نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن الكريم آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

وما دام الأمر كذلك - أي أن الآية الكريمة جمعت مكارم الأخلاق كلها لرسول الله ﷺ وأمته من بعده، فلا عجب أن يسأل رسول الله ﷺ أمين الوحي جبريل عليه السلام عن معناها، فيخبره أنه لا يعرف حتى يسأل رب العزة والجلال، فيجوب الآفاق، ويطوي بأجنحته السبع الطباق، ثم ينزل على الرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ فيقول له: معناها: (أن تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطي من حرمك).

وقد تخلق المصطفى ﷺ بهذا الخلق الرفيع؛ لأنه كان قرآنًا يمشي على الأرض، وكان يسارع في مرضاة ربه، ففي يوم من الأيام بينما هو وأصحابه راجعين من إحدى الغزوات، وبينما هم في الطريق إذ أدركتهم القائلة - أي وقت القيلولة - وكانوا في واد كثير الشجر الملتف الأغصان، فنزل رسول الله ﷺ

وتفرق الناس كل واحد منهم في ظل شجرة، ونزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة هو الآخر، وعلق بها سيفه.

أيها الأحباب...

تخيلوا أنكم كنتم تجاهدون وتحاربون في سبيل الله مثل هؤلاء الصحب الكرام ماذا سيحدث لكم؟ التعب والإعياء، لذا ناموا نومًا عميقًا، وأتى أعرابي إلى رسول الله ﷺ وسل سيفه، وقال لرسول الله ﷺ: من الذي يمنعك الآن مني؟ فقال رسول الله ﷺ: «**الله**».

فسقط السيف من يد الأعرابي. فقال له النبي ﷺ: «**ومن يمنعك الآن مني يا أعرابي؟**». فقال له: يا محمد، كن خير آخذ.

إنه كان يريد أن يقتل رسول الله ﷺ جريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد، لكن ماذا فعل رسول الله ﷺ معه؟ لقد عفا عنه ولا عجب أيها الأحبة الكرام، فقد قال الله ﷻ في وصفه في التوراة: «**أَنْتَ عَبْدِى وَرَسُولِى سَمَّيْتُكَ الْـمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ فِى الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو ويصفح**»(١).

يعفو ويصفح، نعم، فداك أبي وأمي يا رسول الله، كأني بك يا رسول الله، وقد أخرجك قومك من مكة إلى الطائف، فرموك بالحجارة حتى أدموا قدميك، فجاءك جبريل الأمين ومعه ملك الجبال، فقال لك: يا محمد، هذا هو ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، لفعلت؟

قال: «**بل أرجو أن يخرج الله ﷻ من أصلابهم من يعبد الله ﷻ وحده لا يشرك به شيئًا**».

---

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع (٢١٢٥).

وكأني أنظر إليه يوم أحد، وقد شج وجهه، وكسرت رباعيته، وهو يمسح الدم عن وجهه، وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**»(١).

أحبتي في الله...

ماذا أقول عن أخلاق الرسول الأعظم ﷺ إنه لا يسعني في هذا المقام أن أسرد فقط مواقف صفحه وعفوه عمن آذوه، واتهموه وسبوه، وفعلوا معه كل شر.

عفا عن عبد الله بن أبي ابن سلول كبير المنافقين، مع أنه اتهمه في شرفه، اتهمه في عرضه، واتهم زوجته الطاهرة العفيفة، السيدة عائشة ﵂ لقد رماها بالزنا، وكان هو الذي تولى كبره، وبرأها الله ﷻ من فوق سماواته، ثم قال بعد إحدى الغزوات: لأخرجن محمدًا من المدينة ذليلًا، وأنا العزيز، فقال عمر بن الخطاب ﵁ : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**دَعْهُ لئلَّا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»(٢).

وعفا عنه النبي ﷺ وفوق ذلك العفو، لما مات جاءه ولده عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول – وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الكرام – وطلب منه أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه، فأعطاه، ثم طلبه ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، وقف عمر بن الخطاب ﵁، في وجهه، وقال له: أتصلي عليه وقد قال كذا وكذا، وأخذ يعدد أعماله السيئة، وأقواله القبيحة – فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «**أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ**».

فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ: «إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرْ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا». فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِلاَّ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤)، في البر والصلة.

يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةَ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٨٤]»[١].

فما أعظمك يا رسول الله، وما أعظم عفوك وصفحك يا حبيب الله.

وعفا عن اليهودي الذي سحره، اليهودي الذي كان يقال له: لبيد بن الأعصم[٢].

وعفا عن المرأة اليهودية التي وضعت له السم في الشاة[٣].

وتخلق أصحابه الكرام بهذا الخلق الرفيع، وتخلق الصالحون والسلف الصالح بهذا الخلق الكريم، فعن جعفر الصادق رضي الله عنه أن غلامًا له وقف يصب الماء على يديه، فوقع الإبريق من يد الغلام في الطست، فطار الرشاش في وجهه، فنظر جعفر إليه نظرة المغضب، فقال: يا مولاي: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. قال: قد كظمت غيظي، فقال: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، قال: وقد عفوت عنك قال: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، قال: اذهب، فأنت حرٌّ لوجه الله[٤].

وقالوا: إن سيدنا علي - زين العابدين رحمه الله ورضي عنه - مرَّ على رجل من أهل الشام، ومن أنصار معاوية، فلما رآه سبه وشتمه، وأساء إليه إساءة بالغة، فأراد أتباع سيدنا علي أن ينتقموا منه، فكفهم عن الرجل، وأقبل إليه في رفق ولين، وقال له: يا أخي، إني كما تقول وأكثر من ذلك، وما لم تعرفه من عيوبي أكثر مما عرفته، فإن كنت محتاجًا إلى أن أذكر لك هذه العيوب، ذكرتها لك، فخجل

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٦) كتاب «الجنائز».

(٢) انظر: حديث البخاري (٥٧٦٦)، كتاب «الطب»، ومسلم (٢١٨٩) كتاب السلام.

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (٢٦١٧)، كتاب الهبة وفضلها ، ومسلم (٢١٩٠) كتاب السلام.

(٤) «المستطرف في كل فن مستظرف» (ص ٢١٣) للأبشيهي.

الرجل واعتذر إليه، فأجازه سيدنا عليٌّ بجائزة مالية كبيرة، فتعجب الرجل ثم قال والناس يسمعون: أشهد أنك من بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وسلالة الصالحين، وقالوا: إنَّ أمير المؤمنين «المأمون» أشرف يومًا على بستانه، وأطل على نافذة قصره، فرأى رجلًا يكتب على حائط القصر شيئًا، فأرسل إليه جنديًّا فأحضره، وقال له: أستحلفك بالله إلا أخبرتني عما كنت تكتب، فإن صدقت عفوت عنك، وإلا أرسلت من يقرأ ما كتبته عليها، ثم أعاقبك فقال الرجل: أما وقد أوقعني الأمير في حرج وضيق، فإني أصدقه، وأظفر بعفوه، فقال المأمون: وشرف الخلافة، إن صدقتني عفوت عنك.

فقال الرجل: كتبت هذه الأبيات:

يا قصر عشش فيك الشوم واللوم ... فمتى يعشش في أركانك البوم؟
يومًا تعشعش فيك البوم من فرح ... أكون أول من ينعاك مرغوم

فغضب المأمون، وقال له: ما حملك على هذا؟ فقال الرجل: إن قصرك مليء بالنعم والخيرات، والتحف والمجوهرات، وإني قد مررت عليه وأنا جائع ظمآن، فقلت في نفسي: لو كان هذا القصر خرابًا، لأخذت من تحفه شيئًا وبعته، وتقوت بثمنه، وتذكرت قول القائل:

إذا لم يكن لمرء في دولة امريء ... نعيم ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنه ... يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون: صدقت، ثم عفا عنه، وأعطاه ألف دينار، وقال له: هي لك عندنا في كل عام ما دام هذا القصر عامرًا بأهله.

عباد الله...

إن الله ﷻ يقول: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠].

فإن كظمت غيظك، وعفوت عن عباد الله: فقد أكرمتهم، وإن أكرمتهم، أكرمك الله بمثل ما أكرمت به عباده، وتجاوز عنك بمثل ما تجاوزت عنهم، ومنحك العفو عن الذنوب، وكفّر عنك السيئات أضعاف ما منحتهم من عفو وغفران في ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

المؤمن الحق يكظم غيظه، القوي الحق هو الذي يملك نفسه عند الغضب.

المؤمن الحق هو الذي ينسى الإساءة.

قال لقمان الحكيم: ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه.

ورضي الله عن سيدنا علي بن أبي طالب حين قال: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت، حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله».

أحبتي في الله ...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، والتائب حبيب الرحمن. أو كما قال. ادعوا الله،

الخطبة الثانية

الحمد لله، الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، أحمده حمد الشاكرين، وأتوب إليه وأستغفره من الذنوب والآثام.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، هو الرب الكريم الأكرم علم القرآن، وخلق الإنسان، وعلمه البيان، وأعطى وتكرم.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، الذي خضع لربه، واستعان به في صغير أمره وجليله، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين عرفوا الحق بدليله، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون عباد الله...

تخلقوا بأخلاق القرآن، تنالوا رضا الرحمن، وتخلقوا بأخلاق النبي العدنان، تنالوا أعلى درجات الجنان، والعفو من أخلاق القرآن، ومن أخلاق سيد ولد عدنان ﷺ فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأل ويقول له: يا رسول الله، كم نعفو عن الخادم؟

فصمت رسول الله ﷺ ثم كرر السؤال، فصمت، فلما كان في المرة الثالثة، قال: «**اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً**».

واعلموا أنه لا تستوي الحسنة ولا السيئة، كما قال الله ﷻ في كتابه الحكيم: ﴿ **وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ** ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤].

أيها المسلمون...

ليعفوا بعضكم عن ذنوب بعض، واعلموا أن الله ما أمركم بشيء إلا وفيه الخير الكثير لكم في الدنيا، والأجر العظيم في الآخرة.

فقد صح عن البشير النذير ﷺ أنه قال: «**مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جَرْعَةً أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ، يَكْظِمُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى**»(١).

ولما قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أسد الله في غزوة أحد، وطعنه وحشي،

---

(١) حسن.

فوقع شهيدًا على الأرض، فقامت هند بنت عتبة قبل إسلامها فبقرت بطنه، وأخرجت كبده، فلاكتها بأسنانها، وجدعت أنفه، ومثلت به رضي الله عنه لما وقف النبي ﷺ على عمه حمزة رضي الله عنه بهذا المنظر الوحشي، حزن حزنًا شديدًا على عمه، وحلف ليمثلن بسبعين منهم، لكن الله عز وجل أنزل عليه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، يقول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝١٢٦ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧﴾ [النحل: ١٢٦، ١٢٧].

لما رأى النبي ﷺ وحشي قاتل حمزة، قال له: «أوحشي؟» قال: نعم قال: «**اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟**» فلما حدثه، قال له: «**ويحك غيب عني وجهك، فلا أرينك**»(١). وعفا عنه رسول الله ﷺ.

تخلقوا بهذه الأخلاق، وسيروا على درب نبيكم تفلحوا في الدنيا والآخرة أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجملنا بالأخلاق، وأن يجعلنا من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس،

اللَّهُمَّ عافنا واعف عنا، اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو فاعف عنا.

اللَّهُمَّ ارزقنا من فضلك، واكفنا شر خلقك، واحفظ علينا ديننا وصحة أبداننا.

اللَّهُمَّ يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين، ومقيل عثرات العاثرين، نسألك أن تلحقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ يا عالم الخفيات، ويا رفيع الدرجات، يا غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير.

---

(١) رواه البخاري في كتاب «المغازي» وأحمد في «مسنده» وأبو داود الطيالسي وغيرهم.

نسألك أن تذيقنا برد عفوك، وحلاوة مغفرتك، يا أرحم الراحمين وأرأف الرائفين وأكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أعتقنا من رق الذنوب، وخلصنا من أشر النفوس، وأذهب عنا وحشة الإساءة، وطهرنا من دنس الذنوب، وباعد بيننا وبين الخطايا وأجرنا من الشيطان الرجيم.

اللَّهُمَّ أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وتلاوة كتابكَ، واجعلنا من حزبك المفلحين، وأيدنا بجندك المنصورين، وارزقنا مرافقة الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

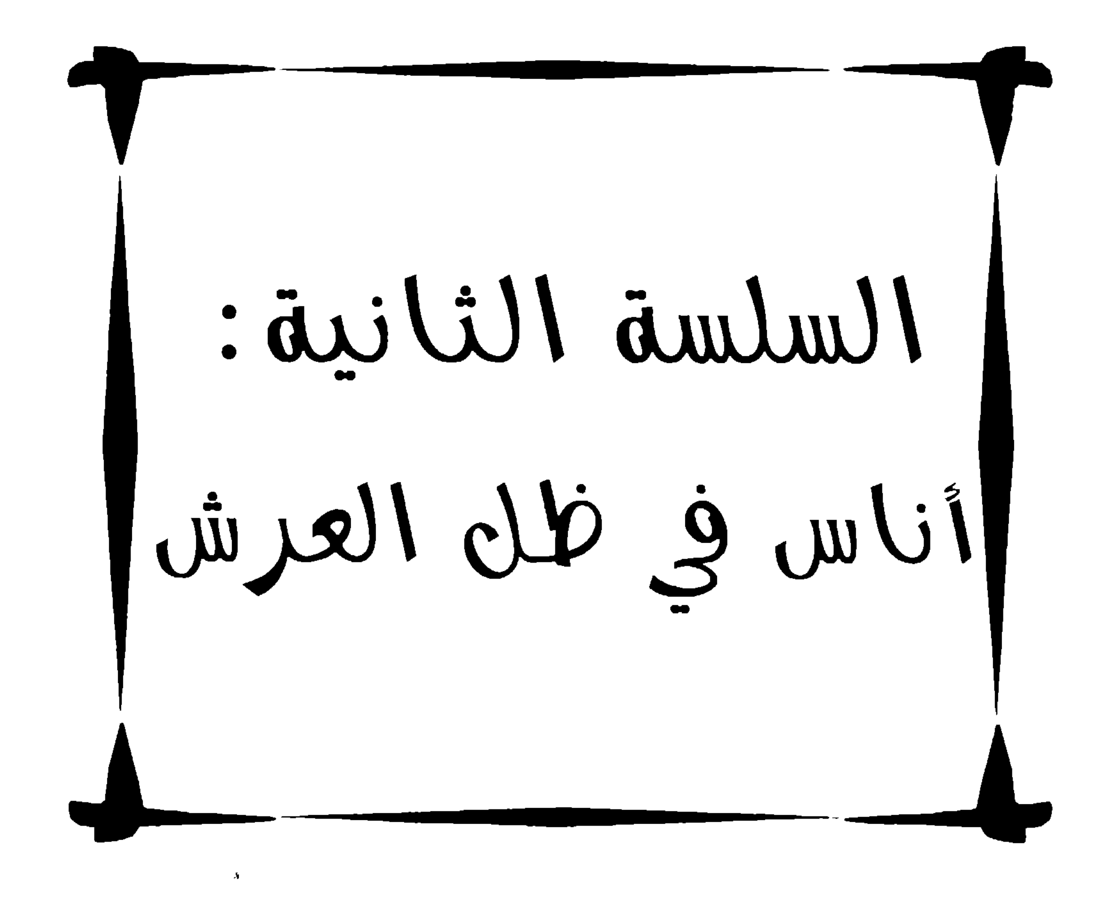
اللَّهُمَّ يا فالق الحب والنوى، يا منشئ الأجساد بعد البلى يا مؤي المنقطعين إليه، يا كافي المتوكلين عليه، انقطع الرجاء إلا منك، وخابت.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولا تعذبنا ووفقنا ولا تخذلنا ولا تسلب الإيمان منا لا ملجأ لنا إلا إليك ولا معول لنا إلا عليك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ يا من فتح بابه للطالبين، وأظهر غناه للراغبين نسألك أن تسلك بنا سبيل عبادك الصادقين، وأن تلحقنا بعبادك الصالحين، اللَّهُمَّ أحي قلوبًا أماتها البعدُ عن بابك، ولا تعذبها بأليم عقابك، يا كريم يا منان، يا من جاد على عباده بالإنعام والإفضال.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. وأقم الصلاة.


السلسة الثانية:
أناس في ظل العرش

الخطبة الثامنة عشرة

حديث السبعة الذين يظلهم الله

الحمد لله رب العالمين، فاطر الأرض والسموات، عالم الخفيات يدبر الأمر، ويفصل الآيات، تسبح له الأرضين ومن فيهن والسموات، كل يوم هو في شأن، يكشف كربًا، ويغفر ذنبًا، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، ولا يزال على مر الزمان يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويبغض المتكبرين والمتجبرين، وأهل البغي والعدوان، نحمده ونستغفره، ونسأله الهداية، ونعوذ به من الخزي والهوان.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له في ملكه، ولا ثان، بل هو المتفرد بالملك والتدبير والسلطان.

يا واحدًا في ملكه ما له ثان — يامن إذا قلت يا مولاي لباني
أعصاك تسترني أنساك تذكرني — فكيف أنساك يا من لست تنساني

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ﷺ، ما ضل وما زل، وما غل وما ملّ، وما كل، وما ضل لأن الله هاديه، وجبريل يكلمه ويناديه وما زلّ لأن العصمة ترعاه، والله أيده وهداه، وما غلّ لأنه صاحب أمانة وصيانة وديانة، وما ملّ لأنه أعطى الصبر، وشرح الله له الصدر، وما كلَّ لأن له عزيمة، وهمة كريمة، ونفسًا طاهرة مستقيمة.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وتمسك بسنته إلى يوم الدين، صلاة تفتح لنا بها يا ربنا أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًّا ونصيرًا فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب رسول الله ﷺ...

في بداية هذا اللقاء الطيب المبارك، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فإنه قد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

ولقاؤنا هذا اليوم أيها الأحبة الكرام مع الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وأول ما يطالعنا من هؤلاء، حديث السبعة، الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّـهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْـعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْـمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّـهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دعته امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّـهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصدقة فأخفاها حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّـهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(١).

وحديثنا ينحصر في هذا اللقاء في العناصر التالية:

أولًا: أهمية حديث السبعة.

ثانيًا: هل العدد محصور بهؤلاء السبعة؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

ثالثًا: أهمية العدد سبعة في الإسلام.

رابعًا: معنى الظل المذكور في الحديث.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا إلى صالح الأعمال، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أولاً: أهمية حديث السبعة، ومنزلته عند العلماء:

قال الإمام ابن عبد البر في كتاب (التمهيد) [(١)]: هذا أحسن حديث يروى في فضائل الأعمال، وأعمها وأصحها إن شاء الله تعالى، وحسبك به فضلًا لأن العلم محيط بأن من كان في ظل الله يوم القيامة، لم ينله هول الموقف.

ويقول الآجري في كتابه «الأربعين حديثًا» بعد أن ذكر الحديث: إنه حديث شريف يتأدب به جميع من يعبد الله تعالى، لا يتعب في عمله إلا عاقل، ولا يستغنى عنه إلا جاهل.

أحبتي في الله...

حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، حديث شامل لكل جوانب المجتمع الإسلامي من الإمام وعدله، والشباب في نشأتهم وعلاقتهم بالله ﷻ وتربيتهم تربية دينية حسنة، ثم إنه قد شمل الأفراد في ترابطهم وتوادهم وتعاطفهم، فيبين علاقة الفرد بالفرد إذا كانت في الله و لله، يقول النبي ﷺ: **«مَثَلُ الْـمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْـجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْـجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْـحُمَّى»**[(٢)].

ووضح الحديث أعظم سبل الأعمال الصالحة التي تكسب العبد علاقة طيبة بربه، وبإخوانه، المشي إلى بيوت الله، والحرص على الصلوات الخمس في جماعة، والحب في الله، والبغض في الله والعين الباكية من خشية الله، والعفة وفضلها، وذم

---

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (٢/ ٢٨٢، ٢٨٣).

(٢) رواه مسلم.

الزنا والفواحش وفضل الصدقة في السر، وذكر الله ﷻ، كل هذا موجود في حديث السبعة ومشتمل عليه.

وقد بين الشيخ عطية محمد سالم [١] أن في هذا الحديث العظيم، معان مشتركة بين هؤلاء السبعة:

الأول: فالإمام العادل، لم تتحقق عدالته إلا بتقوى من الله ﷻ وأما عدله فلا يكون إلا خوفًا من الله من مظالم العباد، أو رجاء فيما عند الله من دوام ولايته.

ومعلوم أنه لا سلطان عليه من الرعية، وإنما حقيقة السلطان عليه هو الله ومن ناحية أخرى، لا يطلع على حقيقة عدله إلا الله، فكم يعطي ويمنع، ويدني ويقصي، ويكرم ويهين، وكل هذا لا يطلع عليه إلا الله.

والثاني: وهو الشاب الذي نشأ في عبادة الله، هو لا يرهب، ولا يرجو إلا جناب، ثم إنه لا يطلع على حقيقة عبادته، وسر إخلاصه إلا الله ولا يراه دائمًا في خلوته وجلوته إلا الله سبحانه وتعالى.

والثالث: الرجل المعلق قلبه في المساجد، لم يتعلق قلبه بها لدنيا يصيبها، أو لأجل امرأة ينكحها، أو لجاه يحصل عليه، أو لسلطان، وإنما رغبة ورهبة لله، لماذا؟ لأنه تذوق حلاوة الإيمان، وحلاوة الإيمان محلها القلب وأقوى المؤثرات في ذلك الصلاة، لأنها صلة بين العبد وربه، ولذا قال الحبيب النبي ﷺ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِيَ فِي الصَّلَاةِ**»[٢].

والرابع: وهم المتحابون في الله، فلا مصلحة بينهم ولا نسب يربطهم، ولا رحم يجمعهم، ولا منفعة تدفعهم، إنما كله لله، وفي ذات الله، إذا تناصحا، تناصحا لله، وإذا اجتمعا، اجتمعا لله، وإذا افترقا، افترقا لله، فارتباطهم لله وفي الله.

---

(١) له كتاب «في ظلال عرش الرحمن».

(٢) صحيح: رواه الطبراني عن المغيرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٩٨).

والخامس: هو الذي يتصدق في السر، إنه يتغلب على شح نفسه في ماله، وتجنب حب الثناء والمدح، وهما فطرة في النفس البشرية، فهو قد تغلب على غريزتين في نفسه: غريزة الشح، وغريزة حب الثناء، والعوض منتظر من الله.

والسادس: هو الباكي من خشية الله ﷻ، والخوف منه، وسبب بكائه: ذكر الله في خلوته، أي بعيدًا عن الرياء والسمعة، ونفسه خالية من الشواغل الدنيوية، فما بكى إلا من خشية الله، لا من ماضٍ أساء فيه، ولا من مستقبل لا يعلمه إلا الله، وإنما هو يخاف الله رب العالمين، ﴿ **وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ** ﴿٢٧﴾ ﴾ [المعارج: ٢٧].

السابع: الرجل الذي دعته امرأة ذات المنصب والجمال، فأبى ورفض، لخوفه من الله.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: إنك إذا تأملت السبعة الذين يظلهم الله ﷻ في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى.

فإن الإمام المقسط القادر لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه.

والشباب المؤثر لعبادة الله على داعي شبابه، ولولا مخالفة هواه لم يقدر على ذلك، والرجل الذي قلبه معلق بالمساجد، إنما حمله على ذلك مخالفة الهوى، الداعي له إلى أماكن اللذات.

والمتصدق المخفي لصدقته عن شماله، لولا قهره لهواه، لم يقدر على ذلك.

والذي دعته المرأة الجميلة، فخاف الله، وخالف هواه.

والذي ذكر الله خاليًا، ففاضت عيناه من خشية الله، إنما أوصله إلى ذلك مخالفة هواه، فلم يكن لحر الموقف وعرقه وشدته سبيل عليهم يوم القيامة.

أحبتي في الله...

هل العدد محصور بهؤلاء السبعة الذين ذكرهم الحديث؟

اختلف أهل العلم في ذلك، فبعضهم قال: إن العدد في الحديث لا مفهوم له، فلا ينحصر عددهم بهؤلاء السبعة، ولذا جمع العلماء من ورد فيه هذا الفضل - أن يظله - الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، حتى أوصلوا عددهم إلى السبعين، لكن من هؤلاء السبعين من ورد بأحاديث ضعيفة، وما صحت به الروايات أقل من هذا العدد بكثير، كما قال ابن حجر رحمه الله.

وبعضهم قال: إن العدد سبعة له مفهومه، والفضل مقصور على هؤلاء السبعة وأما غيرهم مما ذكر في الأحاديث الأخرى، فيندرج تحت صنف من هذه الأصناف السبعة.

وأما عن العدد سبعة، فيقول الإمام ابن القيم رحمه الله: أما خاصية السبع، فإنها قد وقعت قدرًا وشرعًا، فخلق الله عز وجل السموات سبعًا والأرضين سبعًا، والأيام سبعًا، والإنسان كمل خلقه في سبعة أطوار، وشرع الله عز وجل لعباده الطواف بالبيت سبعًا، والسعي بين الصفا والمروة سبعًا، ورمي الجمار سبعًا سبعًا، وتكبيرات العيدين في الأولى سبعًا، و قال ﷺ: «**مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ...**».

وإذا صار للغلام سبعًا، خير بين أبويه، وأمر النبي ﷺ وهو في مرضه أن يصب عليه من سبع قرب، وسخر الله الريح على قوم عاد سبع ليال، ودعا النبي ﷺ أن يعينه على قومه بسبع كسبع يوسف، ومثَّل الله سبحانه ما يضاعف به صدقة المتصدق، بحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والسنابل التي رآها صاحب يوسف سبعًا، والسنين التي زرعوها دأبًا سبعًا، والبقرات السمان والعجاف سبع، وتضاعف الصدقة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ويدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب سبعون ألفًا، والنجوم سبعًا، والقرآن أنزل على سبعة أحرف، وليلة القدر، وهي أم الليالي في سبعة وعشرين، وصلاة الجماعة، وهي عماد الدين تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة، وأعضاء

السجود التي تخشع لله ﷻ سبعًا، والبدنة تجزئ في الأضحية عن سبعة، والكافر يأكل في سبعة أمعاء، والعقيقة بعد سبع، ويغسل الإناء من ولوغ الكلب سبعًا.

والموبقات التي نهانا النبي ﷺ عنها سبع: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧].

وأمرنا النبي ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا باتباع الجنائز، وعيادة المريض، وإجابة الداعي، ونصر المظلوم، وإبرار القسم، ورد السلام، وتشميت العاطس، ونهانا عن آنية الفضة، وخاتم الذهب، والمياثر والحرير، والديباج والقسي، والإستبرق».

أحبتي الكرام...

اجتهدوا في هذه الأعمال الصالحات، التي تنجينا يوم القيامة من حر الموقف وهوله يقول النبي ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي**»(١). ويقول: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»(٢). أو كما قال، ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، مثيب الطائعين على صالح العمل أجزل الثواب، ومجيب الداعين فهو أكرم من أجاب، يغفر الزلات، ويقيل العثرات، ويجتبى إليه من يشاء، ويهدي إليه من أناب.

نحمده على نعمه التي فاضت على ذرات التراب، وقطرات السحاب.

---

(١) تخرج في موضع آخر.

(٢) سبق تخريجه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة لا يحجبها عن الإخلاص حجاب، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله بأسمح دين وأفصح كتاب، فرض الفرائض، وسن السنن، وبين الآداب، اللَّهُمَّ فصلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله والأصحاب.

أما بعد...

أحبتي في الله...

بقي أن نتحدث عن قول النبي ﷺ: «يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ» نتوقف مع أقوال العلماء عن الظل:

قال ابن حجر: قال عياض: الظل إلى الله إضافة ملك، وكل ظل فهو ملكه.

وقيل: المراد بظله: كرامته وحمايته، كما يقال: فلان في ظل الملك.

وقال ابن عبد البر: والظل في الحديث يراد به الرحمة، ومن رحمة الله ﷻ الجنة، قال الله ﷻ في وصفها: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الواقعة: ٣٠].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ۝٤١﴾ [المرسلات: ٤١].

وقد ذكر لنا النبي الحبيب ﷺ أن في الجنة شجرة يسير الراكب السريع في ظلها مائة عام، قال الحبيب المصطفى ﷺ: «إِنَّ فِي الْـجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١﴾ [الواقعة: ٣٠، ٣١]» (١).

ومن عظمة عرش الرحمن تعرف عظمة ظله.

والمسلم ينبغي أن يعتقد مذهب أهل السنة من سلف هذه الأمة، فيثبت لله ﷻ العرش دون تأويل أو تحريف.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

قال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية: والعرش في اللغة: عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال الله ﷻ عن بلقيس: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٣]. وليس هو ملكًا، ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات.

قال الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة، وكان شاعرًا:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الإله مسومينا

وقد جاء في سنن أبي داود من حديث جابر بن عبد الله ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ، مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**».

وبعض من حرّف كلام الله جعل العرش وفسره بالملك، فكيف يصنع بقوله ﷻ: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧]. أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟ وكان ملكه على الماء؟[(١)].

وقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [غافر: ٧]. وقال: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [الزمر: ٧٥]. وقد جاءت الأدلة المثبتة للعرش في آيات كثيرة في القرآن الكريم، وفي السنة المطهرة.

والعرش مخلوق بيد الله ﷻ، وهو أول المخلوقات على أرجح الأقوال كما

---

(١) «شرح الطحاوية» (ص ٢٥٦) تحقيق أحمد شاكر.

ذكره أهل العلم، واستدلوا على ذلك بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ مرفوعًا قال: «**كَتَبَ اللَّـهُ مَقَادِيرَ الْـخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - قَالَ - وَعَرْشُهُ عَلَى الْـمَاءِ**»[(١)].

وقال عبد الله بن عمر ﵄: خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وآدم، وجنة عدن، ثم قال لسائر الخلق: كن، فكان[(٢)].

ومن الأدلة على عظم العرش حديث النبي ﷺ: «**ما السموات السبع في الكرسي، إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة**»[(٣)].

فإذا كان العرش بهذا القدر العظيم، الذي لا يتخيله بشر، ولا عقل بشر، فكيف يكون ظل هذا العرش؟!

أسأل الله العظيم أن يظلنا في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، اللَّهُمَّ أظلنا في ظل عرشك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ أكرمنا ولا تهنا، وزدنا ولا تنقصنا، وكن لنا ولا تكن علينا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا، وبلغنا مما يرضيك آمالنا، اللَّهُمَّ ارزقنا هداك وتقواك وارحم من أطاعك منا، واستر من عصاك، اللَّهُمَّ اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقى، واجعل التوفيق لنا خير رفيق، اللَّهُمَّ إنا لجأنا إليك فلا تطردنا من رحابك ولا تردنا عن بابك يا أكرم الأكرمين.

اللَّـهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وأحمي حوزة

---

(١) رواه مسلم (٤٧٩٧).

(٢) صحيح: صححه الألباني في مختصر العلو (١/ ٧٥).

(٣) صحيح: رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٠٩).

الدين، ودمر الكفرة والطغاة والملحدين، اللَّـهُمَّ أمنا في أوطاننا وأصلح أمتنا وولاة أمورنا، اللَّـهُمَّ ارحمنا فإنك بنا راحم، لا تعذبنا فأنت علينا قادر، والطف بنا في ما جرت به المقادير يا أرحم الراحمين.

اللَّـهُمَّ هون علينا سكرات الموت وذكرنا النطق بالشهادة إذا يبس منا اللِّسان وارتخت اليدان، وبردت القدمان، والتصقت الساقان، اللَّـهُمَّ اجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللَّـهُمَّ فاطر السموات والأرض ذا الجلال والإكرام إنا نشهدك وكفى بك شهيدا أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدًا عبدك ورسولك، وأن وعدك حق، والجنة حق، والنار حق، وأنك تبعث من في القبور، وإنك إن تكلنا إلى أنفسنا تكلنا إلى ضعف وذل وذنوب وخطايا، وإنا لا نثق إلا برحمتك فاغفر لنا وارحمنا يا أرحم الراحمين.

اللَّـهُمَّ أحسن ختامنا وأن لا تميتنا إلا وأنت راض عنا غير غضبان، اللَّـهُمَّ ارحمنا إذا أوحشنا المكان، وفارقنا الأهل والإخوان، وجاورتنا الديدان، اللَّـهُمَّ أدركنا هناك برحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّـهُمَّ ارحمنا تحت الأرض، واسترنا فوق الأرض، ولا تفضحنا يوم العرض يا أرحم الراحمين.

اللَّـهُمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك غفور سميع الدعوات.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.

۞۞۞۞۞

الخطبة التاسعة عشرة

هول يوم القيامة وظل العرش

الحمد لله الذى لا يغفر الذنوب إلا هو، ولا يكشف الكروب إلا هو، ولا يجبر القلوب إلا هو، وهو الله الذى لا إله إلا هو، وهو المحمود الذى لا يحمد على المكاره إلا هو، المشكور الذى لا يشكر على السراء والضراء إلا هو، الرحيم الودود، الذى لا يقصد بالركوع ولا بالسجود إلا هو، وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يمسسك بخير فلا فضل لأحد عليك إلا هو، وهو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء، لا إله إلا هو، وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، شهادة تنفع قائلها يوم ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، شهادة تنفع قائلها يوم تأتى الأم إلى وليدها، فتقول له: يا بنى، لقد كان بطنى لك وعاء، وثدى لك سقاء، وحجرى لك وعاءً، فأعطنى حسنة يعود علىَّ خيرها اليوم! فيقول لها: يا أماه، إنى أشكو مما تشكين منه الآن، نفسى نفسى، ويأتى الأب، فيقول له: يا بنى، أعطنى حسنة يعود علىَّ خيرها اليوم، فيقول له: يا أبتاه، إننى أشكو مما تشكو منه الآن، نفسى نفسى.

وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبد الله ورسوله، شفيع المذنبين، وقائد الغرِّ المحجلين يوم الدين، يوم يأت الناس آدم أبو البشرية فيقولون له: يا آدم، اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه، فيقول: إن ربى غضب اليوم غضبة لم يغضب مثلها أبدًا، نفسى نفسى، اذهبوا إلى نوح، فيذهبون إلى نوح فيقول مثل آدم،

ويحيلهم على إبراهيم، ومن إبراهيم إلى موسى ثم إلى عيسى، فيقول عيسى: اذهبوا إلى محمد، فيذهب الخلق إليه، فيقول: أنا لها، أنا لها، فيذهب فيسجد تحت عرش الرحمن، ويحمد ربه بمحامد لم يحمده أحد بمثلها فيسمع النداء: ارفع رأسك، وسل تعط واشفع تشفع، فيشفع فى كل من قال لا إله إلا الله، اللَّهُمَّ صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد...

فوق رأسك، ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: ٤٧]. ليس اليوم أربع وعشرين ساعة، ولكنه يوم طويل، كان من الممكن فى الدنيا أن تتقى حر الشمس بما تلبس من ثياب، ولكنك ستكون فى هذا اليوم عاريًا كما ولدتك أمك، نكون يوم القيامة عرايا كما ولدتنا أمهاتنا، لا كساء، ولا غطاء، أين الثياب الفاخرة؟ أين الملابس الزاهرة؟ تكون من غير كساء ولا غطاء، ليس هناك مكيفات ولا مراوح.

تذكر وقوفك يوم العرض عريانًا ... مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... فهل تجد فيه حرفًا غير ما كانا
فلما قرأت ولم تنكر قراءته ... وأقررت إقرار من عرف الأشياء
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المشركون غدًا في النار يلتهبوا ... والموحدون بدار الخلق سكانًا

إنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، يوم تبلى فيه السرائر، وتشخص فيه الأبصار.

قال بعض السلف: لو اطلعت الشمس على الأرض -أى فى الدنيا- كهيئتها - أى الشمس - يوم القيامة، لأحرقت الأرض، وذاب الصخر، وجفت الأنهار،

فبينما الخلائق يموجون فى تلك الأرض البيضاء، التي ذكرها الله تعالى، حيث يقول: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

تصور أخى الحبيب الناس وهم يغوصون فى العرق، يقول النبى الأمين ﷺ: **«يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِى الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ»**(١).

أيها المسلمون، أحباب رسول الله ﷺ...

نحن اليوم على موعد بلقاء، ولقاؤها فى هذا اليوم المبارك مع اليوم الذى يظلل الله ﷻ فيه أناسًا فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

هل نحتاج إلى الظل فى هذا اليوم أيها الأحبة الكرام؟!

تأملوا، إنه يوم الشمس فيه كورت، أى ذهب ضوؤها، والنجوم فيه قد انكدرت. أى تساقطت. والكواكب من هوله قد انتثرت، والبحار فيه قد سجِّرت -أى صارت نارًا- والجبال قد سيرت، والعشار قد عطلت، والوحوش فيه حشرت، والجحيم قد سعرت، والجنة فيه قد أزلفت، فى هذا اليوم العصيب، الذى جمع الله فيه الأولين والآخرين، من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، والأرض فيه قد تبدلت غير الأرض، والسموات وبرز الجميع لله الواحد القهار.

يا له من يوم ما أطوله!، يا له من يوم قد أدنيت فيه الشمس من الرؤوس قال الحبيب المصطفى ﷺ: **«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْـقِيَامَةِ أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْـعِبَادِ حَتَّى تَكُونَ قِيدَ مِيلٍ أَوِ اثْنَيْنِ فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ فَيَكُونُونَ فِى الْـعَرَقِ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى عَقِبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حَقْوَيْهِ** - وهو موضع الإزار - **وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إِلْـجَامًا»**.

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

تخيل نفسك، وتصور أنك خرجت من قبرك، وساقتك ملائكة الله ﷻ إلى أرض المحشر سوقًا، وشعرت بهذا الكرب الشديد، وبهذا الهول الفظيع، إنك كنت فى الدنيا لا تصبر ولا تطيق أن تجلس فى الشمس، أو تمشي فى حرها ساعة، فكيف تقف فى هذا اليوم، وهى كما قال صلوات ربى وسلامه عليه: **«لم يلق ابن آدم شيئًا منذ خلفه الله ﷻ أشد عليه من الموت، ثم الموت أهون مما بعده، وإنهم ليلقون من هول ذلك اليوم شدة، حتى يلجمهم العرق، حتى إن السفن، لو أجريت فيه، لجرت»**[(١)].

قال الإمام الغزالى رحمه الله: واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام، وتردد فى قضاء حاجة مسلم، وتحمل مشاقة فى أمر بمعروف أو نهى عن المنكر، فسيخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة، ويطول فيه الكرب، ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور، لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الدنيا أهون أمرًا، وأقصر زمانًا من عرق الكرب، والانتظار فى القيامة، فإنه يوم عظيم، شديد طويل مدته.

فى هذا الموقف الرهيب نرى أصنافًا من الناس قد أظلهم الله رب العالمين فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

أحبتى فى الله...

أحدنا يؤثر الظل على الشمس فى دار الدنيا، فما بالكم بظل عرش الرحمن جل فى علاه، أفلا نؤثر ظل عرش الرحمن، والقرب منه على شمس تطحن الناس طحنًا، لم نرحم من أنفسنا ما نرحم من غيرنا، إذا رأينا رجلًا يسير فى شدة الحر، فى وقت الظهيرة، نقول له: ألا ترحم نفسك؟ ألا ترحم نفسك أنت فتعمل

---

(١) إسناده جيد: رواه الطبراني في «الأوسط» ، ورواه أحمد باختصار، قاله الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٣٤).

الأعمال الصالحات، التى يرضاها رب الأرض والسموات كي تستظل بظله يوم القيامة، يوم يكون الناس فى هذا الهول المهيب، وذلك الموقف الرهيب، وأنت فى الظلال الوارفة.

كيف إذا آواك الرحيم الرحمن إلى ظله، إنك لو طهر قلبك، لتمنيت هذا، فكيف بك إذا أتاك اليقين يوم القيامة بأنك ممن يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله؟

احرصوا على الأعمال الصالحات التى تنجيكم من حر الشمس ووهجها يوم القيامة، يوم الحساب، يوم يحاسب الله ﷻ العباد، حسابًا شديدًا، فيختم على أفواههم، وتنطق أركانهم، ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النور: ٢٤].

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [فصلت: ١٩ - ٢١].

وقال ﷻ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥].

قال سيدنا أنس بن مالك: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟». قُلْنَا: اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْـعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِى مِنَ الظُّلْمِ، فَيَقُولُ (الله عز وجل): بَلَى. فَيَقُولُ (العبد): فَإِنِّى لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِى إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّى، فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْـيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْـكِرَامِ الْـكَاتِبِينَ شُهُودًا، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِى. فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْـكَلاَمِ، فَيَقُولُ (أي لأعضائه): بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا. فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ».

فاتقوا الله فى الجوارح، ولا تسعوا بها إلى المعاصى، بل اجعلوها تعمل فى طاعة الله ﷻ، فإن الجوارح سوف تنطق وتتكلم وتخبر بما عملته، وهذا ليس بعجيب إذا ما علمت أن الأرض التى هى من الحجارة والصخور، سوف تتكلم وتخبر بكل ما حدث على ظهرها ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ ﴾ [الزلزلة: ٤، ٥].

وقد جاء فى بعض الأخبار: أنه يوقف شيخ للحساب فيقول الله ﷻ: يا شيخ، ما أنصفت، غذوتك بالنعم صغيرًا، فلما كبرت، عصيتنى، أما إنى لا أكون لك كما كنت لنفسك، اذهب فقد غفرت لك ما كان قبل.

وإنه ليؤتى بالشاب كثير الذنوب، فإذا وقف تضعضعت أركانه، واصطكت ركبتاه، فيقول الرب جل جلاله: أما استحييتنى! أما راقبتنى؟ أما خشيت نقمتى؟ أما علمت أنى مطلع عليك؟ خذوه إلى الهاوية[1].

فتوهم نفسك يا مسكين، وقد أخذت الملائكة بعضديك، وأنت واقف بين يدى الله يسألك: ألم أنعم عليك بالشباب ففيم أبليته؟ ألم أمهل لك من العمر، ففيم أفنيته؟ ألم أرزقك المال، فمن أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ ألم أكرمك بالعلم، فماذا عملت فيما علمت، فكيف ترى حياءك وهو يعدد عليك إنعامه وفضله وجوده، ومعاصيك ومساويك؟!

أيها المسلمون . . عباد الله...

تأملوا فى طول هذا اليوم وشدته، وهوله وحره، وشدة الانتظار فيه، حتى يخف عليكم انتظار الصبر على المعاصى، ومادام فيكم نفس من عمركم، فالأمر إليكم، والاستعداد بين يديكم، فاعملوا فى أيام قصار، لأيام طوال، تربحون ربحًا لا منتهى لسروره، وتزودوا للرحيل، وتأهبوا للسفر، وخذوا عدتكم

(١) التذكرة للقرطبي (ص ٢٢٨)، ط. التوفيقية.

لنقلتكم، فلستم بمقيمين، فالويل لنا كل الويل معاشر الغافلين، فقد أرسل إلينا خاتم النبيين، وأنزل عليه الكتاب المبين، وأخبرنا فيه عن أوصاف يوم الدين، ثم بين غفلتنا فقال: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنبياء:١-٣].

ثم يعرفنا أن يوم القيامة قريب، فيقول: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝ ﴾ [المعارج: ٦، ٧].

ثم بعد هذا نقرأ القرآن، ولا نتدبر معانيه، ولا ننظر فى كثرة أوصافه هذا اليوم ولا نستعد للتخلص من دواهيه.

أحبتى فى الله...

إنه لا ينجو من أخطار هذا اليوم وأهواله وشدائده، وحسابه وعقابه إلا من حاسب نفسه فى الدنيا قبل أن يحاسب، ووزن أقواله وأفعاله بميزان الشرع، وضعوا أهوال هذا اليوم على بالكم، واجعلوها فى خاطركم، ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ ﴾ [غافر: ١٧].

كان الحارث المحاسبى رحمه الله لا يزال يذكر أهوال القيامة، ويقول لأصحابه: اجعلوا الأهوال التى بين أيديكم على بالكم، لعلكم أن تتوبوا عن المعاصى قبل موتكم، فإنه ما من أحد يعصى ربه، إلا وهو ناسٍ للحساب، ومقاساة الأهوال، وإنى أحذركم وأحذر نفسى من يوم آلى الله على نفسه أن لا يترك عبدًا حتى يسأله عن عمله كله، دقيقه وجليله، سره وعلانيته، فانظروا بأى بدن تقفون بين يديه، مع أهوال ذلك الموقف، وبأى لسان تجيبون؟

وفى الصحيحين عن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلاَ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ، فَلاَ يَرَى شَيْئًا إِلاَّ شَيْئًا قَدَّمَهُ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ شَيْئًا قَدَّمَهُ، وَيَنْظُرُ أَمَامَهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**».

فيا مسلم، يا من تؤمن بالله، يا من تؤمن بالقيامة، يا من تصدق بالقرآن، ربنا ﷻ ورسوله الكريم بينا لك أن عينك سوف تشهد عليك، فعندما تريد عينك أن تنظر إلى امرأة لا تحل لك، فاستحِ من الله، واستحِ من عينيك لأنها ستشهد عليك، عندما تريد أن تسمع أغنية بأذنيك استحِ من الله، واستحِ من أذنيك، لأنها ستشهد عليك أمام الله يوم القيامة، لما تريد أن تشرب سيجارة، استحِ من شفتيك لأنها سوف تشهد عليك أمام الله، عندما تريد أن تذهب إلى معصية استحِ من رجليك لأنها سوف تشهد عليك يوم القيامة.

وأما العبد المؤمن، الموحد، يدنيه الله ﷻ ويستره، كما أعلمنا حبيبنا ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما: «**إِنَّ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْنِى الْـمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، وَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ وَيَقُولُ لَهُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِى نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ: فَإِنِّى قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِى الدُّنْيَا، وَإِنِّى أَغْفِرُهَا لَكَ الْـيَوْمَ**». أو كما قال.

اللَّهُمَّ استرنا في الدنيا والآخرة، لذلك قال ﷺ: «**ومن ستر مؤمنًا ستره الله فى الدنيا والآخرة**».

يرجى للعبد الذى يعترف ويقر ويتوب إلى ربه، ويرجع، أن يستره الله، ويغفر له.

عباد الله...

«البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان» والتائب حبيب الرحمن، أو كما قال، ادعوا الله.



الخطبة الثانية

الحمد لله الدائم بلا زوال، القائم بعميم الفضل والنوال، والمتصرف فى عباده باختلاف الأحوال، المتوحد بالعظمة والجلال، المتفرد بالقدم والبقاء والكمال، المتعالى عن الأشباه والأمثال، لا إله إلا هو الكبير المتعال.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة تبلغ نهاية الآمال، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله ربه هاديًا من الضلال، ومرشدًا إلى صلاح الأعمال، ومحذرًا من الجحيم والنكال، ومبشرًا بالنعيم والظلال اللَّهُمَّ فصلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير صحب وآل.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

يقول الله ﷻ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر: ١٨].

لو جاء أحدكم إعلان فيه إنذار بالحضور إلى محكمة لسماع دعوى مرفوعة عليه، ولو فى قضية مدنية، فلابد أن هذه الدعوى سيفكر فيها ليلًا ونهارًا، ويهتم بها شديد الاهتمام، ويسأل عن المحامى البارع، الذى يستطيع أن يدافع عنه، لأنه يريد أن يكسب القضية، وتنتهى بسلام لا تبعة فيها ولا مسئولية، مع أن خسارتها لا تتعدى دفع غرامة مالية، والقاضى الذى يحكم فيها بشر، لا يملك لنفسه جلب نفع، ولا دفع ضر، قلبه بيد الله يصرفه كيف يشاء، فما بالكم بالمحكمة الكبرى، التى موعدها يوم القيامة، وقاضيها هو مالك الملوك ومالك الملك جل فى علاه، ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الحج: ٥٦]. والناس فى المحكمة ليسوا ألفًا، ولا ثلاثة، وإنما الناس أجمعون.

فإذا قلت: يا رب، لماذا لم تحضر لى إعلانًا بحضور الجلسة؟ كان الجواب لقد كنت تقرأ الإعلان كل يوم عدة مرات، ألم تحفظ سورة الفاتحة؟ ألم تقرأ قول الله ﷻ: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة: ٤].

فهذا يوم الدين وأنا مالكه فإن قلت: يا رب، من الذى أوصلنى هذا الإعلان؟ على يد من؟ كان الجواب: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فإذا قلت: يا رب، أنظرنى، حتى أحضر الشهود، قال لك: ﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٤ ﴾ [النور: ٢٤].

فإن قلت: يا رب، أنظرنى حتى أوكل محاميًا يدافع عنى، كان الجواب: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ۝١٤ ﴾ [الإسراء: ١٤].

فإذا قلت: يا رب، أتقبل منى كفالة مالية أو شخصية؟ كان الجواب: ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

فإن قلت: يا رب، سأستأنف الحكم، كان الجواب: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩].

اللَّهُمَّ اغفر لنا، وارحم ذلنا يوم الأشهاد، وأمن خوفنا من فزع المعاد، ولا تخزنا يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد.

اللَّهُمَّ ثبت قلوبنا على الإيمان، ووفقنا لصالح الأعمال، وتفضل علينا بالقبول والإجابة، وارزقنا صدق التوبة، وحسن الإنابة.

اللَّهُمَّ آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللَّهُمَّ هب لنا ما وهبته لعبادك الأخيار، اللَّهُمَّ إنا بك مستنصرون، وبعزتك مستظهرون ولغناك مفتقرون، ومن تقصيرنا مستعيذون،ومن ذنوبنا مستغفرون، ولغناك مفتقرون ولغفرانك وعفوك منتظرون، فاغفر لنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّـهُمَّ تول أمرنا وأحسن خلاصنا واحفظ أمننا وبلادنا وقرانا ومساكننا ياذا الجلال والإكرام... اللَّـهُمَّ دمر أعداءك وأعداء المسلمين.

اللَّـهُمَّ وعليك بأعدائنا فإنهم لا يعجزونك اللَّـهُمَّ إن زرع الشر والفساد قد نما، فقيض له يدًا من الحق حاصده تقتلع جذوره، وتنزع عنا وعن بلادنا شروره ياذ الجلال والإكرام.

اللَّـهُمَّ احفظنا واحفظ شبابنا وشيوخنا ونساءنا وأبناءنا من كل سوء، وألبسهم الفضيلة والصحة في العقل والجسد إنك ولي ذلك والقادر عليه، يا ذا العزة والفضل والإكرام.

اللَّـهُمَّ هب لنا صحة لا تلهينا، وعافية لا تطغينا، واجعلها خير معين على طاعتك، اللَّـهُمَّ اجعل حواسنا وجوارحنا شاهدة لنا باكتساب الخيرات، لا شاهدة علينا بانتهاك المحرمات.

اللَّـهُمَّ صَلِّ على سَيِّدَنَا محمد وعلى آل سَيِّدَنَا محمد، كما صليت على سَيِّدَنَا إبراهيم وعلى آل سَيِّدَنَا إبراهيم، وبارك على سَيِّدَنَا محمد وعلى آل سَيِّدَنَا محمد، كما باركت على سَيِّدَنَا إبراهيم وعلى آل سَيِّدَنَا إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، وارض اللَّـهُمَّ عن خلفائه الراشدين، وعن أزواجه أمهات المؤمنين، وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن المؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبي محمدٍ ﷺ، وأقم الصلاة.

الخطبة العشرون

إمامٌ عادل

الحمد لله رب العالمين. أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأسرع الحاسبين، له الحمد كله، وإليه يرجع الأمر كله، سره وعلانيته، له الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على كل حال، له الحمد ملء السموات والأرض وما بينهما حمدًا له عدد ما أحصى من كتابه، وعدد ما خلق من خلقه، وعدد ما كان وما سيكون.

مرّ أحد الصالحين برجل، يذكر الله ﷻ، فيقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرًا من عباده، فنظر إليه، فإذا هو فاقد البصر، مشلول اليدين، مقعد القدمين، فقال له: عجبًا لك، من أي شيء عافاك؟ قال له: يا بطّال، إنه عافاني من الغفلة، وجعل لي لسانًا يذكره، وقلبًا يشكره، ثم أنشأ يقول:

حمدت الله ربي إذ هداني ... إلى الإسلام والدين الحنيف
ويذكره لساني كل وقت ... ويعرفه فؤادي باللطيف

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويغفر للمستغفرين ويقبل المعتذرين، ويمحو بحلمه إساءة المذنبين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا محمدًا عبد الله ورسوله، خير من تظله السماء، نبي الرحمة، ورسول الهدى، وقائد الغرِّ المحجلين، وإمام المتقين، وربيع البلاد، ومعدن الخير، وهو المبعوث إلى الأمة المرحومة، وقبره روضة من رياض الجنة، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

وما زال اللقاء موصولًا مع الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فحياكم الله أيها الإخوة الفضلاء، وطبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلًا، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذا اللقاء الطيب المبارك، أن يجمعنا مع حبيبنا المصطفى ﷺ على حوضه المبارك، لنشرب من يده الشريفة المباركة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا حتى ندخل جنة ربنا، إنه ولي ذلك ومولاه.

وفي بداية هذا اللقاء أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا** ﴾ [الطلاق: ٥].

هيا بنا لنتوقف سويًا مع أول واحد من هؤلاء الذين يظلهم الله، أتدرون من هو؟ إنه «الإمام العادل» فما المقصود بالإمام هنا؟ وما صفة الإمام العادل، ولما قدم الإمام العادل في الذكر؟ وما مكانة العدل؟ وماذا عن أئمة العدل؟ وبماذا فضلهم الله ﷻ على غيرهم؟

كل هذه الأسئلة سنجيب عنها بمشيئة الله تعالى في هذا اللقاء المبارك أما الإمام العادل، فهو الحاكم أو السلطان، ويدخل فيه القاضي أيضًا، وكل من له ولاية على غيره، حتى ولو كان وليًا لعشرة أو ما دونهم، فهو إمام لهم، قال ﷺ: «**مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ، إِلاَّ وَهُوَ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ مَغْلُولًا، حَتَّى يَفُكَّهُ الْـعَدْلُ، أَوْ يُوبِقَهُ الْـجَوْرُ**»[(١)].

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في سننه وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٧١).

فكلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته، قال صلوات ربي وسلامه عليه«**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّـهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ اللَّـهُ عَلَيْهِ الْـجَنَّةَ**»(١).

ومعلوم أن لفظ عشرة في الحديث السابق لا مفهوم له.

هذا هو الإمام، والعادل أو العدل وهو ضد الظلم، والعدل مأخوذ من العدالة، وهي الإنصاف، ويتحقق بإعطاء كل صاحب الحق حقه، من غير أن يفرق أو يميز بين شخص وآخر، ويحاسب من أساء أو قصر على قدر إساءته وتقصيره من غير محاباة.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وأحسن ما فسر به العادل أنه الذي جمع بين الأمرين: العدالة في نفسه، والعدل في حكمه، وهو الذي يتبع أمر الله، فيضع كل شيء في موضعه، من غير إفراط ولا تفريط، هو من لا تأخذه في الله لومة لائم، الإمام العادل، هو الذي ينفذ عدالة السماء في أرض الله عَزَّ وَجَلَّ من غير حيف(٢).

أيها الأحبة في الله...

وقد قدم الرسول الأعظم، والنبي الأكرم عَلَيْهِ السَّلَامُ وجعله أول السبعة الذين يظلهم الله، لعموم النفع به، فنفعه متعد، فإن عدل، عدل من تحته، وصلحت أحوال الناس. ولذلك قال الإمام الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: صنفان إذا صلحا، صلحت الأمة، وإذا فسدا فسدت الأمة: السلطان والعلماء(٣).

والإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: لو كان لي دعوة مستجابة، لجعلتها للسلطان، لأن بصلاحه صلاح الأمة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن معقل بن يسار.

(٢) «فتح الباري»(٢/ ٤٨٥) لابن حجر.

(٣) «حلية الأولياء» (٧/ ٥) لأبي نعيم.

إذا خصَّ الإمام العادل بالنص، وقدم على غيره، لأهميته، وخطر منصبه وعموم صلاحياته، وإذا طاب الأصل، طاب الفرع، وكما قال الليث بن سعد رحمه الله: ومن رأس العين يأتي الكدر، فإذا صفا رأس العين، صفت السواقي.

والسلطان تزيد مرتبته عند الله عز وجل على قوَّام الليل وصوّام النهار، أتدرون لماذا؟ لأن هؤلاء - أي قوَّام الليل، وصوَّام النهار نفعهم لا يتعدى أحدًا غيرهم، بخلاف السلطان فإن نفعه يتعدى غيره، فبنظره يتعبد المتعبدون ويأمن المسافرون، ويشتغل بالعلم المتعلمون، فكأنه عبد الله تبارك وتعالى بعبادة هؤلاء جميعًا.

خطب سعيد بن سويد رحمه الله بحمص، فقال: أيها الناس، إنَّ للإسلام حائطًا منيعًا، وبابًا وثيقًا، فحائط الإسلام الحق، وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعًا ما اشتد السلطان، وليست شدة السلطان قتلًا بالسيف، ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاء بالحق، وأخذًا بالعدل.

وقال الحكماء: إمام عادل خير من مطر وابل، وإمام غشوم خير من فتنة تدوم، ولما يزعُ الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن.

فحق على من قلده الله أمة حكمه، وملكه أمور خلقه، واختصه بإحسانه، ومكن له في سلطانه أن يكون من الاهتمام بمصالح رعيته، والاهتمام والاعتناء بمرافق أهل طاعته، قال الله تعالى في كتابه: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

فما هي صفة الإمام العادل؟

لما تولى عمر بن عبد العزيز رحمه الله الخلافة أرسل إلى الحسن البصري رحمه الله أن يكتب له رسالة يذكره بصفة الإمام العادل، حتى يتسنى له أن يكون حاكمًا عادلًا،

مجتهدًا في أن يصيب حكم الله ﷻ فماذا حدث؟ استجاب له الحسن البصري رحمه الله وكتب له بصفة الإمام العادل كتابًا، قال فيه بعض هذه الأوصاف:

اعلم يا أمير المؤمنين أن الله ﷻ جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد بها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقرِّ.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارًا ويعلمهم كبارًا، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرهًا، ووضعته كرهًا، وربته طفلًا، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه ترضعه تارة، وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين، وصيُّ اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه ثم أخذ الحسن البصري رحمه الله يلقى بعض النصائح والتذكيرات الوعظية التي تذكر عمر بن عبد العزيز - بربه ومولاه، فيقول: واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم أن لك منزلًا غير منزلك، الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحبابك، يسلمونك في قعره فريدًا وحيدًا، فتزود ما يصحبك ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٦].

أيها الموحدون الكرام...

وبالعدل قامت السموات والأرض، لقد كان النبي ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى يهود خيبر، فيجمع منهم الجزية، أو حصاد الأرض، ففي يوم من الأيام جمعوا له شيئًا عظيمًا من حلي نسائهم، وقالوا له: هذا لك وخفف علينا، فماذا فعل؟

لقد كان قاضيًا عادلًا، وحكمًا عدلًا، قال لهم: يا معشر اليهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، أو أظلمكم، والرشوة سحت، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض - أي بالعدل - فالعدل هو ميزان الله عز وجل في الذي وضعه للناس في الأرض، ونصبه للخلق والعدل هو قاعدة من قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح فيها إلا معه، ولقد أمر الله عز وجل بالعدل أنبياءه ورسله عليهم السلام وهم ولاة أقوامهم، فأمر داود عليه السلام أن يحكم بين الناس بالعدل إذا حكم بينهم.

قال الله تعالى: ﴿ **يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾** ﴾ [ص: ٢٦].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى، ولا يعدلوا عنه، فيضلوا عن سبيله، وقد توعد من ضل عن سبيله، وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد، والعذاب الشديد.

وجاء العدل مأمورًا به في كتاب الله عز وجل في آيات كثيرة: ﴿ **۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾** ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨].

ونادى الله على أهل الإيمان بنداء الإيمان أن يكونوا عادلين في كل شئون حياتهم، فقال جل في علاه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨].

وقد جاءت الأحاديث الشريفة تأمر بالعدل، وتحث عليه، قال ﷺ: **«إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ - وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ - الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»**(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُ عَذَابًا إِمَامٌ جَائِرٌ»**(٢).

وقد حذر النبي ﷺ الأئمة من الظلم، فقال: **«إنَّ أشد النَّاس عَذابًا يَوْم القِيَامة أشَدَّهم للنَّاس عَذابًا في الدنيا»**(٣).

و قال ﷺ: **«أشد الناس عذابًا يوم القيامة إمام جائر»**(٤).

ثم انظروا إليه وهو يعدهم عدم شفاعته، قال ﷺ: **«صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَنْ تَنَالُهُمَا شَفَاعَتِي: إِمَامٌ ظَلُومٌ، وَكُلُّ غَالٍ مَارِقٍ»**(٥).

---

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائي.

(٢) حسن: رواه أحمد في «مسنده» برقم (١١١١٧)، وحسنه حمزة الزين (١٠/ ٧٤)، ورواه الترمذي، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع».

(٣) صحيح: رواه أحمد والبيهقي في «شعبه» والحاكم وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٠٩).

(٤) حسن: رواه أبو يعلى والطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم في الحلية، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠١٢).

(٥) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٩٢).

وحذر من غش الرعية، وعدم النصح لها، فقال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّـهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ اللَّـهُ عَلَيْهِ الْـجَنَّةَ**»(١).

واحذر يا من توليت أمر المسلمين، سواء كنت قاضيًا أم رئيسًا، أم قائدًا، أم وليًّا أم سلطانًا أو حتى أبًا ورب أسرة، وتستطيع أن تقضي حوائجهم ثم تحجب نفسك عنهم، أو عن قضاء مصالحهم، احذر، فالجزاء من جنس العمل، قال ﷺ: «**مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَالِي يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْـحَاجَةِ وَالْـخَلَّةِ وَالْـمَسْكَنَةِ، إِلاَّ أَغْلَقَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ حَاجَتِهِ، وَخَلَّتِهِ وَمَسْكَنَتِهِ**»(٢).

وقال: «**من ولي من أمر المسلمين شيئًا، فاحتجب دون خلتهم، وحاجتهم، وفقرهم وفاقتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة دون خلته وحاجته، وفاقته وفقره**»(٣).

أحبتي في الله...

وكان أعظم الولاة وأعدلهم، وأنصفهم لمن ملكه الله أمرهم هو إمامنا ووليِّنا، وحبيبنا ﷺ حيث قال على لسان القرآن الكريم: ﴿ **وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ** ﴾ [الشورى: ١٥]، وأمره مولاه بالعدل حتى مع الأعداء اليهود فقال: ﴿ **فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ** ﴾ [المائدة: ٤٢].

ولقد حقق في أمته العدل والقسط في أعلى صوره، وأجل معانيه، لما سرقت المرأة المخزومية - وكانت حسيبة في قومها - أهمهم شأن المرأة، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن معقل بن يسار.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» والترمذي عن عمرو بن مرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٦١).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه، والحاكم عن أبي مريم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٧١).

ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّـهِ**». ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْـحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ قَطَعْتُ يَدَهَا**»(١).

قدم نفسه للقصاص يوم بدر حيث كان يعدل صفوف جيشه، فمرّ بسواد بن غزية وكان ناتئًا أي خارجًا عن الصف ببطنه، فطعنه بعود أو قدح في بطنه، وهو يقول: «**استوِ يا سواد**».

وهنا قال سواد رضي الله عنه: لقد أوجعتني يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق والعدل، ثم طلب من الرسول ﷺ أن يعطي القصاص من نفسه، قائلًا له: أقدني من نفسك يا رسول الله، فلم يتردد لحظة، ولكنه كشف عن بطنه ﷺ ليقتص منه سواد، قائلًا له: «**استقد**».

ولكن سواد رضي الله عنه بدلًا من أن يطعن في بطن الرسول ﷺ قصاصًا أخذ يقبلها، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**» قال: يا رسول الله، حضر ما ترى أي القتال فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير(٢).

وقد قال ﷺ: «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أُفَارِقَكُمْ، وَلاَ يَطْلُبنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ بِمَظْلَمَةٍ ظَلَمْتُهُ**»(٣).

وأعدل الناس من بعده ﷺ أصحابه - رضوان الله عليهم - وأعدلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي يوم تولى الخلافة بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ قال:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٢/ ٢٧١)، وسيرة ابن هشام (٣/ ٨٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد والطبراني في «الأوسط»، وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٤٨٠).

إني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، وإن أقواكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، وإن أضعفكم عندي لقوي حتى آخذ له الحق، أعينوني ما أطعت الله ورسوله، فإن اعوججت فقوموني.

لأجل ذلك كان سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد أن توفي خليفة رسول الله يقول عنه: «لم يكن لأحد فيك مهمز، ولا لقائل فيك مغمز، ولا فيك طمع، ولا عندك هوادة لأحد، الضعيف الذليل عندك قوي حتى تأخذ له بحقه، والقوي عندك ذليل، حتى يؤخذ منه الحق، والقريب والبعيد عندك سواء.

وأعدل الناس بعد أبي بكر رضي الله عنه فاروق الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما تولى الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه جاء والدموع تسيل من عينيه إلى الأرض، وهو يقول: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده.

فلله دره من إمام عادل، قال عن نفسه: والله قد لان قلبي حتى لهو ألين من الزبد، ولقد اشتد قلبي حتى هو أشد من الحجر.

وكان رضي الله عنه إذا أتاه الخصمان، برك على ركبتيه، وقال: اللَّهُمَّ أعني عليهما، فإن كل واحد منهما يردوني عن ديني.

ولقد ضرب بالفاروق المثل في قمة العدل والإنصاف لدرجة أن قيصر الروم أرسل رسوله إلى عمر، ليتفقد أحواله، ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة، قال: أين ملككم؟ فقالوا: مالنا ملك، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة، فخرج الرسول في طلبه، فرآه نائمًا في الشمس على الأرض فوق الرمل الحار، والعرق يتصبب من جبينه، وقد بل الأرض، فلما رآه على هذا الحال، وقع الخشوع في قلبه، ثم قال: عدلت، فأمنت، فنمت يا عمر، وملكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهرًا خائفًا، أشهد أن دينك هو الدين الحق، ولولا أني أتيت رسولًا لأسلمت، ولكني أعود وأسلم.

أحبتي في الله...

يقول النبي ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِى فَقَدْ أَطَاعَ اللَّـهَ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ عَصَى اللَّـهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِى، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِى**»(١).

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، المنتقم ممن خالفه، المهلك من آسفه، المتوحد في قهره والمنفرد بعز أمره، أحمده حمد شاكر لما أولاه مستقيل مما جناه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة يقين لا شك فيه، وقول إخلاص عما يقول الكافر ويفتريه.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب رسول الله ﷺ...

والحديث عن عدل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يحصى ولا يعد، ولا يمل منه فقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن أنس رضي الله عنه أن الطعام غلا بالمدينة على عهد عمر، فجعل يأكل الشعير، فاستنكره بطنه، فأهوى بيده إلى بطنه، وقال: والله ما هو إلا ما ترى، حتى يوسع الله على المسلمين(٢).

واختصم إلى عمر رضي الله عنه يهودي ومسلم، فرأى الحق لليهودي، فقضى له

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٢) صحيح: مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ١٥٣).

عليه، فقال اليهودي: والله، إنَّ الملكين: جبريل وميكائيل لمعك، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، وإنهما ليتكلمان بلسانك، فعلاه بالدرة.

فقال له: ما يدريك لا أم لك؟ فقال: لأنهما مع كل قاض يقضي بالحق، فإذا ترك الحق، عرجا ووكلاه إلى شيطان الإنس والجن.

فقال عمر: إني لأحسبه كما قال[1].

اللَّهُمَّ اجعلنا من العادلين في جميع أمورنا، اجعلنا عادلين في أقوالنا وأفعالنا.

اللَّهُمَّ ثبتنا على الحق، ووفق ولاة أمورنا إلى الحق والعدل، يا أعدل العادلين ويا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ اجعلنا لكتابك من التالين، ولسنة رسولك عاملين، واغفر ذنوبنا يا رب العالمين، اللَّهُمَّ اغفر لموتانا وموتى المسلمين، اللَّهُمَّ انصرنا على أعدائنا، وانصرنا على شيطاننا، وانصرنا على شهواتنا.

اللَّهُمَّ ثبت أقدامنا يوم تزل الأقدام، وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إمامًا، يا رب العالمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم. وأقم الصلاة.

۞۞۞۞۞

(١) حسن: أخبار القضاة (١/ ٤٥).

الخطبة الحادية والعشرون

شاب نشأ فى عبادة الله

الحمد لله رب العالمين، الذى يطعم ولا يطعم، من علينا فهدانا وسقانا، وكل بلاء حسن أبلانا، الحمد لله الذى أطعم من الطاعم، وسقى من الشراب، وكسا من العرى وهدى من الضلالة، وبصر من الجهالة، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، سبحانك، يا سامعًا لكل شكوى.

يـا خالـق الأكـوان أنـت المرتجى وإلـيك وحـدك ترتقـي صـلواتي

يـا خالقـي مـاذا أقـول وأنـت تعلمنـي وتعلـم حاجتـي وشـكاتي

يا موضع كل شكوى، ويا سامع كل نجوى، ويا شاهد كل بلوى، ويا عالم كل خفية، وكاشف كل بلية، اكشف ما حل بالمسلمين من البلاء، وانصرهم على الأعداء، إنك على كل شيء قدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة عبده، وابن أمته ومن لا غنى به طرفة عين عن رحمته، إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأراضين، ومالك يوم الدين، الذى لا فوز إلا فى طاعته، ولا عز إلا فى التذلل لعظمته ولا غنى إلا فى الافتقار لرحمته.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، أدبه ربه فأحسن تأديبه فهو أحسن الناس خلقًا، وأمثلهم طريقة، وأصدقهم خبرًا، وأعدلهم حكمًا، وأصفاهم صدرًا، وأطهرهم سريرة، وأتقاهم لربه، وأخشاهم لمولاه وأعلمهم بأمته، وأوصلهم لرحمه.

وأشجعهم قلبًا، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وارض الله عن عترته أهل بيته وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب المصطفى ﷺ ...

مرحبًا بكم فى هذا اللقاء الطيب المبارك، وطبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلًا، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم، الذى جمعنا فى هذا اليوم المبارك أن يجمعنا مع حبيبنا ﷺ فى الفردوس الأعلى، إنه ولى ذلك، والقادر عليه.

ولقاؤنا اليوم ما زال موصولًا مع الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، نعيش اليوم مع **«شاب نشأ فى عبادة الله»**.

وخص الشاب دون الصغير أو الكبير، لأن الشاب مظنة غلبة الشهوة فباعث الهوى، والشهوة والانحراف فيه قوى، فإذا لازم العبادة مع ذلك كان أدل على غلبة التقوى.

ومن المقرر عند أهل العلم أنه لا عصمة إلا للأنبياء - عليهم السلام - فلا يمكن أن يوجد مسلم بلا ذنوب، شابًا كان أو غير ذلك، لأن بنى آدم خطاءون لا محالة، كما جاء فى حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْـخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»**(١)، وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه: **«وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّـهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّـهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ»**(٢).

ولكن الخلاف فيما يصدق عليه فضل الشاب الناشئ فى عبادة الله عز وجل فقال بعض أهل العلم: هو الذى منذ صغره وهو فى عبادة الله تعالى، لأن كلمة (نشأ) معناها: ابتدأ، ونما، وتربى.

---

(١) حسن: رواه أحمد ورواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» برقم (٣١٣٩)، و«صحيح الجامع» (٤٥١٥).
(٢) رواه مسلم وغيره.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: شاب نشأ فى عبادة ربه -أى نشأ منذ الصغر وهو فى العبادة- فهذا صارت العبادة كأنها غريزة له، فألفها وأحبها، حتى إنه إذا انقطع يومًا من الأيام عن العبادة تأثر.

قال ابن حجر رحمه الله: زاد حماد بن زيد عن عبيدالله بن عمر رضي الله عنهما: «نشأ فى عبادة الله، حتى توفى على ذلك».

وفى حديث سلمان رضي الله عنه: «أفنى شبابه ونشاطه فى عبادة الله» وقيل: من كان فى شبابه حسناته أكثر، وذنوبه أقل ممن عبد الله تعالى فى آخر عمره.

وإيراد هذه الصنف ضمن السبعة الذين يظلهم الله تعالى، فيه أعظم دلالة على أهمية تربية الأبناء على عبادة الله وحثهم على ما يعينه على ذلك كحلقات تحفيظ القرآن الكريم، والتردد على المساجد، وطلب العلم الشرعى، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والرفقة الصالحة، التى تعينه على ذلك، فإن من شب على شيء، شاب عليه.

عباد الله...

مرحلة الشباب هى مرحلة القوة بين الضعفين، فقد قال الله عز وجل فى كتابه ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً** ﴾ [الروم: ٥٤].

فمرحلة الشباب هى مرحلة الحيوية الدافقة، وسط العمر، وأوسط كل شيء يكون أقواه، كالشمس فى رابعة النهار، الشباب هو مرحلة القوة، ولذلك يسأل الإنسان يوم القيامة عن عمره عامة، وعن شبابه خاصة. ففى حديث الترمذى من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»(١).

---

(١) حسن: رواه الترمذي وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٢٩٩).

لهذا كان على الإنسان أن يهتم بهذه المرحلة، ويعلم أنه مسئول عن هذه الفترة، فينبغى عليه أن ينتهز هذه الفرصة، قال صلوات ربى وسلامه عليه: **«اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»**(١).

أول ما نصح به النبي ﷺ فى هذا الحديث أن يغتنم شبابه قبل هرمه، ولله در السيدة المباركة حفصة بنت سيرين حين قالت: يا معشر الشباب، اعملوا، فإنى رأيت العمل فى الشباب هو القوة، فالشمس لا تملأ النهار فى آخره، كما تملؤه فى أوله.

وفى الشباب كما قال مصطفى صادق الرافعى: فى الشباب تصنع كل شجرة من أشجار الحياة أثمارها، وبعد ذلك لا تصنع الأشجار كلها إلا خشبًا.

وقد عرض لنا القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة النبوية نماذج لشباب هم للإسلام فخر، وللشباب قدوة حسنة، ينبغى على كل شاب أن يتخذ منهم الأسوة والقدوة بدلًا من أن يتأسى بالغربيين، أو بالفنانين، أو بالمطربين والمطربات، أو بهؤلاء المائعين، ومن هؤلاء الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى:

١- **خليل الله إبراهيم** عليه السلام:

إنه نموذج رفض أن تعبد الأصنام، وأنكر على أبيه وقومه قائلًا لهم: ﴿ **مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝** ﴾ [الأنبياء: ٥٢ - ٥٤]. وظل يحاورهم حتى أفحمهم، ثم قال: ﴿ **وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ۝ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ۝** ﴾ [الأنبياء: ٥٧، ٥٨].

---

(١) صحيح: رواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٣٥٥)، و«صحيح الجامع» رقم (١٠٧٧).

فلما جاء القوم ووجدوا آلهتهم قد حطمت، ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝ ﴾ [الأنبياء: ٥٩، ٦٠].

كان سيدنا إبراهيم فتى من الفتيان لم يكن وقتها شيخًا من الشيوخ، قالوا سمعنا فتىً يذكرهم ويهددهم أن يجعلهم جذاذًا أى قطعًا، وقد نفذ تهديده، وجاءوا به ليحاكموه، فسألوه: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٦٢].

فأجابهم ساخرًا ومستهزئًا: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ ﴾ [الأنبياء: ٦٣، ٦٤].

لحظة من اللحظات التى يرجع الإنسان فيها إلى أصل فطرته التى فطره الله عليها، ثم بعد ذلك سألوا الخليل: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٥]، وجرى ما جرى، وتوعدوه بالإحراق، وجمعوا له حطبًا كثيرًا، وأججوا له نارًا هائلة، وقذفوه فيها، لكن الله ﷻ حوّل هذه النار إلى روح ورياحين، وقال لها: ﴿ يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. فهذا شاب أبى أن يستسلم للطواغيت، رفض أن يعبد أحد غير الله ﷻ.

٢- **إسماعيل** عليه السلام:

وهذا نموذج آخر من النماذج الطيبة التى ذكرها لنا القرآن الكريم، شاب مطيع لربه، منفذ لأوامره، وإن كان فيها ما كان من تضحية، حتى ولو كانت التضحية تقديم روحه وحياته طاعة لله، إنه أنموذج للشاب البار بأبويه، الصابر على البلاء والاختبار، لقد أراد الله ﷻ أن يختبر الخليل إبراهيم عليه السلام، وولده إسماعيل عليه السلام، فجاءت الإشارة الإلهية فى المنام: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

انظر إلى روعة أدبه وخلقه ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ لم يدعى أنه بطل، ولم يزعم لنفسه الشجاعة، وإنما وكل ذلك إلى مشيئة الله تعالى وعونه وقدرته.

٣- **يوسف** عليه السلام:

وهذا أنموذج ثالث من الشباب الذين نشأوا فى عبادة الله عز وجل - لقد رفض المعصية حين فتحت له أبوابها، وتهيأت له أسبابها لم يسع هو إليها، وإنما سعت هى إليه، هذا النبى فى شبابه يعتبر مثالًا للمؤمن الصابر، صبر على الشهوة، وصبر على الفتنة، وصبر على السجن، لقد تهيأت له امرأة العزيز التى هى مالكة أمره وهى سيدته، وهو فى بيتها، هى المرأة هى امرأة عزيز مصر، وكبير وزرائها، امرأة ذات منصب وجمال هذه المرأة ولعت بيوسف، وشغفها حبًّا، وتعلقت به، وهى معه فى الصباح والمساء، والغدو والرواح، فتنة دائمة، ليست فتنة عارضة، ولا طارئة والمرأة من شدة شغفها وعشقها خرجت عن طبيعة المرأة، وصرحت له بما تريد منه، غلّقت الأبواب، وهيأت الأسباب، وقالت له: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ [يوسف: ٢٣]، فماذا كان موقف هذا الشاب؟

كان يمكن أن يستجيب لها، وأن يشبع غرائزه معها، وكما يقولون: لا مين شاف، ولا مين درى، ولكنه أبى ورفض، وردعها برادع دينى، فقال لها: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٢٣]، ورادع أخلاقى: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾ [يوسف: ٢٣].

ورادع مصلحى حين قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣]. إننى إن فعلت ذلك أكون قد قابلت الإحسان بالإساءة، فأكون ظالمًا، والظالم لا يفلح، ولم يستجب نبى الله يوسف وكان وقتها شابًّا غريبًا، لم يستجب هوى المرأة ثم جمعت له النسوة، وحصل ما حصل، وبعد أن استخدمت لغة الإغراء، فلم تجدى معه، استخدمت لغة الوعيد والتهديد، عساها أن تفلح، فقالت: ﴿ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [يوسف: ٣٢].

إنها امرأة قادرة، إذا قالت فعلت، زوجها يستجيب لها، فماذا فعل يوسف؟ هنا لجأ إلى ربه، ولاذ بجنابه وقال: ﴿ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ ﴾ [يوسف: ٣٣].

كان يوسف مخيرًا بين محنتين، محنة فى دينه، ومحنة فى دنياه، محنة فى دينه أن يزنى، ويكون من الفاسقين، ومحنة فى دنياه أن يسجن ويكون من الصاغرين، فأى المحنتين يختار؟ اختار يوسف محنة الدنيا على محنة الدين، وقد كان حبيبنا ﷺ يدعو ربه، فيقول: «**وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِى دِينِنَا**»(1).

اختار محنة الدنيا اختار السجن على أن لا يعصى ربه، هذا هو الشاب الذى نشأ فى عبادة ربه فرفض المعصية، واستعلى على شهوات نفسه، واستمسك بالعروة الوثقى.

٤- يحيى عليه السلام:

ومن النماذج التى ذكرها القرآن كذلك للشباب الذى نشأ فى طاعة ربه ومولاه نبى الله يحيى عليه السلام، فهو أنموذج للشاب الطاهر النقى الناشئ فى طاعة ربه: ﴿ **وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا** ﴾ [مريم: ١٢، ١٣]. نبل وعاطفة وطهارة سلوك، وتقوى لله عز وجل، ورأى سديد، وعقل رشيد.

٥- أهل الكهف:

الذين قال الله فيهم: ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى** ﴾ [الكهف: ١٣]، هؤلاء الشباب نشأوا فى طاعة الله عز وجل، ورفضوا أن يسيروا فى ركاب قومهم، ورفضوا أن يتبعوهم فى ضلالهم ووثنيتهم، رفضوا عبادة الأصنام مع قومهم، فربط الله على قلوبهم، وخلد ذكرهم، فجعل الله قصتهم تتلى على مر العصور، حتى الكلب الذى صاحبهم ذكره فى القرآن عدة مرات، قال تعالى: ﴿ **وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ** ﴾ [الكهف: ١٨]. وقال: ﴿ **سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ** ﴾ [الكهف: ٢٢].

---

(١) حسن: رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٦٨)، و«صحيح الترمذي» (٣٥٠٢).

هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، حتى ولو كان هذا الجليس وهذا الصاحب كلبًا من الكلاب.

هؤلاء هم الشباب الذين نشأوا فى طاعة الله، وفى عبادته.

٦- أصحاب رسول الله ﷺ:

هؤلاء الشباب الأمة تحتاج إلى مثل هؤلاء وما أحوج شبابنا إلى أن نتأسى بهذه النماذج الطيبة مثل أبي بكر فهو أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال وكان عمره فى الثامنة والثلاثين وعلىّ بن أبى طالب رضي الله عنه أول من آمن برسول الله ﷺ من الشباب الصغار، كان عمره ثمان سنوات، ويوم أن بات فى فراش الحبيب ليلة الهجرة المباركة كان عمره تقريبًا عشرين سنة، نام فى فراش المصطفى ﷺ ترعاه العناية الإلهية، وتحوطه السكينة، إنه البطل المغوار الذى خاض المعارك كلها بجَدارة.

قتل يوم بدر خمسة عشر رجلًا من صناديد قريش قتل يوم أُحُد اثنين من أبطال قريش، يوم الخندق قتل عمرو بن ود فارس قريش، كان يقال لعمرو «كبش الكتيبة» فلله دره ترعرع وتربى فى بيت النبوة والرسالة، حتى زوجه رسول الله ﷺ سيدة نساء أهل الجنة فاطمة بنت محمد ﷺ هذا الشاب العظيم تشتاق إليه الجنة، قال معلم البشرية ﷺ: **«إِنَّ الْـجَنَّةَ لَتَشْتَاقُ إِلَى ثَلاَثَةٍ: عَلِيٍّ، وَعَمَّارٍ، وَسَلْمَانَ»**[1].

وأسامة بن زيد رضي الله عنه الحب بن الحب لما أمر النبي ﷺ على الجيش كان عمره ثمانى عشرة سنة، وقيل: كان ابن عشرين سنة، وجعل النبي ﷺ وهو فى مرض موته يقول: **«أنفذوا جيش أسامة»** فأرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول له:

---

(١) حسن: رواه الترمذي والحاكم عن أنس، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٥٩٨).

لا تعجل، فإن رسول الله ثقيل، فلم يبرح حتى قبض رسول الله ﷺ فرجع إلى أبى بكر، فخطب أبو بكر فى الناس، ثم قال: والله لأن تخطفنى الطير أحب إلىَّ من أبدأ بشيء قبل أمر رسول الله ﷺ إنه يوم أحد تقدم ليقاتل ويجاهد فى سبيل الله، لكن رسول الله ردّه لصغر سنه، فرجع وقلبه مملوء بالحزن لحرمانه من شرف الجهاد، وعاد أسامة فى غزوة الخندق يعرض نفسه عسى رسول الله ﷺ يقبله مجاهدًا، فأشفق عليه الرسول لما رأى من شوقه للجهاد، فأجازه، فحمل السيف وهو ابن خمس عشرة سنة وقاتل فى غزوة مؤتة تحت لواء أبيه، ورآه وقد قتل، فلله دره من شاب عظيم، نشأ فى طاعة الله.

أحبتى فى الله...

ومن الشباب الذين نشأوا فى طاعة الله، وفى عبادة رب العالمين، وطاعة رسوله - الصحابى الجليل إمام الفقهاء، وكنز العلماء، معاذ بن جبل رضي الله عنه فكان من أفضل شباب الأنصار حلمًا وحياء وسخاء، شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها.

قال عنه النبي ﷺ: «**أَرْحَمُ أُمَّتِى بِأُمَّتِى أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدُّهَا فِى دِينِ اللَّـهِ عُمَرُ وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ وَأَعْلَمُهُمْ بِالْـحَلاَلِ وَالْـحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ...**»[(١)].

وقال عنه ابن مسعود رضي الله عنه: إنَّ معاذ كان أمة قانتًا لله.

وعن عطاء بن أبى رباح عن أبى سلمة الخولانى قال: دخلت مسجد حمص، فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلًا من الصحابة، فإذا فيهم شاب أكحل العينين برّاق الثنايا، ساكت[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي والنسائي عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٩٥).

(٢) حسن: رواه الحاكم (٣/ ٢٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية»(١/ ٢٣٠)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ١٢٥).

فلله دره من شاب كريم عظيم، وغيره وغيره كثير من شباب الصحابة -رضوان الله عليهم- قال ﷺ: **«إنَّ ربك ليعجب للشاب لا صبوة له»** (١).

البر لا يبلى والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان والتائب حبيب الرحمن أو كما قال، ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الذى له الحمد فى الأولى والآخرة، وهو الحكيم الخبير، نحمده ونشكره على نعمه الظاهرة والباطنة، ونستغفره من الذنوب والآثام، ونسأله من فضله فهو الذى لا يخيب سائله، ولا ينسى ذاكره.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهدت بتوحيده الآيات الظاهرة ونطقت بتحميده الأفواه معترفة بأنها عن الثناء قاصرة.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله، الذى جمل الله خلقه وخلقه، وكمل باطنه وظاهره، نبى شق الله له القمر، وجاءت لدعوته الشجرة وظللته الغمامة أنى سار سائرة، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

لقد وقفنا مع شباب نشأوا فى طاعة الله ﷻ، فهؤلاء يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومن الشباب غير الذى ذكرنا كثير كسيدنا الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وسيدنا عبد الله بن مسعود وغيرهم لا يتسع الوقت لذكرهم.

---

(١) جيد: جوّد إسناده الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٨٤٣)، وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وإسناده حسن.

ومعنى لا صبوة له: أي لا ميل له إلى الهوى بحسن اعتياده للخير، وقوة عزيمته في البعد عن الشر.

فنريد من شبابنا أن يتحلى بفضائل أولئك الجيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ هؤلاء هم الذين نصروا الإسلام وأيدوه، ووقفوا بكل ما يملكون وبكل طاقتهم معه، بذلوا النفس والنفيس، والغالى والرخيص فى سبيل نصرة هذا الدين، لم يضنوا عليه بشيء، ولم يبخلوا عليه بمال ولا نفس، كانت هممهم عالية، ليس كما نرى عند شبابنا أصحاب الهمم المنحطة والعزائم الواهنة، والأنفس المخلدة إلى الأرض، المتبعة للشهوات.

الشباب ينبغى أن يتحمل المسئولية، وأن يقود الركب، ينبغى أن لا يضيع عمره فى اللهو واللعب والفراغ، الذى يشكو منه الشباب اليوم، فراغ العقل من العلم والمعرفة، وفراغ القلب من التقوى، وفراغ النفس من الآمال الكبار وفراغ الوقت من العمل والإنتاج.

أين شبابنا اليوم؟ وماذا يشغل الشباب؟ لا نريد من الشباب أن يعيش عالة على المجتمع، كل همة أن يأكل ويشرب، ويلهو ويلعب، ويلبس، ويجلس فى الطرقات والمقاهى، ونريد من الآباء أن يوجهوا الشباب، ويأخذوا بأيديهم إلى الحق، وإلى الصواب، نريد منهم أن يأخذوا على أيدى الشباب الذين يسيرون وراء الشهوات، ويسيرون وراء البنات فى الأسواق، الذين يعاكسون الفتيات فى التليفونات والموبيلات، لأن هذا انحطاط، وأى انحطاط؟!

يقول الشيخ علي طنطاوى رحمه الله: إن دعاة الشر لا يتعبون، ولا يبذلون جهدًا، ولكن التعب، وبذل الجهد على دعاة الخير، فداعى الشر عنده كل ما تميل إليه النفس من العورات المكشوفة والهوى المحرم، أما داعى الخير فما عنده إلا المنع.

ترى البنت المكشوفة، تميل إلى احتلاء محاسنها، فيقال لك، غض بصرك عنها ولا تنظر إليها، يجد التاجر الربح السهل من الربا، يناله بلا كد ولا تعب، فيقال له: دعه وانصرف عنه، ولا تمد يدك إليه.

ويبصر الموظف زميله يأخذ من الرشوة فى دقيقة واحدة ما يعادل مرتبه عن ستة أشهر، فيقال له: لا تأخذها، ولا تستمتع بها.

يقول لهم داعى الخير: اتركوا هذه اللذات الحاضرة المؤكدة، لتنالوا اللذات الآتية المغيبة، إنَّ من عجائب حكمة الله أن جعل مع الفضيلة ثوابها: الصحة والنشاط، وجعل مع الرذيلة عقابها: الانحطاط والمرض.

إخوانى الشباب، عباد الله...

عودوا إلى طاعة ربكم، ومن أذنب، فليعد إلى ربه، وليتب من ذنبه، قال ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ تَعَالَى لِذَلِكَ الذَّنْبِ، إِلاَّ غَفَرَ لَهُ**»[1].

عودوا إلى ربكم، ولا تيأسوا حتى لو أتيتم بملء الأرض خطايا، قال الله ﷻ فى حديثه القدسى الجليل: «**يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِى لاَ تُشْرِكُ بِى شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[2].

رأى سيدنا عيسى عليه السلام عاصيًا، فأخذ بيده إلى بيت المقدس، فلما وصلا إلى بيت المقدس، قال العاصى: يا نبى الله، اتركنى، قال له: لماذا؟ قال: أخشى أن أدنس بيت المقدس، فأوحى الله إلى عيسى عليه السلام: أن أخبر ذلك العاصى أنى تبت عليه، وعزتى وجلالى لكلمته تلك أفضل عندى من عبادة سبعين سنة.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٦٨٠)، و«صحيح الجامع» (٥٧٣٨).

(٢) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٣٨)، وصحيح الترغيب (٣٣٨٢).

اللَّهُمَّ اهد شبابنا وشباب المسلمين، اللَّهُمَّ حبب إليهم الإيمان وزينه فى قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا وإياهم من الراشدين اللَّهُمَّ اجعلنا ممن تعرف إليك فى حال الرخاء، فتعرفت عليه فى حال الشدة.

اللَّهُمَّ ارحمنا فإنك بنا راحم، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر، والطف بنا فيما جرت به المقادير، يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهُمَّ بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، اللَّهُمَّ إنا نسألك النظر إلى وجهك الكريم.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللَّـهُمَّ اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وذهاب همومنا وغمومنا، وجلاء أحزاننا، وسائقنا ودليلنا إلى جناتك جنات النعيم. اللَّـهُمَّ اجعله حجة لنا ولا تجعله حجة علينا. اللَّـهُمَّ ذكرنا منه ما نُسِّينا، وعلمنا منه ما جهلنا. اللَّـهُمَّ ارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا.

إلهنا، اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك، يا رحيم، يا كريم! برحمتك يا أرحم الراحمين!

اللَّـهُمَّ انصر إخواننا المستضعفين في كل مكان. اللَّـهُمَّ انصرهم في يوغسلافيا، وفي كشمير، وفي الهند، وفي أصقاع المعمورة، يا رب العالمين! اللَّـهُمَّ ثبت أقدامهم، وسدد سهامهم، واجمع كلمتهم، والطف بأيتامهم وأراملهم. اللَّـهُمَّ واجعل ما في أيدي أعدائهم غنيمة لهم.

اللَّـهُمَّ وأهلك الكفرة والفجرة الذين يصدون عن سبيلك، ويكذبون رسلك، ويقاتلون أولياءك وعبادك الصالحين. اللَّـهُمَّ وأرنا فيهم عجائب قدرتك. اللَّـهُمَّ وأرنا فيهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين. اللَّـهُمَّ وسلط عليهم الحروب المحرقة، والمصائب المتلاحقة، والزلازل المروعة، والبراكين

المتفجرة، والأمراض المهلكة. اللَّـهُمَّ واجعل بأسهم بينهم. اللَّـهُمَّ مزقهم كل ممزق. اللَّـهُمَّ وأهلك الصرب الصليبيين. اللَّـهُمَّ وأحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تغادر منهم أحدًا.

اللَّـهُمَّ وأقم دولة القرآن في كل مكان. اللَّـهُمَّ وأحينا بها سعداء، أو أَمِتْنا دونها شهداء. اللَّـهُمَّ وارزقنا الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة. اللَّـهُمَّ ولا تردنا خائبين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله يذكركم، وأقم الصلاة.



الخطبة الثانية والعشرون

رجل قلبه معلق بالمساجد

الحمد لله رب العالمين، يا رب...

بــك يــا إلــه العالمــين نمجــد وبــذاتك العلــيا نــدين ونــشهد

أنــا في جــنابك يــا وكــيل طامــع وبهـــذه الدنـــيا قـــنوع زاهـــد

لــك يـــا إلــه العالمــين دعاؤنــا إيَّـــاك نعـــبد والقلـــوب تـــوحد

بـك نـستعين فأنـت عـون يرتجـى نحـــن العبـــيد وأنـــت الـــسيد

إنـــا رضـــينا بالـــشريعة وجهـــة الله رب والرســـــــول محمـــــــد

نحمدك يا ربنا، ونستعينك ونستهديك، ونتوب إليك ونستغفرك، لا نحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، جل وجهك، وعظم سلطانك ولا إله غيرك.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، جعل فى القرآن برهانه ووهب للمؤمنين إحسانه، وفى الجنة رضوانه، وفى النار عذابه، سبحانه سبحانه ذو العرش المجيد، فعّال لما يريد، ذو البطش الشديد، لا ضد له، ولا ند له، كور الليل والنهار، وجعل النور فى الأبصار، وحبب العبادة إلى الأبرار، وأجرى الماء فى الأشجار، وهو الملك الجبار، والقوى القهار.

وأشهد أن سيدنا محمدًا طب القلوب ودواؤها، وعافية الأبدان وشفاؤها ونور الأبصار وضياؤها، النبى الذى علم المتعلمين، والرسول الذى قاد سفينة العالم الحائرة فى خضم المحيط، ومعترك الأمواج، إلى شاطئ الله رب العالمين، علم اللسان كيف يذكر، والقلب كيف يشكر، والجسد كيف يصبر والنفس كيف

تتطهر، وعلم القادة كيف ينصفون والرعية كيف يعفون اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه صلاة تفتح لنا بها يا ربنا أبواب الخير والتيسير وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًّا ونصيرًا، فأنت نعم المولى ونعم النصير.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب رسول الله ﷺ...

ما زال اللقاء موصولًا مع الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وموعدنا اليوم مع صنف آخر من هذه الأصناف المباركة، أولئك الذين كتب الله لهم الفلاح والنجاح، أتدرون من هم إنهم الذين تعلقت قلوبهم بالمساجد قال عنهم الرسول الأعظم، والنبى الأكرم ﷺ: «**وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِى الْـمَسَاجِدِ**»، أى محب للمساجد حبًّا شديدًا، ومن شدة حبه تعلق قلبه بها، وإن كان جسده خارجًا عنها، فالمقصود طول الملازمة بالقلب حتى يعود إليها، ويتردد إلى صلاة الجماعة، والقراءة والذكر فيها.

ويشهد لذلك رواية مسلم الأخرى: «**وَرَجُلٌ مُعَلَّقٌ بِالْـمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ**».

قال النووى رحمه الله: قوله: «**مُعَلَّقٌ فِى الْـمَسَاجِدِ**» وفى بعضها «متعلق» بالتاء وكلاهما صحيح، ومعناها شديد الحب لها، والملازمة للجماعة فيها، ومن كانت هذه صفته فهى دليل على قوة صلته بربه عز وجل، لأن المساجد بنيت لتؤدى فيها الفرائض جماعة، والصلاة صلة بين العبد وربه، فإذا أحبها العبد، وتعلق قلبه بها، كانت دليلًا على أنه يحب الصلة التى بينه وبين الله تعالى.

أحبتى فى الله...

المساجد أماكن يشع فيها نور النبوة، ويلتئم فيها صف الأمة، منزهة عن كل لغو ودنس، ومحفوظة من كل ضرر، ملكها بين المسلمين مشاع، وحقها عليهم

المحبة والإكرام، وعمارتها بصالح الأعمال، ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [التوبة: ١٨].

والمساجد من أحب الأماكن إلى الله ﷻ وأشرفها منزلة، من أحبها لأجل الله كان حبه لها دين وعبادة، وربح وزيادة ومن تعلق قلبه بها، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله تحت عرشه.

إنها تلك البيوت التى أذن الله لها أن ترفع، وعمارها هم الرجال المشهود لهم، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨].

قال أفضل الخلق ﷺ: «خير البقاع المساجد، وشر البقاع الأسواق».

وقال: «الْـمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ»(١).

المسجد هو بيت الله ﷻ الذى نزوره فيه، وكان حقًّا على المزور أن يكرم زائره، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الْـمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللَّـهِ فِي الأَرْضِ، تُضِيءُ لأَهْلِ السَّماءِ كَما تُضِيءُ نُجُومُ السَّماءِ لأَهْلِ الأَرْضِ»(٢).

إنه البيت الذى يزيح المسلم فيه همومه، ويلقى على الله فيه حموله، ويخرج منه منشرحًا واسع الصدر، إنه الملتقى الذى يبحث فيه المجتمع شئونه، ويداوى مرضاه، ويغنى فقراءه، ويرعى أيتامه، ويساعد مساكينه، ويخفف اللوعة عن المحزونين.

---

(١) حسن: رواه الطبراني والحاكم عن ابن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٧١).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله موثقون كما ذكره الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٧).

إنه المكان الذى إذا انتظر فيه المسلم الصلاة، فله أجر المرابط فى سبيل الله قال ﷺ: «**أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»(١).

المسجد يصنع الرجال الصالحون المؤمنون، الأتقياء الأصفياء.

لا يُصنع الأبطال إلا ... في مساجدنا الفساح
في روضة القرآن في ... ظل الأحاديث الصحاح
شعب بغير عقيدة ... ورق يذريه الرياح
من خان «حي على الفلاح» ... يخون «حي على الكفاح»

المسجد مكان كلما ذهبت إليه، كلما ارتفعت درجاتك، وكفر الله عنك سيئاتك، وأعد لك نزلًا فى جنته ودار مقامته، قال ﷺ: «**مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِى الْجَنَّةِ، نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**»(٢).

قال ابن بطال رحمه الله: فيه الحض على شهود الجماعات، والمواظبة على المساجد للصلوات، لأنه إذا أعد الله عز وجل له نزله فى الجنة بالغدو والرواح، فما ظنك بمن يُعد له؟ ويتفضل عليه بالصلاة فى جماعة، واحتساب أجرها والإخلاص فيها(٣).

المسجد هو المكان الذى إذا ذهب إليه المسلم، كان فى ضمان الله عز وجل، قال ﷺ: «**ثلاثة فى ضمان الله عز وجل: رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله عز وجل، ورجل خرج غازيًا فى سبيل الله، ورجل خرج حاجًّا**»(٤).

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي.
(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة.
(٣) شرح ابن بطال (٣/ ٣٥٧).
(٤) صحيح: رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٠٠)، و«صحيح الجامع» (٣٠٥١).

ففى هذا الحديث فضيلة المبادرة إلى الخصال المذكورة، وأن الإنسان المسلم إذا مات على خصلة من هذه الخصال الثلاثة، كان فى ضمان الله بمعنى أنه ينجيه من أهوال القيامة، ويدخله دار السلام، المكث فيها بعد الصلوات من الكفارات، قال ﷺ: :«أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يُكَفِّرُ اللَّـهُ بِهِ الْـخَطَايَا وَيَزِيدُ بِهِ فِى الْـحَسَنَاتِ؟». قَالُوا: بَلَى. قَالَ:«إِسْبَاغُ الْـوُضُوءِ عَلَى الْـمَكْرُوهَاتِ، وَكَثْرَةُ الْـخُطَا إِلَى الْـمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ»(١).

وكما فى حديث الترمذى وأحمد وغيرهما من حديث ابن عباس ﵄ أن رب العزة والجلال سأل رسول الله ﷺ: «يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِى فِيمَ يَخْتَصِمُ الْـمَلأُ الأَعْلَى؟ قَالَ: نَعَمْ، يَخْتَصِمُونَ فِى الْـكَفَّارَاتِ وَالدَّرَجَاتِ. قَالَ: وَمَا الْـكَفَّارَاتُ وَالدَّرَجَاتُ؟ قَالَ: الْـمُكْثُ فِى الْـمَسَاجِدِ، وَالْـمَشْىُ عَلَى الأَقْدَامِ إِلَى الْـجُمُعَاتِ، وإِسباغ الْـوُضُوءِ فِى الْـمَكَارِهِ، - قال: صدقت يا مُحمَّد - وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(٢).

عباد الله...

الذين يعتادون المساجد ويرتادونها، هم المشهود لهم بالإيمان قال ﷺ «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْـمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ. قَالَ اللَّـهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [التوبة: ١٨]»(٣).

لأجل هذا كله حرص السلف الصالح -رضوان الله عليهم- على صلاة الجماعة فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، لأن رسولنا وحبيبنا ومخرجنا

(١) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢٦١٧).
(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي وعبد الرزاق وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩).
(٣) حسن: رواه أحمد في «المسند» (١٠/ ٢١٦) رقم (١١٥٩٣)، وحسنه حمزة الزين، ورواه الترمذي، وابن ماجه والحاكم (١/ ٢١٢)، وضعفه الألباني لأجل دراج.

من الظلمات ﷺ حثنا على صلاة الجماعة، فقال: «صَلاَةُ الرَّجُلِ فِى جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ فِى بَيْتِهِ وَصَلاَتِهِ فِى سُوقِهِ بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْـوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْـمَسْجِدَ لاَ يَنْهَزُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ، لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْـمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْـمَسْجِدَ كَانَ فِى الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاَةُ هِىَ تَحْبِسُهُ، وَالْـمَلاَئِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِى مَجْلِسِهِ الَّذِى صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ»(١).

و قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى لِلَّـهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِى جَمَاعَةٍ، يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»(٢).

براءة من النار، وكلنا يريد النجاة من النار، التى أوقد عليها مولانا ألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى اسودت، فهى الآن سوداء مظلمة -أعاذنا الله وإياكم منها.

إنّ فى وقوف الناس خلف الإمام صفوفًا متراصة مستوية دلالة على وحدة المسلمين وقوة الرابطة بينهم، ألا وهى رابطة العقيدة والدين، التى هى أقوى من روابط النسب، ثم إنّ فى هذا التراص إشارة إلى المساواة بين المسلمين وأن التفاضل إنما يكون بالتقوى، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]، فيقف الغنى والفقير، والقوى والضعيف، والصغير والكبير، والرئيس والمرؤوس فى صف واحد، المنكب حذو المنكب، والقدم حذو القدم، ولربما قبلت الصلاة من الجمع كله إكرامًا لضعيف أشعث أغبر لا يؤبه له.

ثم إن فى انتظام وتقييد حركات المأمومين بالإمام دلالة على وجوب طاعة

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.
(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٤١)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٣٦٥).

القائد المسلم، وأن الطاعة للقائد المؤمن، إنها تكون ذاتية، لا قسرية رغبة لا رهبة، إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

وفى تكرار اللقاء بين أهل الحى الواحد فى الصلاة تحصل المودة والألفة والتعاوف ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

فإذا تغيب مصلٍّ تفقده إخوانه، فإن كان مريضًا، عادوه، أو مسافرًا كفوه مؤونة بيته وأهله، وحموا عرضه، أو كان ذا حاجة أعانوه، أو مات شيعوه، وغير هذا من المنافع العظيمة التى لا يعيها إلا من حافظ على صلاته.

قال النبي ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِى النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِى التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِى الْـعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»(١).

وقال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِى الصَّفِّ الأَوَّلِ، مَا كَانَتْ إِلاَّ قُرْعَةً»(٢).

ومن أعظم أهداف صلاة الجماعة: تقويم السلوك، فصلاة الجماعة عندها من القدرة على تغيير السلوك الإنسانى إلى الأفضل والأحسن، فترى الجزار يعرف بالعنف والغلظة والشدة، لأنه يتعامل مع السكين والدماء.

والمدرس يعرف بارتفاع الصوت، المحامى يعرف بنزعته الجدلية، المتكبر يعرف بمشيته وسلوكه، لكن إذا دخل أى واحد من هؤلاء المسجد، عرف بالهدوء والسكينة والوقار، والتعقل والحلم والأناة، والتواضع، والرفق وحسن الخلق، وقد امتدح هذا السلوك من بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق فقال ﷺ: «إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَلاَ تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَائْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ،

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وغيرهم.
(٢) رواه مسلم وابن ماجه.

فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَاقْضُوا»[١].

إنها تربية المسجد، وتقويم المسجد، وأخلاق المسجد، وسلوكيات المسجد.

أيها المسلمون أحباب المصطفى ﷺ...

كان السلف -رضوان الله عليهم- كانوا أشد الناس حرصًا على المساجد وعلى صلاة الجماعة، فكانوا إذا فاتتهم تكبيرة الإحرام، عزوا أنفسهم ثلاثة أيام وإذا فاتتهم الجماعة، عزوا أنفسهم سبعة أيام[٢].

وكان منهم من يبكى عندما تفوته تكبيرة الإحرام مع الجماعة.

يقول إبراهيم التيمى رحمه الله: إذا رأيت الرجل يتهاون فى التكبيرة الأولى فاغسل يديك منه[٣].

ويقول وكيع بن الجراح عن سليمان بن مهران (الأعمش) -رحمهما الله-: كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة، ولم تفته التكبيرة الأولى.

ما أعظم هؤلاء الرجال، كانت قلوبهم معلقة بالمساجد، انظروا إلى هذا الصحابى الجليل الحارث بن حسان رضي الله عنه تزوج فى ليلة من الليالى فحضر صلاة الفجر مع الجماعة، فقيل له: أتخرج وإنما بنيت بأهلك فى هذه الليلة؟ فقال: إن امرأة تمنعنى من صلاة الغداة فى جماعة لامرأة سوء[٤].

وهذا أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله كان يُحمل وهو مريض إلى المسجد فلله دره من إمام، وليس هذا فحسب، بل كان يأمر بحمله فى اليوم المطير إلى المسجد، حيث كانت تجتمع له رخصتان للتخلف عن المسجد، وهما: المطر والمرض[٥].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٢) تحفة الأحوذي (٢/ ٤٥).
(٣) «حلية الأولياء» (٤/ ٢١٥) لأبي نعيم.
(٤) حسن: رواه الطبراني في الكبير، كما ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٤١).
(٥) «الزهد» لابن المبارك (ص١٤١).

وعن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبى عبد الرحمن السلمى، وهو يقضى -أى ينزع- فى المسجد، فقلنا له: لو تحولت إلى الفراش، فإنه أوثر، قال: حدثنى فلان أنَّ النبي ﷺ قال: **«لا يزال أحدكم فى صلاة ما دام فى مصلاه ينتظر الصلاة»** قال: فأريد أن أموت، وأنا فى مسجدى[١].

كانوا يحرصون عليها كل الحرص، لعلمهم أن الصلاة فى أول وقتها من أحب الأمور إلى الله ﷻ ومن أفضلها، قال ﷺ: **«أحب الأعمال إلى الله ﷻ الصلاة لوقتها»**[٢].

وفى رواية: **«أفضل الأعمال: الصلاة فى أول وقتها»**[٣].

وهذا سيدنا سعيد بن المسيب رحمه الله يقول: ما نظرت فى أقفاء قوم سبقونى بالصلاة منذ عشرين سنة.

وكان يقول: ما دخل عليَّ وقت صلاة إلا وقد أخذت أهبتها، ولا دخل عليَّ قضاء فرض إلا وأنا مشتاق إليه[٤].

وسيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا فاتته العشاء فى جماعة، أحيا بقية ليلته[٥].

وكان عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه كان يسمى حمامة المسجد والربيع بن خثيم رحمه الله كان يقول: إنى لآنس بصوت عصفور المسجد عن أنسى بزوجتى.

ولما أصابه الفالج كان يحمل إلى الصلاة، فيقول له: إنه قد رخص لك فيقول:

---

(١) الطبقات الكبرى (٦/ ١٧٤) لابن سعد.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي عن ابن مسعود.

(٣) حسن: رواه أحمد وأبو داود، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٤) «حلية الأولياء» (٢/ ٩٥، ٩٦) لأبي نعيم.

(٥) المرجع السابق (١/ ٣٠٣)، ورجاله ثقات.

إنه كما تقولون، ولكنه سمعته ينادى: حى على الفلاح، فمن سمع منكم حى على الفلاح، فليجبه، ولو زحفًا، ولو حبوًا[١].

أحبتى فى الله...

يقول الحبيب النبي ﷺ: **«إنَّ المساجد بيوت المتقين، فمن كانت المساجد بيوته، ضمن الله له بالروح والرحمة، والجواز على الصراط إلى الجنة»**، ويقول ﷺ: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدًا كتاب الله وسنتى»**[٢].

أو كما قال: **«التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»**، ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الغنى عن عباده، المبدع لمخلوقاته، المطلع على عبده فى جميع أحواله وأوقاته، أحمده سبحانه وأشكره، وعد بالأجر العظيم للخاشعين من عباده.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، متفرد بعظمته وسلطانه وعطائه، شهادة تنجينا من النيران، وتدخلنا الجنان.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، الناطق بالصواب، والمؤيد بالمعجزات، التى بهرت الألباب، اللَّهُمَّ فصلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه قرناء الكتاب.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب المصطفى ﷺ...

اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وحافظوا على صلاة الجماعة ما استطعتم إلى ذلك سبيلًا، فقد قال حبيبنا ﷺ: **«مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ**

---

(١) الحلية (٢/ ١٣٣).

(٢) صحيح: «الزهد» لهناد بن السري (٢/ ٣٦٢).

يُجِبْ، فَلاَ صَلاَةَ لَهُ إِلاَّ مِنْ عُذْرٍ»(١).

وهذا الصحابى الجليل عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه وقد كان ضريرًا، وهو الذى نزل فيه قوله تعالى: ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝** ﴾ [عبس: ١ - ٣]. هذا الصحابى جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن المدينة كثيرة الهوام والسباع، وأنا ضرير، شاسع الدار -أى بعيد دارى عن المسجد- ولى قائد لا يلائمنى، فهل تجد لي رخصة أن أصلى فى بيتى؟ قال النبي ﷺ له: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ؟**- أي المؤذن -». قَالَ نَعَمْ. قَالَ: «**لاَ أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً**»(٢).

وتبين السنة أن المتخلف عن صلاة الجماعة لغير عذر أو ضرورة تقوم القطيعة بينه وبين ربه، إنه الشقاء بعينه، فعن معاذ بن أنس عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الْـجَفَاءُ كُلَّ الْـجَفَاءِ، وَالْـكُفْرُ وَالنِّفَاقُ، مَنْ سَمِعَ مُنَادِيَ اللَّـهِ يُنَادِي بِالصَّلاَةِ يَدْعُو إِلَى الْـفَلاَحِ وَلاَ يُجِيبُهُ**»(٣).

ولأجل خوف السلف من ذلك كانت قلوبهم دائمًا تهفو وتحن إلى بيوت الله كما يحن الطائر إلى عشه.

فهذا التابعى الجليل عطاء بن أبى رباح -رضى الله عنه ورحمه الله تعالى- يقول عن ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة وكان من أحسن الناس صلاة.

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان وابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، وصححه الألباني في «الترغيب» رقم (٤٢٦)، و«صحيح الجامع» (٦٣٠٠).

(٢) رواه مسلم وأبو داود واللفظ له.

(٣) حسن: رواه أحمد في «مسنده» (١٥٦٦٥)، وحسنه حمزة الزين في «المسند» (١٢/ ٢٥٢)، والطبراني في «الكبير» رقم (١٦٨٠٤)، والهيثمي في «المجمع» (٢/ ٤١)، وضعفه الألباني لأن في إسناده زبان بن فائد ضعفه ابن معين، ووثقه أبو حاتم.

وهذا عامر بن عبد الله بن الزبير، يقول عنه مصعب: سمع عامر المؤذن، وهو يجود بنفسه، فقال: خذوا بيدى، فقيل له: إنك عليل!

قال: أأسمع داعى الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام فى المغرب، فركع ركعة، ثم مات.

فيا لها من خاتمة حسنة، ويا له من حرص على صلاة الجماعة والمسجد، يجود بنفسه، ويصر أن يجيب داعى الله، فيموت بعد أن صلى ركعة، لله درهم من رجال.

أما نحن الآن، فنسمع المؤذن، وهو يقول: حى علىُ الصلاة، ويقول: حى على الفلاح، ولا عذر لنا، لا عذر لنا إلا حب الدنيا.

لا عذر لنا سوى الغفلة، واتباع الشهوات، واتباع الملذات.

ما الذى يشغلنا عن الجماعات؟! ما الذى يشغلنا عن الخطا إلى بيوت رب الأرض والسموات؟! ليس سوى الدنيا الزائفة الفانية.

أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير؟ أتحبون الفانى وتقدمونه على الباقى، رحم الله شيخ الإسلام حماد بن سلمة، الذى مات وهو يصلى فى المسجد، رحم الله من كانت خاتمته فى الصلاة، فى المسجد.

والإمام المزنى رحمه الله صاحب الشافعى، كان رحمه الله إذا فاتته صلاة الجماعة، صلى تلك الصلاة خمسًا وعشرين مرة، وكذا الإمام عمر القواريرى رحمه الله.

فهل آن لنا أن نتشبه بهؤلاء؟! هؤلاء هم الأبطال، هؤلاء هم الرجال.

عباد الله...

البدار البدار بالأعمال الصالحات، وأنتم فى مكان الإمكان، والفرار الفرار من الغفلة والزور والبهتان، ولا تغرنكم الدنيا فحسنها فان، وربحها خسران تزودوا من دار المحال لدار المآل، واستشعروا التقوى فى الأقوال والأفعال واحذروا التفاخر والتكاثر فى الدنيا بجمع الحطام، واكتساب الآثام، واغترار الأمل بطول

الليالى والأيام، فوراءكم المقابر ذات الوحشة والهموم والكربات، وتضايق الأنفاس والأهوال المفزعات، جعلنى الله وإياكم من الآمنين، وجنبنا موارد الظالمين.

اللَّهُمَّ لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، اللَّهُمَّ يا من أودع الكون روعته، وأرسل فى الحياة إبداعها، ونشر فى الأرجاء رحمته، لا تجعلنا من أشقياء الدنيا والآخرة واهد شيبتنا وشبابنا إنك على ما تشاء قدير، اللَّهُمَّ أعز الإسلام وانصر المسلمين، وأذل الشرك، واخذل المشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا سخاءً رخاء وسائر بلاد المسلمين، الطف بنا فيما جرت به المقادير، اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات واجعلنا من الراشدين.

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك. اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، ونعوذ بك من السلب بعد العطاء، ونعوذ بك من عضال الداء. اللَّهُمَّ اجعلنا يوم الفزع الأكبر من الآمنين، واكتبنا في ظل عرشك من المستظلين، واحشرنا في زمرة سيد المرسلين.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك الفوز في العطاء واللطف في القضاء، ونُزُل الشهداء وعيش السُعداء والنصر على الأعداء. اللَّهُمَّ أصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا، واجمع على الخير شملنا، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

اللَّهُمَّ اهدي إلى الخير قلوبنا، واملأ بطاعتك بيوتنا، وبارك لنا في أزواجنا وذرياتنا، واغفر لآبائنا وأمهاتنا، واجعلنا وإياهم من عبادك الصالحين، اللَّهُمَّ ثقل موازيننا بالحسنات، ووفقنا فيما هو آت، يا رفيع الدرجات، يا فاطر الأرض

والسماوات، يا بديع الكائنات، يا عظيم البركات، يا من خشعت له الأصوات، يا من فاضت له العبرات، يا مجيب الدعوات، اللَّهُمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات. الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

أيها الناس...

إِنَّ اللهَ يَأمركُمْ بِثلاثٍ فَاتَبعوهَا، وَينَهاكُم عَنْ ثَلاثٍ فاجْتنِبوهَا، ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وأقم الصلاة.



الخطبة الثالثة والعشرون
ورجلان تحابا فى الله

الحمد لله رب العالمين، ما من يوم ينشق فجره إلا وتشتكى الخلائق كلها من ظلم ابن آدم، فالسماء تقول: يا رب، ائذن لنا أن نطبق عليه، فقد أكل نعمتك ولم يشكر فضلك، وتقول الأرض: يا رب، ائذن لنا أن نخسف به، فقد أكل نعمتك ولم يشكر فضلك، وتقول البحار: يا رب، ائذن لنا أن نغرقه، فقد أكل نعمتك ولم يشكر فضلك، وتقول الشمس: يا رب، ائذن لنا أن نحرقه، فقد أكل نعمتك ولم يشكر فضلك، فماذا يقول رب العالمين جل فى علاه؟

يقول: من الذى خلق عبدى؟ فيقولون: أنت يا رب، فيقول لهم: لو خلقتموه لرحمتموه، دعونى وعبدى، فأنا الذى بيدى خلقته، وعلى أرضى حملته، وتحت سمائى ظللته، ومن ماء أرويته، ومن رزقى غذيته، فهو عبدى وأنا ربه، إن تاب إلَيَّ قبلته، وإن أعرض عنى ناديته: إلى أين تذهب، ألك ربٌّ غيرى؟

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، بيده كل شيء، بيده الإعطاء والمنع، والحب والبغض، والإيجاد والإعدام، والعزة والذلة، ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا محمدًا عبد الله ورسوله سيد الأولين والآخرين من اتبع هديه، وترسم خطاه، وثبت على منهجه، لم يحزنه الفزع الأكبر وتتلقاه الملائكة بالبشرى، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه صلاة

تفتح لنا بها يا ربنا أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها يا ربنا وليًّا ونصيرًا، فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

ثم أما بعد...

أيها الأحبة الكرام...

طبتم وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلًا، وأسأل الله جل فى علاه الذى جمعنا فى هذا اليوم المبارك، وفى هذا المسجد المبارك أن يجمع بيننا وبين حبيب قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء همنا وحزننا سيدنا محمد ﷺ فى الفردوس الأعلى، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

أحبتى فى الله...

ولقاؤنا اليوم مع صنف آخر من الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، موعدنا مع: **«ورجلان تحابا فى الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه»**.

الحب فى الله عبادة من أعظم العبادات، وقد غفل عنها الناس فى هذا الزمان، مع أننا فى أمس الحاجة إلى تلك العبادة العظيمة فى كل وقت وحين وفى عصرنا أشد.

والحب عمل قلبى، وهو من طبيعة الإنسان، لذلك كان موجودًا منذ وجد الإنسان على ظهر الأرض، وستظل المحبة ما بقى هذا الإنسان على وجه الأرض ولما كان الحب فى الله بهذه المنزلة، جعله الرسول ﷺ من كمال الإسلام فقال ﷺ: **«مَنْ أَحَبَّ لِلَّـهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّـهِ، وَأَعْطَى لِلَّـهِ، وَمَنَعَ لِلَّـهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ»**[١].

وليس الحب فى الله من كمال الإيمان فقط، بل هو من أوثق عرى الإيمان، كما

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٦٥).

قال الرسول الأعظم، والنبى الأكرم ﷺ: **«إنَّ من أوثق عرى الإيمان: الموالاة فى الله، والمعاداة فى الله، والحب فى الله، والبغض فى الله»** [(١)].

بل إن بها يذوق المؤمن حلاوة إيمانه بربه ومولاه، كما قال أعظم حبيب لنا ﷺ كما فى الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه: **«ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْـمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّـهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْـكُفْرِ بَعْدَ أن أَنْقَذَهُ اللَّـهُ منه، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»** [(٢)].

هذا الصنف من الناس يكرمهم الله ﷻ فى الدنيا وفى الآخرة، فى الدنيا يتلذذون بحلاوة الإيمان، فقد قال النبي ﷺ: **«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ، فَلْيُحِبَّ الْـعَبْدَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ»** [(٣)].

وحلاوة الإيمان، استلذاذ الطاعات، وتحمُّل المشقات فى رضا رب الأرض والسموات، للإيمان حلاوة لا يتذوقها إلا من كان لذلك أهلًا.

وحلاوة الإيمان لها ثمن، وثمنها الحب فى الله، وهذا معناه أن المؤمن يبنى علاقاته بإخوانه على أساس الإيمان، يوالى المؤمنين، ولو كانوا ضعافًا وفقراء ويبغض العصاة والمشركين، ولو كانوا أقوياء أغنياء، وحقيقة الحب فى الله: أن لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء.

الأخوة التى يتذوق بها حلاوة الإيمان تكون ملازمة للتقوى، قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

---

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، والحاكم وابن أبي شيبة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٣٩).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس.

(٣) حسن: رواه أحمد والبزار والبيهقي وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٥٨).

وأما فى الآخرة فهم فى نعيم مقيم لا ينفذ أبدًا، وأول هذا النعيم أنهم يظلون تحت عرش الرحمن، يوم لا ظل إلا ظله، قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّـهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ: أَيْنَ الْـمُتَحَابُّونَ لِجَلاَلِي، الْـيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِى ظِلِّي، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي**»(١). وقال: «**إِنَّ الْـمُتَحَابِّينَ فِي اللَّـهِ فِي ظِلِّ الْـعَرْشِ**»(٢).

بل إن المتحابين فى الله جل فى علاه فى منزلة عالية، ومكانة سامية عند الله ﷻ يوم القيامة بحيث إذا رآهم الأنبياء والشهداء فى منازلهم، وشاهدوا قربهم وكرامتهم عند الله، ودوا لو كانوا ضامين لخصالهم فيكونون جامعين بين الحسنيين، وفائزين بالمرتبتين، وفى ذلك يقول الله ﷻ فى حديثه القدسى الجليل: «**الْـمُتَحَابُّونَ فِى جَلاَلِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**»(٣). فمع جلالة قدرهم، ونباهة أمرهم أى الأنبياء والشهداء يستحسنون أحوالهم.

وفى حديث قدسى آخر يقول فيه رب العزة والجلال: «**حَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وحَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وحَقَّتْ مَحَبَّتِى للمُتناصحين فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، المُتحابُون فِيَّ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ والشُّهداء**»(٤).

بل تأملوا حالهم فى قول الرسول الكريم، والنبى العظيم ﷺ: «**إن من عباد الله لعبادًا يغبطهم الأنبياء والشهداء**».

---

(١) رواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» وأحمد وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٣٧).

(٣) صحيح: رواه الترمذي وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣١٢).

(٤) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» والطبراني في الكبير، والحاكم، والبيهقي في «شعبه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٣١).

قيل: من هم يا رسول الله، لعلنا نحبهم؟ قال: «**هم قوم تحابوا بروح الله على غير أموال ولا أنساب، وجوههم نور، وهم على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم تلا: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾** [يونس: ٦٢]»[1].

وفى رواية: «**هم ناس من أفناء الناس، ونوازع القبائل، لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا فى الله ﷻ وتصافوا، يضع الله ﷻ لهم منابر من نور ليجلسهم عليها، فيجعل وجوههم نورًا، وثيابهم نورًا، يفزع الناس يوم القيامة، ولا يفزعون، وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**»[2].

وذكر أبو نعيم فى حلية الأولياء قول كعب الأحبار: فى الجنة عمود من ياقوتة حمراء فى أعلاه سبعون غرفة، هى منازل المتحابين فى الله، مكتوب فى جباههم المتحابون فى الله، إذا أشرف الرجل منهم على أهل الجنة، أضاء لأهل الجنة، كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، فيقولون: هذا الرجل من المتحابين فى الله[3].

عباد الله...

أعلى الحب فى الله أن يحب المرء لله فى الله، لا لينال منه علمًا أو عملًا أو يتوسل به إلى أمر من الأمور الدنيوية، فهذا أعلى الدرجات.

جاء فى صحيح مسلم قال النبي ﷺ: «زار رجلٌ أخًا له فى قرية، فأرصد الله ملكًا على مدرجته - أى هيأ على طريقه ملكًا - وأقعده يرقبه، والمدرجة يعنى الطريق، وسمى بذلك لأن الناس يدرجون فيها يعنى يمشون.

فقال له الملك: «أين تريد؟ قال: أريد أخًا لى فى هذه القرية، فقال: هل له

---

(١) حسن: رواه أحمد وابن المبارك في «الزهد» وأبو يعلى والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.
(٢) حسن: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» وابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٢٣٨) رقم (٧١٠).
(٣) «حلية الأولياء» (٥/ ٨٠) لأبي نعيم.

عليك من نعمة تربها- أى هل لك من حق واجب عليه من النعم الدنيوية تقوم وتسعى فى صلاحها، وتحفظها وتراعيها؟ قال: لا، إلا أنى أحبه فى الله، فليس هناك سبب ولا داعى لزيارته، إلا أنى أحبه لله، وفى الله، قال الملك: فإنى رسول الله إليك، أن الله أحبك كما أحببته»[١].

ومعلوم أن محبة الله للعبد تجلب محبة الملأ الأعلى أجمعين، مع القبول فى الأرض ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إِذَا أَحَبَّ اللَّـهُ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ إِنَّ اللَّـهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّونَهُ، ثُمَّ يَضَعُ اللَّـهُ لَهُ الْـقَبُولَ فِي الأَرْضِ»**[٢].

ويحشر المرء مع من أحب يوم القيامة، إذا كان يوم القيامة، إذا حقت الحاقة ووقعت الواقعة، وزلزلت الأرض زلزالها، ودنت الشمس من الرءوس، فحدث ولا حرج عن المتحابين فى الله بجلال الله، يظلهم فى عرشه، ويدنيهم من جواره، لأن الحب فى الله لما كان لله دام بدوامه، وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله، انقطع وانفصم، قال ﷺ: **«ثَلاَثٌ أَحْلِفُ عَلَيْهِنَّ، لاَ يَجْعَلُ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الإِسْلاَمِ كَمَنْ لاَ سَهْمَ لَهُ، فَأَسْهُمُ الإِسْلاَمِ ثَلاَثَةٌ: الصَّلاَةُ، وَالصَّوْمُ، وَالزَّكَاةُ، وَلاَ يَتَوَلَّى اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا فَيُوَلِّيهِ غَيْرَهُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ** - والشاهد في الحديث هذه التي نذكرها -، **وَلاَ يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلاَّ جَعَلَهُ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُمْ»**[٣].

وسأل أعرابى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف تقول فى رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم؟ فقال: **«الْـمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»**[٤].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.
(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» والنسائي والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٢١)، و«الصحيحة».
(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

وفى رواية عن أنس رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: «**مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**»، قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله، قال: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»(١).

قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بها -أى بهذا الحديث-.

أيها الأحبة الكرام ...

ليطرح كل منكم هذا السؤال على نفسه، وليجعل جوابه سرًّا بينه وبين نفسه، ليسألها: أحقًّا تحبين الله ورسوله؟ أحقًّا تحبين الصحابة -رضوان الله عنهم- مهاجرين وأنصارًا؟ إن كان جوابك لنفسك: نعم، فانظر فى أحوال نفسك لتعرف هل نفسك صادقة فى الجواب، أم زائفة؟

وقد كان خالد بن معدان رحمه الله قلما كان يأوى إلى فراشه، إلا وهو يذكر شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم يسميهم ويقول: هم أصلى وفصلى، وإليهم يحن قلبى، طال شوقى إليهم، فجعل قبضى إليك، حتى يغلبه النوم.

قال لى أحدهم يومًا: إنى أحب المطرب الفلانى، أو الفنان فلان، فقلت له: أتحب أن تحشر معه فى الآخرة؟!

اختاروا -أحبتى فى الله- من يسركم فى القيامة أن يكونوا معكم، وتكونوا معهم، ابتعدوا عن طريق الذين يصدون عن ذكر الله، الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا، تبرءوا من الفسقة الفجرة، حتى لا يجمعكم الله بهم، اتركوا الاختلاط بهم، اتركوا التشبه بهم، قال الله عز وجل: ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ** ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٣].

(١) متفق عليه.

قال العلماء: فى هذه الآية دليل على وجوب هجران أهل الكفر والمعاصى، وأهل البدع والأهواء، فإن صحبتهم معصية، لأن الصحبة لا تكون إلا عن مودة.

فالذى يحب الراقصة الفلانية، والممثلة الفلانية، والممثل والفنان الفلانى فسوف يكون معه يوم الحشر والنشور، الذى تحبه سيكون معك، تحب اللاعب أو الكابتن الفلانى، ستحشر معه يوم القيامة، إذا أحببت أصحاب رسول الله ﷺ إذا أحببت أبا بكر وعمر وعثمان وعلى، وطلحة، وأبو عبيدة، ومعاذ بن جبل، وغيرهم، كنت معهم يوم القيامة.

قال فضيل بن غزوان: أتيت أبا إسحاق بعدما كف بصره، قال: قلت: تعرفنى؟ قال: فضيل؟ قلت: نعم، قال: إنى والله أحبك، ولولا الحياء منك، لقبلتك، فضمنى إلى صدره، ثم قال: حدثنى أبو الأحوص عن عبد الله، عن قوله: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٣]. نزلت فى المتحابين.

وكان أبو العالية إذا دخل عليه أصحابه يرحب بهم، ويقرأ: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إنى لأخرج وما لى حاجة إلا أن أسلم على الناس ويسلمون علىَّ، الله أكبر، حب فى الله، يحب المسلمين، ويحب رؤيتهم قال الأوزاعى: كتب إلىَّ قتادة من البصرة: إن كانت الدار فرقتنا، فإن ألفة الإسلام بين أهلها جامعة.

الحب فى الله، والبغض فى الله، والموالاة فى الله، والمعاداة فى الله، الحب فى الله أن تحب الله تعالى ورسوله، وتحب بحبهما المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥].

لقى أبو لبابة مجاهدًا -رحمهما الله تعالى- فأخذ بيده، فقال: إذا تراءى المتحابان

فى الله، فأخذ أحدهما بيد صاحبه، وضحك إليه، تحاتت خطاياهما، كما يتحات ورق الشجر.

وعن على رضي الله عنه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧] قال: خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فتوفى أحد المؤمنين، وبشر بالجنة، فذكر خليله، فقال: اللَّهُمَّ إن فلانًا خليلى، كان يأمرنى بطاعتك، وطاعة رسولك، ويأمرنى بالخير، وينهانى عن الشر، وينبئنى أنى ملاقيك، اللَّهُمَّ فلا تضله بعدى، حتى تريه مثل ما أريتنى، وترضى عنه كما رضيت عنى.

فيقال له: اذهب فلو تعلم ماله عندى لضحكت كثيرًا، ولبكيت قليلًا، قال: ثم يموت الآخر، فتجتمع أرواحهما، فيقال: ليثن أحدكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: نعم الأخ، ونعم الصاحب، ونعم الخليل[1].

أحبتى فى الله...

يقول النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة، يا رسول الله؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى**». أو كما قَالَ: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين أحمده وأستعينه وأستهديه، ونستغفره من الذنوب والآثام.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له فى ملكه، ولا مناوئ له فى علو شأنه، سبحانه هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٨)، وابن أبي حاتم (١٢/ ٢١١)، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ١٦٤).

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، سيدى يا رسول الله، أشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة وكشف الله بك الغمة، وجاهدت فى الله حق جهاده حتى أتاك اليقين، صلوات ربى وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله، وعلى آلك وصحبك وذريتك وأتباعك إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها الأحبة فى الله...

إن مما يوطد العلاقة بين الأخ وأخيه، إذا كان يحبه فى الله، أن يخبره بأنه يحبه، فعن أنس رضي الله عنه أن رجلًا كان عند النبي ﷺ فمر به رجل آخر، فقال: يا رسول الله: إنى لأحب هذا، فقال له رسول الله ﷺ: «**أأعلمته**؟ قال: لا، قال: «**أعلمه**» فلحقه فقال: إنى أحبك فى الله، فقال: أحبك الذى أحببتنى له(١).

و قال ﷺ: «**إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ**»(٢).

فهو أبقى للألفة، وأثبت للمودة، وبه يتزايد الحب، ويتضاعف، وتجتمع الكلمة، وينتظم الشمل بين المسلمين، وتزول المفاسد والضغائن، وهذا من محاسن الشريعة.

وإخبار المحب لمن يحبه على سبيل الندب، لأن المحبوب يجد مثل الذى يجد له، فيحبه بالطبع، فإن القلب لا يحب إلا من يحبه.

يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ما شاه
وللشيء على الشيء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

(١) حسن: «صحيح سنن أبي داود» للألباني (٥١٢٥).

(٢) صحيح: «صحيح سنن أبي داود» (٥١٢٤)، و«صحيح سنن الترمذي» (٥٢١٥).

وأنشد بعضهم:

سلوا عن مودات الرجال قلوبكم فتلك شهود لم تكن تقبل الرشا
ولا تسألوا عنها العيون فإنها تشير بشيء ضد ما أضمر الحشا

وأقل درجات الأخوة أن تعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به، فقد قال الحبيب ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[١].

خرج إبراهيم بن أدهم رحمه الله في سفر، ومعه ثلاثة نفر، فدخلوا مسجدًا خربًا فى بعض المفاوز، وكان الجو باردًا، وليس للمسجد باب، فلما ناموا قام إبراهيم، فوقف على الباب، سبحان الله! لقد جعل جسده بابًا، حتى لا يدخل البرد عليهم فيؤذيهم، وظل هكذا حتى الصباح، فقيل له: لم لم تنم؟ فقال لهم: خشيت أن يصيبكم البرد، فقمت مقام الباب.

وجاء رجل من السلف -رضوان الله عليهم- إلى بيت صديق له، فخرج إليه، فقال: ما جاء بك؟ فقال: عليَّ أربعمائة درهم، فدخل الدار فوزنها، ثم خرج فأعطاه، ثم عاد إلى الحجرة يبكى، فقالت له زوجته: هلاَّ تعللت له مادام إعطاؤه يشق عليك؟! فقال لها: والله ما أبكى لذلك، ولكنى بكيت لأنى لم أتفقد حاله، حتى احتاج أن يقول لى ذلك.

يا الله، إنه يبكى حزنًا من نفسه أنه لم يسأل عليه، فيعرف حاله، فيعطيه دون أن يسأله.

فأين نحن من هؤلاء الكرام؟ أين نحن من هذا الحب العظيم الذى ملأ قلوبهم بالبر والخير والرحمة؟ أين نحن من عصرنا الذى طغت فيه الماديات، والشهوات عصر المصالح، عصر النفاق والخداع إلا من رحم ربى، وإذا ما ذكرنا

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه والنسائي عن أنس.

هؤلاء الرجال، يقال: إن العصر قد تغير، والزمان قد تبدل، لكنى أقول كما قال الشاعر الحكيم:

نعـيب زمانـنا والعـيب فيـنا ... ولـيس لـزماننا عـيب سـوانا
ولـيس الـذئب يأكـل لحـم ذئـب ... ويأكـل بعـضنا بعـضًا عـيانًا

لقد كانت مرتبة الحب فى الله والأخوة الصادقة عندهم عظيمة، لدرجة أن الأخ المحب يفدى أخاه بنفسه، خرج أبو بكر القرطبى وأبو عمرو الآدمى -رحمهما الله- وكانا متآخيين متحابين فى الله ولله، خرجا من بغداد يريدان الكوفة، فلما سارا فى الطريق إذا بسبعين رابضين فى الطريق، فقال أبو بكر لأبى عمرو: أنا أكبر منك سنًّا، فدعنى أتقدمك، فإن حدث شيء -أى هجوم منهما علىَّ- اشتغلا بى عنك، فجز أنت الطريق، فقال له أبو عمرو: نفسى ما تسامحنى بهذا، ولكن نكون جميعًا فى مكان واحد، فإن حدث هجوم منهما كنَّا جميعًا، وبفضل صدق المحبة التى ملأت قلبيهما جازا معًا بين السبعين دون أن يتحركا، فمرا سالمين.

أحبتى فى الله...

وهذا الذى ذكرناه غيض من فيض من أمثلة الذين تحابوا فى الله من غير أرحام بينهم، لقد كان أحدهم يقول: إذا طلبت من أخيك مالًا، فقال له: ماذا تصنع به؟ فقد ترك حق الإخاء.

لكن بالمقارنة نجد فرقًا شاسعًا، كما بين السماء والأرض، هم كانوا كما قال الشاعر الحكيم:

إن أخـاك الـصدق مـن كان معك ... ومـن يـضر نفـسه ليـنفعك
ومـن إذا ريـب الـزمان صـدعك ... شـتت فـيك شـملة لـيجمعك

لكن حالنا كما قال الشاعر:

كـم من عدو لأجل المال صادقني ... وكـم مـن صديق لفقد المال عاداني

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يؤلف بين قلوب المؤمنين، اللَّهُمَّ ألف بين قلوبنا، وأصلح فساد قلوبنا، اللَّهُمَّ آثرنا ولا تؤثر علينا، اللَّهُمَّ كن لنا ناصرًا ومؤيدًا، وكن بنا رؤوفًا رحيمًا يا خير المسئولين، نشكو إليك ضعف قوتنا وقلة حيلتنا يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربنا إلى من تكلنا؟ إلى عدو يتجهمنا؟ أم إلى ظالم ملكته أمرنا.

اللَّهُمَّ اقض حوائجنا، وفرج كروبنا، واغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، وتب علينا، واكلأنا بعين رعايتك، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها، وارحمنا برحمتك الواسعة، وأغننا بك عمن سواك، يا أرحم الراحمين.

اللَّـهُمَّ أصلح أحوالنا، واختم بالصالحات أعمالنا وآجالنا. اللَّـهُمَّ اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاك وأنت راضٍ عنا. اللَّـهُمَّ أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واهدنا اللَّـهُمَّ لما اختلف فيه من الحق بإذنك، وأخرجنا من الظلمات إلى النور برحمتك يا أرحم الراحمين!

اللَّـهُمَّ اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا رخاءً وسائر بلاد المسلمين، وأصلح اللَّـهُمَّ أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين! اللَّـهُمَّ وفق ولاة أمورنا لهداك، وارزقهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتحثهم عليه يا سميع الدعاء!

اللَّـهُمَّ احفظ ديار المسلمين من كل سوء ومكروه. اللَّـهُمَّ رد كيد الكائدين، وادفع شرور المعتدين، وسلم ديار المسلمين، واحقن دماءهم، واحفظ أعراضهم وأموالهم يا رب العالمين، اللَّـهُمَّ رد كيد الأعداء في نحورهم، واشغلهم في أنفسهم، واجعل الدائرة عليهم، لا ترفع اللَّـهُمَّ لهم راية، ولا تبلغهم غاية، واجعلهم اللَّـهُمَّ لمن خلفهم آية، وأنزل اللَّـهُمَّ بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبي محمد ﷺ وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تضنعون.

الخطبة الرابعة والعشرون
ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال

الحمد لله رب العالمين، رضى الإسلام لعباده دينًا، ونصب الأدلة على ألوهيته، وبينها تبيينًا، وكفى بربك هاديًا ومعينًا، سبحانه سبحانه، لم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك فى الملك، وكبره تكبيرًا يعطى ويمنع، ويخفض ويرفع، ويوصل ويقطع، ولا يُسأل عما يقضى ويصنع، لا شريك له فى ملكه، ولا ند له فى حكمه، ولا ظهير له ولا وزير، ولا شبيه له ولا نظير، ذلت الجبابرة لعزته، وانكسرت النفوس لهيبته، وخشعت الأصوات لعظمته.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، خالق المخلوقات، ومحيى الأموات، وجامع الشتات، الأرباب عبيده، والملوك خدمه والأغنياء فقراؤه، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، هو الأول فلا شيء قبله، وهو الآخر فلا شيء بعده، وهو الظاهر فلا شيء فوقه، وهو الباطن فلا شيء دونه.

وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبد الله ورسوله، أرسله ربه لإنفاذ أمره، فأيده بالحجج الباهرة، والمعجزات الظاهرة، يأتى إليه أعرابى، وقد اصطاد ضبًّا من الصحراء فى كمه، فأتى به ورمى به فى حجر المصطفى ﷺ وقال له: يا محمد، لن أؤمن بك إلا إذا آمن هذا الضب، فسأل رسول الله ﷺ الضب «يا ضب، من تعبد؟» قال: أعبد الله الذى فى السماء عرشه، وفى الأرض مملكته، وفى البحر سبيله، قال: «من أنا؟» قال: أنت رسول الله، أفلح من صدقك، وخاب وخسر من كذبك، فقال الأعرابى: ضب اصطدته بيدى يشهد لك بالنبوة والرسالة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.

اللَّهُمَّ صلِّ عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون . . أحباب رسول الله ﷺ . . . .

فى بداية هذا اللقاء الطيب المبارك أوصيكم ونفسى بتقوى الله ﷻ فإنه قد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وما زال لقاؤنا موصولًا مع الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، من هذا الصنف؟ إنه صنف تقى نقى، ورع، قال عنه الحبيب المصطفى ﷺ: «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ**(١)**، فَقَالَ: إِنِّى أَخَافُ اللَّـهَ**»(٢).

---

(١) وخص المنصب والجمال لشدة رغبة الناس فيهما، وحرصهم عليهما، وصعوبة حصولهما. قال القرطبي رحمه الله: وامتناعه لذلك دليل على عظيم معرفته بالله تعالى وشدة خوفه من عقابه، ومتين تقواه، وحيائه من الله تعالى، وهذا هو المقام اليوسفي انظر المفهم حديث رقم (٨٩٩).

(٢) والدواعي هنا ثلاثة:

١ - أنها هي التي طلبته لفعل الفاحشة.

٢ - أنها ذات منصب أي أصل وشرف ومال.

٣ - أنها ذات جمال، ولا يمتنع عن ذلك مع وجود هذه الدواعي إلا قلبًا عظم فيه الخوف من الله.

وفى رواية: «**وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ**».

أى دعته هذه المرأة الجميلة إلى فعل الفاحشة بها، فقال لها: إنى أخاف الله رب العالمين على سبيل الاعتذار إليها، أو ليزجرها عن الفاحشة، إنه رجل عفيف، رغم أنها فاتنة بجمالها.

العفة والطهر والشرف والفضيلة سمات بارزة ومعانى ظاهرة، وأصول ثابتة فى نفسية المؤمن والمؤمنة، عمل على تأصيلها وتأسيسها الخوف من الله ﷻ، والعفة هى البعد عن الحرام، فالمسلم يعف يده ورجله وعينه وأذنه وفرجه عن الحرام، فلا تغلبه شهوته.

وأعظم مثال، وأكرم قدوة للعفة، تلك التى سطرها القرآن الكريم لنبى الله يوسف عليه السلام، فقد نشأ نبى الله يوسف عليه السلام محاطًا بعطف أبيه يعقوب عليه السلام، فحسده إخوته، وأخذوه وألقوه فى بئر عميقة فجاءت قافلة إلى البئر، فوجدت يوسف، فأخذته، وذهبت به إلى مصر، ليبيعوه فى سوق العبيد، فاشتراه عزيز مصر، لأنه رأى فيه من كرم الأصل، وجمال الوجه،ونبل الطبع، فقد وصفه النبي ﷺ حين رآه ليلة الإسراء والمعراج، فقال: «**أُعْطِيَ يُوسُفُ شَطْرَ الْـحُسْنِ**»[1].

فطلبت امرأة العزيز أن تكرمه، وتحسن إليه، فكبر يوسف، وصار شابًا قويًا جميلًا، فأعجبت به امرأة العزيز، ووسوس لها الشيطان أن تعصى الله معه، فانتظرت خروج العزيز، وقامت بغلق الأبواب، غلقًا محكمًا، وهيأت نفسها، ثم دعته للوقاع بها، وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف فقال ﷻ: ﴿ **وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣** ﴾ [يوسف: ٢٣].

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٧٣)، و«الصحيحة» (١٤٨١).

لقد كان مثالًا للعفة فى أجل معانيها، فكل الظروف من حوله تدفعه دفعًا قويًا إلى الفاحشة، فقد كان شابًا عزبًا، وقد كان غريبًا، والغريب لا يستحى من الناس، لأنهم لا يعرفونه، وقد كان عبدًا لها، والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر، وهى سيدته، وهى الآمرة، فدافع الشهوة أكبر حين تكون المرأة طالبة، وهى حسناء جميلة، وقد غاب الرقيب، وغلقت الأبواب، وهى تهدده بالسجن، إن لم يفعل، وتكرر التهديد منها أكثر من مرة.

ومع هذا كله لم يعبأ نبى الله يوسف عليه السلام، بل صار كالجبل الأشم، صبر وعف، حتى صار يضرب به المثل فى العفة، والخوف من الله عز وجل، لدرجة أنه قال: ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣].

إنَّ الإغراء بالشهوة يسقط أمام عبودية الله جل وعلا، نعم، فكيف به يرضى بمتعة زائلة، وهو يحلم بالحور العين.

وقد ذكر لنا النبي ﷺ أن العفة تنفع صاحبها وقت الشدة، ففى صحيح البخارى من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْـمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْـجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْـغَارَ فَقَالُوا إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللَّـهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ** - أي أصابها جدب وقحط - **فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْـخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ. فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْـوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهْيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْـخُرُوجَ مِنْهَا...**»[١].

---

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

إن إجلال الجبار، ثم الرغبة فى الحور الحسان فى دار القرار، فإن من صرف استمتاعه فى هذه الدار على ما حرم الله عليه، منعه من الاستمتاع بالحور العين هناك يوم القيامة.

قال عبيد بن عمير: من صدق الإيمان وبره أن يخلو الرجل بالمرأة الحسناء فيدعها، لا يدعها إلا لله ﷻ[1].

وقال مالك بن دينار: جنات النعيم بين جنات الفردوس، وبين جنات عدن فيها جوارٍ خلقن من ورد الجنة، قيل: ومن يسكنها؟ قال: الذين هموا بالمعاصى فلما ذكروا عظمة الله راقبوه، والذين انثنت أصلابهم من خشيته.

عباد الله...

ولقد ضرب سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- المثل الأعلى والقدوة الصالحة فى العفة فقد خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجّين من المدينة، ومعهما أصحاب لهم، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلًا. فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم وبقى عطاء بن يسار قائمًا فى المنزل يصلى.

قال: فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجةً فأوجز فى صلاته، ثم قال: ألك حاجة؟ قالت: نعم.

قال: ما هى؟ قالت: قم فأصب منى فإنى قد ودِقتُ ولا بعل لى فقال: إليك عنى لا تحرقينى ونفسك بالنار.

ونظر إلى امرأة جميلة، فجعلت تراوده عن نفسه ويأبى إلا ما يريد.

قال: فجعل عطاء يبكى ويقول: ويحك إليك عنى.

قال: اشتد بكاؤه فلما نظرت المرأة إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه.

(١) «ذم الهوى» (ص٢٤٤) لابن الجوزي.

قال: فجعل يبكى والمرأة بين يديه تبكى.

فبينما هو كذلك إذا جاء سليمان من حاجته فلما نظر إلى عطاء يبكى والمرأة بين يديه تبكى فى ناحية البيت بكى لبكائهما لا يدرى ما أبكاهما وجعل أصحابهما يأتون رجلًا رجلًا كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكى لبكائهم لا يسألهم عن أمرهم حتى كثر البكاء وعلا الصوت.

فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت.

قال: فقام القوم فدخلوا.

فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالًا له وهيبة.

قال: وكان أسنَّ منه.

قال ثم أنهما قدما مصر لبعض حاجتهما فلبثا بها ما شاء الله فبينا عطاء ذات ليلة نائم إذ استيقظ وهو يبكى فقال سليمان: ما يبكيك يا أخى؟

قال: فاشتد بكاؤه.

قال: ما يبكيك يا أخى؟ قال: رؤيا رأيتها الليلة.

قال: وما هى؟ قال لا تخبر بها أحدًا ما دمتُ حيًا: رأيت يوسف النبي ﷺ فى النوم فجئت أنظر إليه فيمن ينظر إليه فلما رأيت حسنه بكيت فنظر إلىّ فى الناس فقال: ما يبكيك أيها الرجل؟ فقلت: بأبى أنت وأمى يا نبى الله، ذكرتك وامرأة العزيز وما أُبتليتَ به من أمرها وما لقيتَ من السجن وفرقة يعقوب، فبكيت من ذلك وجعلت أتعجّب منه.

قال: فهلا تعجّبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء؟ فعرفت الذى أراد فبكيت واستيقظت باكيًا.

قال سليمان: أى أخى وما كان من حال تلك المرأة؟ فقصّ عليه عطاء القصة

فما أخبر بها سليمان أحدًا حتى مات عطاء فحدث بها بعده امرأة من أهله قال: وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار رحمه الله(١).

أيها المسلمون أحباب رسول الله...

وجاء في السير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجه جيشًا لحرب الروم على مشارف قيساريه وقد علم قيصر الروم من أخبار جند المسلمين، وما يتحلون به من صدق إيمان، ورسوخ عقيدة، واسترخاص للنفوس في سبيل الله ما علم، فأمر قيصر رجاله إذا ظفروا برجل من المسلمين أن يبقوا عليه حيًا، ويأتوه به، وشاء الله أن يقع في الأسر عدد من المسلمين من بينهم «عبد الله بن حذافة» الذى أدرك معنى العبودية لله عز وجل، فقال قيصر الروم: ائتونى به، فجاءوا به، فنظر إليه، فوجد فيه عزة المؤمن، ونجابة الأبطال، فبادره قائلًا: إنى أعرض عليك أمرًا، قال: ما هو؟ قال: أن تتنصر، وأعطيك نصف ملكى فقال عبد الله رضي الله عنه: هيهات هيهات، إنَّ الموت أحب إليَّ مما تدعوننى إليه.

فقال القيصر: ائتونى بأجمل النساء، فجاءوا بها، وأدخلوها عليه في أبهى حللها وفي عرى تام، وقدموا له الخمر، ولحم الخنزير، فارتمت المرأة في أحضانه وهو يهرب منها، ولم ينظر إليها، ولسان حاله يقول: ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣]. حتى يئست منه تلك المرأة، ونقلة الأخبار يقفون وراء الباب يريدون أن يشمتوا بهذا الصحابى.

وإذا بها تصرخ وتقول: أخرجونى، أخرجونى، ففتحوا لها وسألوها: ما الخبر؟ قالت: والله ما يدري أأنثى أنا أم ذكر، ولا أدرى أأدخلتمونى على بشر أم على حجر؟!

الله أكبر، إنه رجل دعته امرأة إلى نفسها، وأغرته بكل أنواع الإغراء، لكنه قال بلسان حاله: إنى أخاف الله رب العالمين.

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٤٧، ٤٨) لابن الجوزي، و«الرقة والبكاء» (ص ١٩٨ - ٢٠٠).

أحبتى فى الله ...

ويحدثنا إبراهيم النخعى عن رجل آخر من أولئك الصنف المظلل يوم لا ظل إلا ظله، رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إنى أخاف الله رب العالمين يقول: كان بالكوفة فتى جميل الوجه، شديد التعبد والاجتهاد، فنزل فى جوار قوم من النخع، فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها، وهام بها عقله، ونزل بالجارية ما نزل بالفتى، فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبرها أنها مسماة أى مخطوبة إلى ابن عم لها، فلما اشتد عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى، أرسلت إليه الجارية، فقالت: قد بلغنى شدة محبتك لى، وقد اشتد بلائى بك، فإن شئت زرتك، وإن شئت سهلت لك أن تأتينى إلى بيتى، فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الخلتين: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام: ١٥].

إنى أخاف نارًا لا يخبو سعيرها، ولا يخمد لهيبها، فلما أبلغها الرسول، قالت: وأراه مع هذا يخاف الله، والله ما أحد أحق بهذا من أحد، وأن العباد فيه لمشتركون، ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، وصارت لله عابدة قانتة.

وهذا واحد آخر من الذين يخافون ربهم، وواحد من العُبَّاد، أرادت أن تفتنه امرأة بغى من البغايا، فأعطاها جماعة من المفسدين ألف دينار، فسألت عن سبب ذلك، فقالوا لها: هذا ثمن قبلة واحدة تأخذينها من هذا العابد، أتدرون من هو؟ إنه الربيع بن خثيم رحمه الله ففرحت المرأة، وذهبت إلى هذا العابد القانت الأواه، وتعرضت له بعد أن تجردت من ملابسها بعد أن تجردت من حيائها، فقام إليها الربيع مسرعًا، وقال لها: كيف بك يا أمة الله إذا نزل بك مَلك الموت، فقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك إذا سألك منكر ونكير؟ أم كيف بك يوم تقفين بين يدى العزيز الجليل؟ أم كيف بك إذا جاءتك زبانية جهنم؟

ففزعت المرأة، وخرجت من عنده تائبة عابدة قائمة، صائمة، حتى لقبت بعد ذلك بعابدة الكوفة(١).

فقال أولئك الفجار: أردناها أن تفسد الربيع، فأفسدها علينا.

عباد الله...

قديمًا قال بعض أعداء الأمة، كأس وغانية يفعلان فى تحطيم الأمة أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها فى حب المادة والشهوات، وقد حذر نبى الرحمة ﷺ من خطر فتنة النساء، فقال: «**مَا تَرَكْتُ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»(٢).

وقد كان علاج القرآن الكريم لهذه الفتنة أبدع العلاجات، إذ سدَّ الإسلام كل الذرائع، وأغلق كل الأبواب التى يمكن أن يصل منها الشر إلى المسلم، فيوقعه فى الفاحشة، أو يفتنه بالمرأة، فحرم الزنا وسدَّ كل الطرق الموصلة إليه، وكان من الوسائل التى حفظ بها الشرع المسلمين أفرادًا وجماعات من خطورة الفواحش، حثهم على العفة، ورغبهم فى التحلى بها، والعفة المطلوبة هنا: هى ضبط النفس عن الشهوات، والكف عن المحرمات، إذن فهى خلق إيمانى رفيع يعود على صاحبه بالخير فى الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم رحمه الله: إنَّ للعفة لذة أعظم من قضاء الوطر، لكنها لذة يتقدمها ألم حبس النفس، ثم تعقبها اللذة، أما قضاء الوطر فالبضد من ذلك.

قال النبي ﷺ: «**كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ لاَ يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنِ امْرَأَتِهِ، أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ أَكْرَهْتُكِ؟ قَالَتْ: لاَ، وَلَكِنْ هَذَا عَمَلٌ لَمْ أَعْمَلْهُ قَطُّ،**

---

(١) «ذم الهوى» لابن الجوزي و«صفة الصفوة» (٣/ ١٦١) لابن الجوزي، و«التوابين» لابن قدامة (ص٢٧٣).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

وَإِنَّمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ الْـحَاجَةُ. قَالَ: فَتَفْعَلِينَ هَذَا مِن مخافة الله عز وجل فأنا أحرى - أي بالخوف منه - فَقَالَ: اذْهَبِي فَالدَّنَانِيرُ لَكِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّـهِ لاَ يَعْصِي اللَّـهَ الْـكِفْلُ أَبَدًا، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ، فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ، قَدْ غَفَرَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكِفْلِ، فعجب الناس من ذلك»[١].

أحبتى فى الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.

قال الحبيب ﷺ: **«بروا آباءكم، تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم»**[٢].

أو كما قَالَ. **«التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»**. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، فاطر الأرض والسموات، عالم الأسرار والخفيات، المطلع على الضمائر والنيات، أحاط بكل شيء علمًا، ووسع كل شيء رحمة وحلمًا وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون به علمًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، لا تدركه الأبصار، ولا تغيره الدهور والأعصار، ولا تتوهمه الظنون والأفكار، وكل شيء عنده بمقدار.

وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبده ورسوله، وصفيه وخليله، أفضل من صدع بالحق وأسمعه، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه، وسائر من نصره وكرمه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» رقم (٤٧٤٧)، وصححه أحمد شاكر، ورواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) حسن: رواه الطبراني بإسناد حسن.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

ومن الأمور التى تسد الطرق الموصلة إلى الوقوع فى الفاحشة «غض البصر» لأن إطلاقه إلى ما حرم الله من أعظم الأسباب التى توقع الفاحشة، ولهذا أمر الله ﷻ بغض البصر للرجال والنساء، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور: ٣١].

ولما سئل النبي ﷺ عن نظر الفجأة، قال: «اصْرِفْ بَصَرَكَ»[(١)].

فمن غض بصره أعفّ فرجه.

وعفة الفرج سبيل إلى الجنة، قال الله ﷻ فى وصف المؤمنين المفلحين من أهل الجنة: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [المعارج: ٢٩ - ٣١].

فما جزاء هؤلاء؟ ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

وقال النبى المصطفى ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»[(٢)].

أخى الحبيب...

إن أردت أن تذوق حلاوة الإيمان، وأن تعيش حميدًا موفور الكرامة، مصان العرض، فكن عفيفًا.

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

(٢) رواه البخاري.

إن أردت الطمأنينة وراحة البال، فكن عفيفًا، فإن من يسير وراء شهواته المحرمة يعانى عذابًا وجحيمًا لا يطاق، أما من يعف نفسه، فإنه يعيش فى هدوء وراحة بال، فالهم الذى يشغله ليس الهم الذى يشغل سائر الناس، ولا عجب فى ذلك، فإن الله ﷻ هو الذى خلق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفسه، وقد خلقه الله ﷻ للعبادة والطاعة، ومن ثم لا يستطيع أن يعيش العيشة السوية إلا إذا كان متبعًا لأوامر الله ﷻ، مطيعًا له، مخالفًا لهواه فالسيارة التى صنعت لتسير فى الطرق المعبدة، يصعب أن تسير فى غيرها، والقطار الذى صنع ليسير على القضبان حين ينحرف عن طريقه لا يستطيع المسير وهكذا الإنسان الذى خلقه الله للعبادة، إذا انحرف عن هذا الطريق، اضطربت حياته، وعانى المشكلات.

إن أردت أن تشعر بلذة الانتصار على النفس، فكن عفيفًا، لأنه إن كان اللاهون العابثون يجدون لذة فى ممارسة الحرام، فالشاب العفيف، والفتاة العفيفة يجدان من لذة الانتصار على النفس أعظم مما يجده أصحاب الشهوات،

أحبتى الكرام...

ذكر أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله أن امرأة جميلة كانت بمكة، وكان لها زوج فنظرت يومًا إلى وجهها، فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه ولا يفتن به؟ قال: نعم، قالت: من؟

قال: عبيد بن عمير، قالت: فائذن لى فيه، فلأفتننه.

قال: قد أذنت لك، فأتته كالمستفتية، فخلا معها فى ناحية من المسجد الحرام فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله، استترى.

فقالت: إنى قد فتنت بك.

قال: إنى سائلك عن شيء، فإن صدقتينى نظرت فى أمرك.

قالت: لا تسألنى عن شيء إلا صدقتك، قال: أخبرينى لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضى لك هذه الحاجة؟ قالت: اللَّهُمَّ لا.

قال: صدقت، قال: لو دخلت قبرك وأجلست للمسألة أكان يسرك أن قضيتها لك؟ قالت: اللَّهُمَّ لا، قال: صدقت.

قال: فلو جيء بالميزان، وجيء بك، فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل؟ أكان يسرك أن قضيتها لك؟ قالت: اللَّهُمَّ لا، قال: صدقت.

قال: اتقى الله، فقد أنعم عليك، وأحسن إليك.

قال: فرجعت إلى زوجها، فقال لها: ما صنعت؟ قالت: أنت بطّال، ونحن بطالون، وأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: ما لى ولعبيد ابن عمير، لقد أفسد علىَّ امرأتى، كانت فى كل ليلة عروسًا، فصيرها الآن راهبة[1].

وقال العتبى: علق أعرابى امرأة، فطال به وبها الأمر، فلما التقيا وتمكن منها وصار بين شعبها، ذكر الدار الآخرة، فعصمه الله، فقال: والله إن امرئ باع جنة عرضها السموات والأرض - بفتق - بين رجليك لقليل البصر بالمساحة!

وقيل لأبى بكر المسكى رحمه الله: إنا نشم منك رائحة المسك مع الدوام فما سببه؟ فقال: والله لى سنين عديدة لم أستعمل المسك، ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت علىّ، حتى أدخلتنى دارها، وأغلقت دونى الأبواب وراودتنى عن نفسى، فتحيرت فى أمرى، فضاقت بى الحيل، فقلت لها: إن لى حاجة إلى الطهارة، فأمرت جارية لها أن تمضى بى إلى بيت الراحة، ففعلت، فلما دخلت بيت الراحة، أخذت العذرة، وألقيتها على جميع جسدى، ثم رجعت إليها، وأنا على تلك الحالة، فأمرت بإخراجي فلما كانت تلك الليلة رأيت فى المنام من يقول لى: فعلت ما لم يفعله أحدٌ غيرك، لأطيبن ريحك فى الدنيا والآخرة، فأصبحت والمسك يفوح منى، واستمر ذلك إلى الآن[2].

---

(١) «ذم الهوى» لابن الجوزي، و«روضة المحبين» لابن القيم.
(٢) «المواعظ والمجالس» لابن الجوزي (ص٢٢٤).

اللَّهُمَّ أغننا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك، اللَّهُمَّ اجعلنا من الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، اللَّهُمَّ احرسنا بعينك التى لا تنام، واحفظنا بركنك الذى لا يضام وبملكك الذى لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، اللَّهُمَّ يا واسع الرحاب، ويا عظيم الجناب، ويا مفتح الأبواب، قابل التوب ممن تاب، اجعلنا يا رب ممن قبلت دعاءهم، وحققت رجاءهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ املأ قلوبنا بحبك، واجعلنا لعبادك محبين، وأكرمنا حتى نكون للناس مكرمين، اللَّهُمَّ اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، وارحم من جاء تائبًا مستغفرًا، اللَّهُمَّ انقلنا من الذل إلى العزة، ومن العسر إلى اليسر ومن اليأس إلى الأمل والصبر، يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ آتي نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.. اللَّهُمَّ اهدّ حيارى البصائر إلى نورك، وضلال المناهج إلى صراطك، والزائغين عن السبيل إلى هداك.

اللَّهُمَّ أزل الوساوس بفجر صادق من النور، وأزهق باطل الضمائر بفيلق من الحق، ورد كيد الشيطان بمدد من جنود عونك مسومين. اللَّهُمَّ أذهب عنا الحزن، وأزل عنا الهم، واطرد من نفوسنا القلق. نعوذ بك من الخوف إلا منك، والركون إلا إليك، والتوكل إلا عليك، والسؤال إلا منك، والاستعانة إلا بك، أنت ولينا، نعم المولى ونعم النصير.

اللَّهُمَّ ادفع عنا الغلاء والوباء والربا والزنا والزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلادنا وعن سائر بلاد المسلمين يا رب العالمين، اللَّهُمَّ إنَّا نسألك البركة والتقوى، اللَّهُمَّ إنَّا نسألك أن تجعلنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك.

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبنا ﷺ وأقم الصلاة.

الخطبة الخامسة والعشرون
ورجل تصدق بصدقة فأخفاها

الحمد لله، الذى دل على معرفته بإتقان صنعته، وبديع لطائف حكمته، وبما أودعه نفوس المميزين من أعلام ربوبيته، واستحق على كل مكلف الخنوع لعظمته، والخشوع لعزته، والشكر بما أسبغ من نعمته ونشر من رحمته، وجعل قلوب أوليائه تسرح فى ميادين محاسن ما ابتدعه وعقولهم ترتاح لما مَنّ عليهم من استنباط المعرفة بما اخترعه.

أحمده حمدًا يليق بذاته، ويكافئ المزيد من نعمه وأفضاله وكرمه وآلائه وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ولى النعم كلها دون من سواه، وأنه لا فلاح إلا لمن هداه، ولا صلاح إلا لمن عصمه من اتباع هواه.

جاء رجل إلى سفيان الثورى رحمه الله وقال له: يا إمام، إنى مريض بمرض البعد عن الله، فهل أجد لى عندك من دواء؟ فقال: يا عبد الله، عليك بعروق الصبر، وورق الإخلاص، وعصير التواضع، وضع ذلك فى إناء التقوى، وصب عليه ماء الخشية، وأوقد عليه بنار الحزن، وصفه بمصفاة المراقبة، وتمضمض بالورع وأبعد نفسك عن الغش والطمع، تشفى من مرضك بإذن الواحد الديان.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده الذى ارتضاه، ونبيه الذى اختاره واجتباه ورسوله الذى ائتمنه واصطفاه، ورفعه وأعلاه، وخصه بختم النبوة وحباه، وأبانه بأعلى منازل الفضل على كل آدمى عداه.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، صلاة تفتح لنا بها يا ربنا أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًّا ونصيرًا، فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

وما زال اللقاء موصولًا مع الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، مع صنف آخر من هؤلاء الذين رضي الله عنهم وأكرمهم من فيضه وجوده وكرمه، وهذا الصنف يقول فيه الحبيب النبي ﷺ: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ، مَا أنفقت يَمِينُهُ**».

ومعنى أنه أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، المبالغة فى إخفائها بحيث لا يعلم بها أحد، ورحم الله الإمام النووى، حيث قال: «وفيه فضل صدقة السر، وهذا فى صدقة التطوع، فالسر فيها أفضل، لأنه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء، أما الزكاة الواجبة فإعلانها أفضل.

والنبي ﷺ يقول: «**صدقة السر، تطفئ غضب الرب**»[(١)].

وإطفاء الغضب معناه: المنع من إنزال المكروه فى الدنيا، ووخامة العاقبة فى العقبى، فهى من إطلاق السبب على المسبب، كأنه نفى الغضب، وأراد الحياة الطيبة فى الدنيا، والجزاء الحسن فى العقبى.

والله ﷻ يقول: ﴿ **وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٧١]. وفائدة الإخفاء، الخلوص من آفة الرياء والسمعة.

وقد رغب الله ﷻ عباده المؤمنين فى البذل والإنفاق، ووعدهم على ذلك أجرًا عظيمًا، وبين فضل عملهم هذا، فقال جل ثناؤه: ﴿ **مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٦١].

---

(١) صحيح: «صحيح الجامع» للألباني رقم (٣٧٥٩)، و«السلسلة الصحيحة» (١٩٠٨).

وقال: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقال: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: ١١].

قال الجصاص رحمه الله مبينًا علة تسمية الله عز وجل للصدقة قرضًا: سماه الله قرضًا تأكيدًا لاستحقاق الثواب به، إذ لا يكون قرضًا، إلا والعوض مستحق به[١].

وعلل ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله بأن الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه، ولابد، طوعت له نفسه، وسهل عليه إخراجه، فإن علم أن المستقرض مليء وفيٌّ محسن، كان أبلغ فى طيب فعله، وسماحة نفسه، فإن علم أن المستقرض يتجر له بما اقترضه له، وينميه له، ويثمره، حتى يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده بعطائه أجرًا آخر من غير جنس القرض، فإنه لا يتخلف عن قرضه إلا لآفة فى نفسه من البخل أو الشح، أو عدم الثقة بالضمان[٢].

وكان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول: عجبت ممن يبقى معه مال، وهو يسمع قوله تعالى: ﴿ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ ﴾ [التغابن: ١٧].

عباد الله...

إنّ الصدقة من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله عز وجل فقد قال الحبيب المصطفى ﷺ: **«وإن من أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن، تكشف عنه كربًا أو تقضى عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا»**[٣].

---

(١) «أحكام القرآن» للجصاص (١/ ٦١٦).

(٢) «طريق الهجرتين» (ص٥٣٨) لابن القيم.

(٣) حسن: رواه ابن أبي الدنيا وغيره، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٧٦).

بل إنَّ الصدقة لتباهى غيرها من الأعمال، وتفخر عليها، وفى ذلك يقول عمر ابن الخطاب ﵁: إنّ الأعمال تتباهى، فتقول الصدقة: «أنا أفضلكم» وهذه الرفعة للصدقة تشمل صاحبها، فهو بأفضل المنازل.

كما قال ﷺ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّـهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّـهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْـمَنَازِلِ...**»(١).

وهو صاحب اليد العليا كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: «**الْـيَدُ الْـعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْـيَدِ السُّفْلَى، وَالْـيَدُ الْـعُلْيَا هِيَ الْـمُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ**»(٢).

وهو من خير الناس لنفعه إياهم، وقد جاء فى الحديث المرفوع: «**خير الناس أنفعهم للناس**»(٣).

وهو من أهل المعروف فى الآخرة، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «**أَهْلَ الْـمَعْرُوفِ فِى الدُّنْيَا، هُمْ أَهْلُ الْـمَعْرُوفِ فِى الآخِرَةِ**»(٤).

ولا تقتصر رفعة المتصدق على الآخرة بل هى شاملة للدنيا، فمن جاد، ساد، ومن بخل، رذل، بل قال محمد بن حبان ﵀: «كل من ساد فى الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد، وانقاد له قومه، ورحل إليه القاصى والدانى، لم يكن له كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام، وإكرام الضيف».

وقد قال سيد الأولين، وخاتم النبيين ﷺ: «**لاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يُضِيفُ**»(٥).

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٢٤).

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) صحيح: «السلسلة الصحيحة» رقم (٤٢٦)، و«صحيح الجامع» (٦٦٦٢).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٣١).

(٥) صحيح: رواه أحمد والبيهقي وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤٩٢).

وكان ابن السماك رحمه الله يقول: يا عجبى لمن يشترى المماليك بالثمن، ولا يشترى الأحرار بمعروفة.

عباد الله...

وصاحب الصدقة والمعروف لا يقع، فإن وقع أصاب متكئًا، إذ البلاء لا يتخطى الصدقة، فهى تدفع المصائب والكروب، والشدائد المخوفة، وترفع البلايا والآفات والأمراض الحالة، دلت على ذلك النصوص، وثبت ذلك بالحس والتجربة، فقد قال الحبيب المصطفى ﷺ: «**صَنَائِعُ الْـمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ والآفات والهلكات**»(١).

حتى إنها لتدفع عن الرجل الظلوم البلاء فى الدنيا، كما ذكر أن رجلًا قصارًا كان فى زمن سيدنا صالح عليه السلام، وكان يفسد ثياب الناس، فجاء قوم صالح إليه، وقالوا: يا نبي الله، ادع الله على هذا القصار، فإنه يفسد ثياب الناس، فخرج القصار برزمته، فدعا عليه صالح عيله السلام أن لا يرجع سالمًا، فلما كان المساء رجع القصار سالمًا، فقال له نبى الله صالح عليه السلام: حل رزمتك، فحلها، فإذا بين الثياب ثعبان ملجم بلجام من حديد، فقال له صالح عليه السلام: ما فعلت حين خرجت من بيتك اليوم؟ قال: يا نبي الله، أخذت معى رغيفين من بيتى، فتصدقت بأحدهما، وأكلت الآخر، قال: صدقت، لقد رفع الله عنك شر هذا الثعبان، وألجمه عنك ببركة الصدقة، اذهب وتب إلى الله، فتاب القصار من إفساد الثياب(٢).

وفى الإسرائيليات: أن امرأة خرج زوجها إلى مزرعة له، فخرجت المرأة فى

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٩٥).

(٢) الأحاديث النبوية في «الترغيب» لليافعي (ص١٢٦).

أثره، ومعها طعام لزوجها، فجاء سائل وهى تأكل من الطعام، فأعطته منه لقمة كانت تريد أن تأكلها، فردتها عن فمها، وأعطتها السائل، وذهبت ومعها ولدها الصغير على كتفها، فعرض لها قضاء حاجة فى طريقها، فوضعت ولدها على الأرض، وجلست تقضى حاجتها، فجاء ذئب وهى غافلة، فأخذ ولدها، فقالت: يا رب، كما رددت اللقمة من فمى وأعطيتها للسائل، فرد علىَّ ولدى، فكر الذئب راجعًا، ووضع ولدها عندها مكانه، ونوديت لقمة بلقمة(١).

وذكر أن امرأة كان لها ولد اسمه زيد، فخرج فى تجارة فى البحر، فتصدقت أمه عنه يومًا بدرهم فى غيبته، وهاجت الريح فى ذلك اليوم على أهل المركب، فسمعوا قائلًا يقول: لا تخافوا فالفداء مقبول، وزيد مغاث.

وقد جاء حديث رافع بن خديج رضي الله عنه عند الطبرانى مرفوعًا: «**الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ**»(٢).

وفى صحيح البخارى أن النبي ﷺ قال حين هلع الناس لكسوف الشمس: «**فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّـهَ وَكَبِّرُوا، وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا**»(٣).

قال ابن دقيق العيد رحمه الله فى شرحه: وفى الحديث دليل على استحباب الصدقة عند المخاوف، لاستدفاع البلاء المحذور(٤).

وكما أن الصدقة تحفظ البدن، وتدفع عن صاحبها البلايا والأمراض،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حسن بشواهده: رواه الطبراني في «الكبير» رقم (٤٤٠٢)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٣/ ١٠٩)، وذكره العجلوني في «كشف الخفاء» رقم (١٩٥٣)، والسخاوي في «المقاصد الحسنة» رقم (٦١٨).

(٣) رواه البخاري.

(٤) «إحكام الأحكام» (٢/ ١٤١) لابن دقيق العيد.

لحديث: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»[١].

قال ابن الحاج رَحِمَهُ اللَّهُ: والمقصود من الصدقة أن المريض يشترى نفسه من ربه عَزَّوَجَلَّ بقدر ما تساوى نفسه عنده، والصدقة لابد لها من تأثير على القطع، لأن المخبر ﷺ صادق، والمخبر عنه، كريم منان[٢].

وقد سأل رجل ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ عن قرحة فى ركبته لها سبع سنين، وقد أعيت الأطباء، فأمره بحفر بئر يحتاج الناس إليه إلى الماء فيه، وقال: أرجو أن ينبع فيه عين، فيمسك الدم عنك[٣].

وقد تقرح وجه الحافظ العلامة أبى عبد الله الحاكم - صاحب كتاب المستدرك - قريبًا من سنة، فسأل أهل الخير الدعاء له، فأكثروا من ذلك، ثم تصدق على المسلمين بوضع سقّاية بنيت على باب داره، وصب فيها الماء، فشرب منها الناس، فما مرّ عليه أسبوع إلا وظهر الشفاء، وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن ما كان[٤].

والأمر كما قال المناوى رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد جُرِّب ذلك -أى التداوى بالصدقة- فوجدوا الأدوية الروحانية تفعل ما لا تفعله الأدوية الحسية، ولا ينكر ذلك إلا من كثف حجابه[٥].

أى حجب الله قلبه عن الخير.

---

(١) حسن: رواه أبو الشيخ في «الثواب»عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٥٨).

(٢) «المدخل» لابن الحاج (٤/ ١٤١).

(٣) «الزواجر »لابن حجر الهيتمي (١/ ٣٢١).

(٤) المرجع السابق.

(٥) «فيض القدير» (٣/ ٥١٥) للمناوي.

عباد الله...

وربنا جل فى علاه يربى الصدقة، ويضاعف لأصحابها المثوبات، ويرفع لهم الدرجات قال ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلاَ يَقْبَلُ اللَّـهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ - وَإِنَّ اللَّـهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّى أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْـجَبَلِ**»(١).

قال الإمام ابن حجر رحمه الله فى فتح البارى: الصدقة نتاج العمل، وأحوج ما يكون النتاج إلى التربية، إذا كان فطيمًا، فإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال، وكذلك عمل ابن آدم -لاسيما الصدقة- فإن العبد إذا تصدق من كسب طيب لا يزال نظر الله إليها يكسبها نعت الكمال، حتى تنتهى بالتضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدم نسبة ما بين التمرة إلى الجبل، وفى حديث أبى مسعود الأنصارى رضي الله عنه أن رجلًا جاء بناقة مخطومة، فقال: هذه فى سبيل الله، فقال ﷺ: «**لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ**»(٢).

واستطعم مسكين السيدة عائشة رضي الله عنها وبين يديها عنب، فقالت لإنسان: خذ حبة، فأعطها إياه، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقالت عائشة: أتعجب؟ كم ترى فى هذه الحبة من مثقال ذرة.

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا من الصدقة.

وقد جعل الله عز وجل الصدقة سببًا لغفران المعاصى، وإذهاب السيئات والتجاوز عن الهفوات، قال ربنا عز وجل: ﴿ **۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه.

(٢) رواه مسلم.

والحبيب النبي ﷺ يقول: «**تصدقوا، ولو بتمرة، فإنها تسد من الجائع، وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**». وقال: «**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْـخَطِيئَةَ كَمَا يَذْهَبُ الْـجَلِيدُ عَلَى الصَّفَا**»(١).

وفي البخاري من حديث حذيفة رضي الله عنه جاء فيه: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْـمَعْرُوفُ**» (٢).

ولكثرة النصوص في كون الصدقة تكفر الذنوب، وتمحو الخطايا، استحب بعض أهل العلم الصدقة عقب كل معصية، ولعل مستندهم في ذلك قوله ﷺ: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْـحَسَنَةَ تَمْحُهَا**» (٣).

والصدقة من كبار الحسنات ورؤوس الطاعات، فهي داخلة في عموم النص قطعًا.

والصدقة تجلب الرزق، وتبارك المال، وتكون سببًا في إخلاف الله على صاحبها وفي ذلك يقول الذي لا تنضب ينابيع خزائنه، ولا تنقطع سحائب أرزاقه: ﴿ **وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ** ﴾ [سبأ: ٣٩].

لا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد ربكم بالخلف للمنفق، و قال ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْـعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**».

وفي الحديث القدسي الجليل: «**يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ، أُنْفِقْ عَلَيْكَ**» (٤).

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٨٦٧).

(٢) رواه البخاري.

(٣) حسن: رواه الترمذي وأحمد والدارمي، وغيرهم، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٧).

(٤) رواه البخاري ومسلم.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِى سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِى حَرَّةٍ** -وهى الأرض التى بها حجارة سوداء- **فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ** - أي مسيل الماء إلى الأرض - **قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِى حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّـهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلاَنٌ. لِلاِسْمِ الَّذِى سَمِعَ فِى السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّـهِ، لِمَ تَسْأَلُنِى عَنِ اسْمِى؟ فَقَالَ: إِنِّى سَمِعْتُ صَوْتًا فِى السَّحَابِ الَّذِى هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَذَا فَإِنِّى أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِى ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ**»(١).

وعلى العكس من ذلك جاءت نصوص عديدة ترد على أولئك الذين طبع الله على قلوبهم، فظنوا أن الصدقة منقصة لأموالهم، جالبة لفقرهم، مضيعة لأملاكهم، فبينت ووضحت أن الصدقة لا تنقص مال العبد، وأن شحه وبخله به هو سبب حرمان البركة، وتضييق الرزق، وإهلاك المال، وعدم نمائه، ومن هذه النصوص، قول النبي ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ**»(٢).

وقوله ﷺ: «**ثَلاَثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، فَأَمَّا الثَّلاَثُ الَّذِى أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ: فَإِنَّهُ مَا نَقَصَ مَالَ عَبْدٍ صَدَقَةٌ...**»(٣).

فإنه وإن نقص فى الدنيا فنفعه فى الآخرة باق، فكأنه ما نقص.

وقال النبي ﷺ لأسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما: «**لاَ تُوعِى فَيُوعِىَ اللَّـهُ عَلَيْكِ**»(٤).

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٨٨).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب».

(٤) رواه البخاري وأحمد وابن حبان والنسائي وغيرهم.

أى لا تجمعى شيئًا فى الوعاء، وتدخريه بخلًا به فيوعى الله عليك أى يمنع عنك مزيد نعمته.

والتجربة المحسوسة تثبت أن المعونة تأتى من الله للعبد على قدر المئونة وأن رزق العبد يأتيه بقدر عطيته ونفقته، فمن أكثر أكثر له، ومن أقل أقل له، ومن أمسك، أُمسك عليه، وقد نص غير واحد من العارفين أن ذلك مجرب محسوس، ومن شواهد ذلك قصة عائشة ﵂ أن مسكينًا سألها وهى صائمة، وليس فى بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاتها: أعطيه إياه، فقالت لها: ليس لك ما تفطرين عليه، فقالت: أعطيه إياه، قالت: ففعلت، قالت: فلما أمسينا، أهدى لنا أهل بيت أو إنسان - ما كان يهدى لنا - شاة كفنها - أى غطاها بأقراص وأرغفة - فدعتنى، فقالت: كلى من هذا، هذا خير من قرصك(١).

والقضية مرتبطة بالإيمان، ومتعلقة باليقين، والأمر كما قال الحسن البصرى ﵀: من أيقن بالخلف، جاد بالعطية.

عباد الله...

والصدقة بعد هذا كله وقاية من العذاب، وسبيل لدخول الجنات، كما فى حديث يحيى بن زكريا عليهما السلام، يقول: «**وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ. فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ...**»(٢).

وهذا حديث يدل على أن أعمال البر من صدقة ونحوها، تدفع عن صاحبها عذاب القبر، وستر للعبد، وحجاب من العذاب، قال ﷺ: «**إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا**

---

(١) الموطأ (٢/ ٩٩٧) للإمام مالك.

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن حبان، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٧٢٠).

وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتِ الصَّلاَةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْـخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْـمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ.

فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلاَةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَتَقُولُ فَعَلُ الْـخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْـمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ»(١).

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان والتائب حبيب الرحمن، أو كما قال. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، العلى الأعلى، الذى خلق فسوى، والذى قدر فهدى، له ملك السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، الملك الحق المبين، الذى على العرش استوى، وعلى الملك احتوى.

وأشهد لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عالم السر والنجوى وشهادة حق بها نعتصم ونستمسك.

وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبده ورسوله سيد العرب والعجم، الذى أرسله الله تتمة للمرسلين، ونعمة للمتقين، ورحمة للعالمين، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

---

(١) حسن: رواه ابن حبان والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧٩)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب المصطفى ﷺ...

طوبى لمن وقاه الله ﷻ شح نفسه، وآتاه الجود والسخاء والكرم والصبر على ذلك، طوبى لمن آتاه الله مالًا فوفقه لإنفاقه فى مرضاته، قال ﷺ: «**لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّـهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِى الْـحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّـهُ الْـحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِى بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»(١).

وربنا ﷻ واسع فى عطائه ومثوبته، واسع فى رحمته واسع فى عفوه ورحمته ومغفرته، واسع فى كرمه وإحسانه، واسع فى عزته وكمالاته، يعطى بالدرهم سبعمائة ثم يضاعف العطاء أكثر من ذلك إلى ملايين الأضعاف حيث يقول ﷺ: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ**»(٢).

والمعنى أن الفقير التقى الذى ليس عنده إلا درهمان، إذ به يعمد إلى نصف ما معه، وهو درهم واحد فأنفقه لله، فكان هذا الدرهم عند الله أكثر من صدقة رجل غنى عنده مليون درهم، فعمد إلى عشر ما معه، وهو مائة ألف درهم، فأنفقها لله، فالذى سبق هو صاحب الدرهم، لأن الله عليم، يعلم أن هذا الفقير قد قدّم ما معه مع حبه له، وحاجته إليه.

وهذا كما فى الحديث الصحيح: سُئِل ﷺ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْـفَقْرَ**»(٣).

إنه لا يكون عاقلًا إلا من عرف الخير فطلبه، والشر فتركه، والخير كل الخير

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه.

(٢) حسن: رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٨٨٣).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

فى اتباع النبى المصطفى ﷺ وأصحابه الكرام، الخير فى اتباع من سلف وقد كانوا أعظم الناس بذلًا وجودًا وكرمًا.

فرسولنا وقدوتنا وعظيمنا سيدنا محمد ﷺ كان أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس[١]، بل كان أجود بالخير من الريح المرسلة.

يقول جابر رضي الله عنه: ما سئل النبي ﷺ عن شيء قط، فقال: لا[٢]. وخادمه أنس رضي الله عنه يقول: كان ﷺ لا يدخر شيئًا لغدٍ[٣].

وكان له قصعة يقال لها: الغراء، يحملها أربعة رجال [٤].

وكان جوده ﷺ كله لله، وفى ابتغاء مرضاته، فإنه كان يبذل المال، إما لفقير، أو محتاج، أو يتألف به على الإسلام من يقوي الإسلام بإسلامه، وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده، فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، ويعيش فى نفسه عيش الفقراء، فيأتى عليه الشهر والشهران لا يوقد فى بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه من الجوع.

وكان صاحبه أبو بكر الصديق من أجود الناس كفًا، وأبذلهم مالًا، وأكرمهم صدقة وإنفاقًا فى سبيل الله، لما طبع رسول الله ﷺ على أشرف الخلائق التى كان منها الكرم، فأعطى غنمًا بين جبلين، فلما سار فى فيافى الجود، تبعه الصديق، فجاء بكل ماله، لذلك قال الحبيب النبي ﷺ: «**مَا نَفَعَنِى مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِى مَالُ أَبِى بَكْرٍ**». قال أبو هريرة رضي الله عنه: فبكى أبو بكر، وقال: وهل نفعنى الله إلا بك؟ وهل نفعنى الله إلا بك؟! وهل نفعني الله إلا بك؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح: رواه الترمذي وابن حبان والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٨٤٦).

(٤) صحيح: رواه أبو داود وأبو الشيخ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨٣٣).

وكان عمر بن الخطاب ﷺ كذلك، قال الأعمش: كنت يومًا عنده، فأتى باثنين وعشرين ألف درهم، فلم يقم من مجلسه حتى فرقها، وكان إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به.

وقد أصاب الناس قحطًا فى خلافة أبى بكر الصديق ﷺ فلما اشتد بهم الأمر، جاءوا إلى الخليفة أبى بكر، وقالوا: يا خليفة رسول الله، إنَّ السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، وقد توقع الناس الهلاك، فما تصنع، فقال: انصرفوا واصبروا، فإنى أرجو الله ألا تمسوا حتى يفرج الله عنكم، فلما أصبحوا خرجوا يتلقونها، فإذا هى ألف بعير، محملة بُرًّا وزيتًا ودقيقًا، فأناخت بباب عثمان ﷺ فجعلها فى داره فجاء إليه التجار، فقال: ما تريدون؟ فقالوا: إنك لتعلم ما نريد، فقال: كم تربحوننى قالوا: الدرهم درهمين، قال: قد أعطيت زيادة على هذا، قالوا: أربعة قال: أعطيت أكثر، قالوا: ليس فى المدينة تجار غيرنا، فمن الذى أعطاك؟ قال: إن الله قد أعطانى بكل درهم عشرة دراهم، أعندكم زيادة؟ قالوا: لا، قال: فإنى أشهدكم الله تعالى، أنى جعلت ما حملت العير صدقة لله على الفقراء والمساكين.

وغيرهم، وغيره كثير يطول بنا المقام لو ذكرناهم.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المنفقين ومن المتصدقين، ليظلنا يوم القيامة فى ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله، اللَّهُمَّ يا من وسعت كل شيء رحمة وعلمًا، ارحمنا برحمتك التى وسعت كل شيء، اللَّهُمَّ تقبل منا صلاتنا، وتقبل منا سائر أعمالنا.

اللَّهُمَّ اختم بالباقيات الصالحات أعمالنا، اللَّهُمَّ أكرمنا ولا تهنا، وكن لنا ولا تكن علينا، وزدنا ولا تنقصنا وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ لك الحمد كله أنت أوجدتنا ورزقتنا، وجعلتنا مسلمين.. اللَّهُمَّ سبحانك قد عصيناك بنعمك، سبحانك خالفناك مع عظمتك... اللَّهُمَّ إن لم تغفر لنا فمن يغفر لنا؟ وإن لم ترحمنا فمن يرحمنا؟ اللَّهُمَّ لا رب لنا سواك فندعوك ونرجوك.

اللَّـهُمَّ إنَّا عائدون إليك تائبين فبرحمتك ومغفرتك ولطفك لا تردنا، واقبلنا يا من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. اللَّـهُمَّ مهما عظمت ذنوبنا فرحمتك أعظم، ومهما كثرت خطايانا، فأنت تغفر الذنوب جميعًا، فاغفر لنا.

اللَّـهُمَّ إنَّا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، اللَّـهُمَّ إنَّا نسألك من خير ما سألك به عبدك ونبيك، ونعوذ بك من شر ما استعاذ به عبدك ونبيك، اللَّـهُمَّ إنَّا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، ونسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لنا خيرا.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله يذكركم. وأقم الصلاة.

۞۞۞۞۞

الخطبة السادسة والعشرون
ورجل ذكر الله خاليا

الحمد لله، إلهي:

لـيس سـواك للمـضطرعون ... إذا نـزلت بـه الكـرب العظـام
وقفـت بـباب رحمـتك ابـتهالًا ... وفـاض الدمـع وانقطـع الكـلام
علمـت بأنـك الغفـار ربي ... ومـن نعـماك ينهمـر الغـمام
فـإن تغفـر يـا إلهـي وتـرحم ... فلـيس يـضير إن غـضب الأنـام

حمدا لك يا من قطرة من فيض جودك، تملأ الأرض ريًّا، ونظرة بعين رضاك تجعل الكافر وليًّا، حمدًا لك وشكرًا على آلائك ونعمائك التى لا تحصى ولا تعد.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له الكليم موسى يسأله مولاه ويقول له: يا موسى، أتحب أن أسكن معك بيتك؟ فخر موسى عليه السلام ساجدًا لربه، وقال له: كيف تسكن معى بيتى وأنت الله رب العالمين؟! قال: يا موسى، أما علمت أننى جليس لمن ذكرنى، وحيث ما التمسنى عبدى وجدنى؟!

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، المبعوث إلى جميع بريته، بشيرًا للمؤمنين بجنته، ونذيرًا للكافرين بناره وسطوته، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى أبى بكر خليفته فى أمته، وعلى عمر المشهور بقوته على الكافرين وشدته وعلى عثمان القاضى نحبه فى محنته، وعلى عليّ زوج ابنته وعلى سائر آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

يـا مـن شفاعته تنجي العصاة غدًا ... مـن العـذاب الألـيم الـرافع الشرر
أنـت النبـي الـشفيع المستـضاء به ... يـوم القـيامة يـوم الـروع والحـذر
فاشفع لنا عند رب العرش خالقنا ... يـا سـيد الخلـق مـن أنثى ومن ذكر

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ

فى بداية هذا اللقاء الطيب المبارك، أوصيكم ونفسى بتقوى الله ﷻ فإنه قد فاز المتقون وسعدوا، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وأسأل الله الذى جمعنا فى هذا اليوم المبارك، وفى هذا المسجد المبارك أن يظلنا فى ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله، وأن يحشرنا مع حبيبنا ومصطفانا محمد ﷺ إنه ولى ذلك والقادر عليه.

أيها الأحبة الكرام...

تعالوا لنعيش مع واحد آخر، وصنف آخر من الذين يظلهم الله ﷻ فى ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله، هذا الصنف يقول فيه الحبيب المنيب إلى ربه ﷺ: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّـهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ». ماذا عن هذا الصنف؟ إنه رجل أو امرأة ماذا يفعل؟ ذكر الله، وما نوع هذا الذكر؟ أو ما حاله وشأنه؟ خاليًا من الخلوة، وهى البعد عن البشر لأن ذلك يكون أبعد له عن الرياء والسمعة.

قال ابن حجر فى فتح البارى: والمراد خاليًا من الالتفات إلى غير الله، ولو كان فى ملأ.

ما هى النتيجة التى يحصلها هذا الذاكر لمولاه خاليًا؟ إن عيناه سوف تفيضان

بالبكاء، فهيا نتحدث اليوم عن المقدمة «**رجل ذكر الله خاليًا**» ثم نتحدث عن النتيجة فى وقت لاحق، إن أذن الله ﷻ لنا ذلك.

رجل ذكر الله خاليًا، ما هو الذكر؟ وما فضله؟ وما أنواعه؟ وما هى بعض فوائده؟ هذا ما نعيش معه اليوم بمشيئة الله تعالى.

أما الذكر فهو ضد الغفلة والنسيان.

ويطلق الذكر على معان أخر منها: الصلاة لله تعالى، والدعاء، والطاعة والشكر والتسبيح وقراءة القرآن، وتمجيد الله وتهليله وتكبيره، والثناء عليه بجميع محامده.

وذكر الله تعالى هو أعظم ما فتق عنه لسان، وتدبره جنان، ولابد عند الذكر من اجتماع اللسان والجنان، حتى يؤتى الذكر ثماره، ويستشعر الذاكر آثاره فقد وصف الله ﷻ أولى الألباب بأنهم الذين: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١** ﴾ [آل عمران: ١٩١]. فقد جمعوا بين ذكر الله تعالى فى كل أحوالهم ودعائه، والتفكر فى خلق السموات والأرض.

ذكر الله ﷻ سرور للنفوس المؤمنة الموحدة، به تجلب النعم، وتدفع النقم، وهو نعمة كبرى، ومنحة عظمى، له لذة لا يدركها إلا من ذاقها، عبر عنها أحدهم، فقال: «والله إنا لفى لذة، لو علمها الملوك، وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف».

أحبتى فى الله...

المتعارف عليه فى دنيا الناس، أن الفقير هو الذى يذكر الغنى، والضعيف يذكر القوى، ولكن مع الله ﷻ الأمر مختلف، فهو سبحانه وتعالى يتعامل مع عبيده بكرمه وجوده وفضله، ومنه وعطائه، فنجده سبحانه يخبرنا أنه يذكر من

يذكره، بل ويذكره فى ملأ خير من ملئه، وهذا منتهى التفضل والجود والكرم قال الله عز وجل فى الحديث القدسى الجليل: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِى، إِنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى، وَإِنْ ذَكَرَنِى فِى مَلإٍ، ذَكَرْتُهُ فِى مَلإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّى شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِى يَمْشِى، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[1].

وفى رواية عند الإمام أحمد فى مسنده من حديث أنس رضي الله عنه أن رب العزة يقول: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنْ ذَكَرْتَنِى فِى نَفْسِكَ، ذَكَرْتُكَ فِى نَفْسِى، وَإِنْ ذَكَرْتَنِى فِى مَلأٍ، ذَكَرْتُكَ فِى مَلأٍ مِنَ الْـمَلائِكَةِ أَوْ فِى مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّى شِبْرًا، دَنَوْتُ مِنْكَ ذِرَاعًا، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّى ذِرَاعًا، دَنَوْتُ مِنْكَ بَاعًا، وَإِنْ أَتَيْتَنِى تَمْشِى، أَتَيْتُكَ أُهَرْوِلُ»[2].

الله أكبر، من تقرب إلىَّ بطاعتى، تقربت إليه برحمتى، وإن زاد زدت، وإن أتانى يمشى وأسرع فى طاعتى، أتيته هرولة أى صببت عليه الرحمة، وسبقته بها، ولم أحوجه إلى المشي الكثير فى الوصول إلى المقصود، وقال فى كتابه العزيز: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

يا للتفضل الجليل الودود، الله جل جلاله يجعل ذكره لهؤلاء العبيد مكافئًا لذكرهم له، فى عالمهم الصغير، إن العبيد حين يذكرون ربهم يذكرونه فى هذه الأرض الصغيرة، لكن ربهم حين يذكرهم، يذكرهم فى هذا الكون الكبير، وهو العلى الكبير، فأى تفضل منه، وأى تكرم حين يذكر الذى يذكره، يذكره فى الملأ الأعلى، إنه الفضل الذى لا يفيضه إلا الله، الذى لا خازن لخزائنه، ولا حاسب لعطاياه، فكيف بعد هذا الفضل ينسى العبد ربه من نسيه فهو مغمور ضائع، لا ذكر له فى الأرض، ولا ذكر له فى الملأ الأعلى.

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢١٣).

يقول يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله: «يا غفول، يا جهول، لو سمعت صرير الأقلام فى اللوح المحفوظ، وهى تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك، لمت شوقًا إليه».

اذكرونى بالتذلل، أذكركم بالتفضل.

اذكرونى بالأسحار، أذكركم بالليل والنهار.

اذكرونى بالثناء، أذكركم بالعطاء.

اذكرونى فى دار الفناء، أذكركم فى دار الفناء.

اذكرونى فى دار المحنة، أذكركم فى دار النعمة.

إخوانى...

الذكر هو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته قال الحسن البصرى رحمه الله: تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء - حلاوة أى حلاوة هذه؟! إنها حلاوة الإيمان التى يذوقها أهل الإيمان، المتبعين للقرآن، ولهدى سيد الأولين والآخرين - :

أول شيء: الصلاة.

والثانى: ذكر الله.

والثالث: قراءة القرآن.

فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق، إن تفقدتم الحلاوة فى هذه الثلاثة، فلم تجدوها، فاعلموا أن الباب مغلق، فداوموا قرع الباب بذكر الكريم الوهاب، يفتح لكم، لكن فى أى وقت أقرع باب الذكر؟

باب الذكر مفتوح فى كل الأوقات، لا يغلق فى وقت، ويفتح فى آخر، بل جميع الأوقات مفتوح، مفتوح لك فى الليل والنهار، مفتوح فى البر والبحر والحضر والسفر، مفتوح فى الغنى والفقر، والسر والعلانية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها فى حال العذر، غير الذكر، فإن الله عز وجل لم يجعل له حدًّا ينتهى إليه، ولم يعذر أحد فى تركه إلا مغلوبًا على عقله.

فقال: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣].

لماذا؟ لأن الذكر لب الطاعات، وجوهر العبادات، وهو أساس كثير من الفرائض والشعائر الظاهرة، إنه يكون قبلها تهيئة لأدائها، ويكون معها كجزء من أعمالها وأركانها، ويكون بعد الفراغ منها ختام لها.

ولنضرب المثل بالصلاة، فإن الذكر يسبقها، فالأذان ذكر يشتمل على التكبير والتهليل والنطق بالشهادتين، ومن السنة متابعة المؤذن، وبعد الفراغ من الأذان يسن قول الذكر المأثور عن النبي ﷺ الذى قال عنه:- «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِى وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِى»[(١)].

وقبل الوضوء، وهو من شروط صحتها، وبعد الفراغ منه ذكر، قال معلم الخلق ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»[(٢)]. وزاد الترمذى، «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِى مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِى مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»[(٣)].

والصلاة فى أولها وأوسطها وآخرها ذكر، وغايتها الذكر، ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ [طه: ١٤]. وركنها الأول تكبيرة الإحرام ذكر، وركنها الأعظم، قراءة الفاتحة ذكر، وركوعها تسبيح وذكر، وسجودها كذلك، وفى الرفع من الركوع

---

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

(٢) صحيح: سنن أبي داود (١٦٩)، و«صحيح الترمذي» (٥٥) للألباني.

(٣) المصدر السابق.

والسجود ذكر، وفيما بين السجدتين ذكر، وبعد الصلاة ذكر، ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣].

والحج فريضة الإسلام وركنه الخامس مشتمل على الذكر، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨].

ثم قال: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

ثـم قـال: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

ودعاء يوم عرفة ذكر، والموقف كله ذكر ودعوات واستغفار، وقد قال النبى المختار ﷺ: «خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ»(١).

بل حتى فى الجهاد فى سبيل الله، وعند التحام الصفوف، وقعقعة السيوف، ولقاء الحتوف، يأتى الأمر بالذكر، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

أيها المسلمون الموحدون...

وأهل الذكر هم أهل السبق، لأن ذكر الله أكبر، وأجره أعظم، قال ﷺ: «سَبَقَ الْـمُفَرِّدُونَ». قَالُوا: وَمَا الْـمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّـهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»(٢).

والمفردون أى المتميزون عن غيرهم، فأقرانهم هلكوا، وانفردوا هم عنهم يذكرون الله تعالى.

---

(١) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٥٣٦).

(٢) رواه مسلم والترمذي.

أهل الذكر ليسوا سابقين للبشر فحسب، بل هم فى مقام المباهاة، والمضاهاة للملائكة الكرام البررة الذين ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

فهذا الصنف الكريم، هؤلاء الملائكة الذين فطرهم الله على الطاعة، أنفاسهم ذكر وتسبيح وتقديس، ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

فالذكر هو أصل خلقهم، وغاية وجودهم، ومع ذلك فأهل الذكر مع المؤمنين فى مكانة رفيعة لدرجة أن الله عز وجل يباهى بهم ملائكته، يفاخر الله عز وجل بالذاكرين ملائكته المقربين، فعن معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه، فقال لهم: «مَا يُجْلِسُكُمْ؟».

قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّـهَ - تَعَالى - وَنَحْمَدُهُ لِمَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ.

فَقَالَ: «آللَّـهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟».

قَالُوا: آللَّـهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ.

قَالَ: «أَمَا - وَالله - إِنِّى لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ لِتُهْمَةٍ لَكُمْ، ولكنَّه أَتَانِى جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِى أَنَّ اللَّـهَ يُبَاهِى بِكُمُ الْـمَلاَئِكَةَ»(١).

بل إن مجالس الذكر هى بغية الملائكة التى تبحث عنها، وتجتمع عليها، وتتنادى إليها، كما جاء فى حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّـهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا، يَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا»(٢).

---

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

والحديث المشهور «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّـهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّـهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْـمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّـهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(١).

فأى شرف، وأى فخر من أن يباهى الله ﷻ بالذاكرين ملائكته المقربين، أى فخر وأى كرم أعظم من أن يذكرك مولاك، إن الإنسان منا إذا ذكر فى مجلس رئيس أو وزير، أو غنى من أغنياء الدنيا، يكاد يشعر بسعادة وفخر، فما بالك إذا ذكرت فى الملأ الأعلى؟ ما بالك إذا ذكرك ملك الملوك ومالك الملك جل فى علاه؟!

أيها الموحدون الكرام...

وبعد هذا كله أقول لكم مذكرًا بحديث رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِى يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِى لاَ يَذْكُرُ مَثَلُ الْـحَىِّ وَالْـمَيِّتِ**»(٢).

وفى رواية لمسلم: «**مَثَلُ الْـبَيْتِ الَّذِى يُذْكَرُ اللَّـهُ فِيهِ، وَالْـبَيْتِ الَّذِى لاَ يُذْكَرُ اللَّـهُ فِيهِ، مَثَلُ الْـحَىِّ وَالْـمَيِّتِ**»(٣).

وليس فى الحديثين اختلاف، فإن فى إطلاق الحى والميت فى وصف البيت، إنما يراد به ساكن البيت، فشبه الذاكر بالحى، الذى ظاهره متزين بنور الحياة، وباطنه بنور المعرفة، وغير الذاكر بالبيت الذى ظاهره عاطل، وباطنه باطل، وقيل:موقع التشبيه بالحى والميت، لما فى الحى من النفع لمن يواليه، والضر عمن يعاديه، وليس ذلك فى الميت(٤).

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٣) رواه مسلم.
(٤) «فتح الباري»(١١/ ٢١٢) لابن حجر.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء.

إن أردتم أن يغفر الله لكم ويبدل سيئاتكم حسنات، فعليكم بذكر خالق الأرض والسموات، قال ﷺ **«مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّـهَ، لاَ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلاَّ وَجْهَهُ، إِلاَّ نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ»**(١).

ويقول ﷺ لما سأله عبد الله بن عمرو: يا رسول الله، ما غنيمة مجالس الذكر؟ قال: **«غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ الْـجَنَّةُ»**(٢).

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، والتائب حبيب الرحمن، أو كما قال، ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين سبحانك ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، يسمع أنين المذنب يشكو ما به من الأضرار، ويبصر دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، وحبيبه ومصطفاه صلى الله

---

(١) صحيح لغيره: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٥٠٤).

(٢) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٥٠٧).

عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان، ما انشق النهار، وأشرق ضياه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

عباد الله...

عبادة الذكر عبادة من أسهل العبادات وأيسرها على المسلم، وتلك رحمة الله ﷻ بعباده وفضله وكرمه، فعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، إنَّ شرائع الإسلام قد كثرت، فأخبرنى بشيء أتشبث به، فقال ﷺ: «**لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّـهِ**»(١).

وفى رواية عند الطبرانى أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال له: يا رسول الله، أى الأعمال أحب إلى الله ﷻ؟!

قال: «**أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله ﷻ**»(٢). وعند البزار قال: أخبرنى بأفضل الأعمال، وأقربها إلى الله ﷻ.

قال المناوى رحمه الله: يعنى أن تلازم الذكر حتى يحضرك الموت، وأنت ذاكر لله قال الطيبى: ورطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أنَّ يُبسه عبارة عن ضده.

والرطوبة فى الزرع علامة على النضارة والاخضرار والحياة، ورطوبة اللسان علامة على استمرار مقومات الحياة له، وعكس الرطوبة اليبس والجمود، وهو يعنى التحجر والموت والقساوة.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي واللفظ له، وابن ماجه وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٩١).

(٢) صحيح: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني، واللفظ له، والبزار وابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (١٤٩٢).

أحبتى فى الله...

ما هى أنواع الذكر؟

والذكر أنواع كثيرة، فهناك ذكر باللسان، وهناك ذكر بالقلب، وهناك ذكر بالقلب واللسان، وهذا أفضل الذكر.

قال أحد العارفين: المؤمن يذكر الله عز وجل بكله، لأنه يذكر الله بقلبه، فتسكن جميع جوارحه إلى ذكره، فلا يبقى منه عضو إلا وهو ذاكر فى المعنى، فإذا امتدت يده إلى شيء، ذكر الله عز وجل، فكف يده عما نهى الله عنه، وإذا سعت قدمه إلى شيء، ذكر الله فغض بصره عن محارم الله، وكذلك سمعه ولسانه وجوارحه مصونة بمراقبته تعالى، ومراعاة أمر الله، والحياء من نظر الله إليه، فهذا هو الذكر الكثير المشار إليه فى قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤١].

والعبد المسلم إذا واظب لسانه على ذكر الله عز وجل انعكس ذلك على قلبه وبصيرته فاستدام ذكر القلب وتأثر لذلك.

اذكر ربك بلسانك حتى يتجاوب معه قلبك، فإذا تجاوب القلب مع اللسان شعر الذاكر بحلاوة الذكر، سئل أبو عثمان النهدى رحمه الله فقيل له: نحن نذكر الله تعالى، ولا نجد فى قلوبنا حلاوة، فقال لهم: احمدوا الله تعالى على أن زين جارحة من جوارحكم بطاعته[1].

قال التاج بن عطاء الله: لا تترك الذكر مع عدم الحضور، فعسى أن ينقلك منه -أى باللسان- إلى ذكر مع الحضور، ومنه إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز[2].

واللسان مترجم عن القلب، فمن عظم الله فى قلبه، ترجم لسانه، فسبح وهلل وكبر ومن خافه تضرع ودعا.

---

(١) «الرسالة القشيرية» (ص٣١٣).

(٢) «فيض القدير» (٣/ ٦٣٤) للمناوي.

قال ﷺ: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**» قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: «**حلق الذكر**»[1].

اللَّهُمَّ اجعلنا من الذاكرين، ولا تجعلنا من الغافلين، اللَّهُمَّ أيقظ قلوبنا من الغفلة، ووفقنا بحسن الإقبال عليك، والإصغاء إليك، ووفقنا للتعاون فى طاعتك، والمبادرة إلى خدمتك، وحسن الأدب فى معاملتك والتسليم لأمرك، والرضا بقضائك، والصبر على بلائك، والشكر لنعمائك اللَّهُمَّ امنن علينا بإصلاح عيوبنا، واجعل التقوى زادنا وزخرنا، وفى عبادتك اجتهادنا، وعليك توكلنا واعتمادنا.

اللَّهُمَّ إنا نسألك الخير كله عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وأجله ما علمنا منه وما لم نعلم.

اللَّهُمَّ إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللَّهُمَّ ارحمنا فإنك بنا راحم، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر، والطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]، اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم. وأقم الصلاة.

۞۞۞۞۞

---

(١) حسن: حسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٥٦٢)، و«صحيح سنن الترمذي» (٣٥١٠).

الخطبة السابعة والعشرون

فاضت عيناه (البكاء من خشية الله)

الحمد لله، إلهى.

يــا مــن لــيس لي مــنه مجــير بعفــوك مــن عــذابك اســتجير
أنــا العــبد المقــر بكــل ذنــب وأنــت الــسيد المــولى الغفــور
فــإن عذبتنــي فبــسوء فعــلي وإن تغفــر فأنــت بــه جديــر
أفــر إلــيك مــنك وأيــن إلا إلــيك يفــرُّ مــنك المــستجير

أحمدك ربى وأستعينك وأستهديك، وأتوب إليك وأستغفرك، لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، جل وجهك، وعظم سلطانك ولا إله غيرك وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

يمشى مالك بن دينار ذات ليلة فى إحدى شوارع البصرة، فيجد شابًّا ملقىً على الأرض، فنظر إليه، فإذا شفتاه مخمورتان، ويردد قائلًا: الله. الله، الله.

فقال مالك: لا ينبغى لهذا الاسم العظيم أن يخرج من بين شفتين مخمورتين، فأتى بماء وغسَّل فم الرجل، وذهب الإمام مالك بن دينار لينام، فرأى فى المنام من يقول له: يا مالك، طهرت فمه لأجلنا، فطهرنا قلبه لأجلك ثم قام مالك فى هزيع الليل، وذهب إلى المسجد، فوجد شابًّا يئن ويبكى بكاء الثكلى ويقول: يا رب، قبلت توبتى، فأهنيء نفسى، أم رددتها، فأعزيها؟ فذهب إليه، وقال له: كيف حالك مع الله؟ فقال له: إنَّ الذى هدانى، قد أخبرك بحالى وأنت نائم.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا، محمدًا رسول الله ﷺ نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة.

وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتبعها إلا كل منيب سالك، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وعلى من سار على دربهم، واهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب الحبيب محمد ﷺ...

وما زال اللقاء موصولًا مع الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وكنا قد تحدثنا فى اللقاء الماضى عن رجل ذكر الله خاليًا، ونتحدث اليوم عند قول النبي ﷺ: «**فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»، أى بكى خوفًا وخشية من الله ﷻ هذا لأن الذاكر لربه ومولاه، قد استشعر عظمة الله تعالى وجلاله وهيبته وذلك أن القلوب إذا استشعرت عظمة ملك الملوك، ملكها الخوف منه سبحانه والخشية والرهبة - خشية الله تعالى، التى ملكت قلوب العارفين، واستحوذت على أفئدة الصادقين.

وهذا النوع من البكاء هو أجل أنواع البكاء وأعظمها أجرًا عند الكبير المتعال جل فى علاه، وقد قسم العلماء البكاء إلى سبعة أنواع.

قال يزيد بن ميسرة رحمه الله: البكاء من سبعة أشياء: البكاء من الفرح، البكاء من الحزن، والفزع، والرياء، والوجع، والشكر، وبكاء من خشية الله تعالى فذلك الذى تطفئ الدمعة منها أمثال البحور من النار».

أحبتى فى الله...

دمـــوع الخائفـــين أعـــلى دمـــوع
وبكـــاء المخبتـــين أحـــلى بكـــاء
وأنـــين المنيبـــين أصـــدق أنـــين

ما أعظم دموع الخوف من الله ﷻ إذا أهملت من عيونهم! هنالك تتنزل الرحمات وتكتب الحسنات، وترفع الدرجات.

قال سيدنا عبد الله بن عمر ﷺ: «لأن أدمع من خشية الله ﷻ، أحب إليَّ من أن أتصدق بألف دينار».

فكم مرة ذرفت أعيننا من خشية الله؟ كم مرة تأثرت قلوبنا بكلام الله تعالى؟ من منا وقف عند قوله تعالى واصفًا الأنبياء عليهم السلام: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: ٥٨]. ثم بكى وسجد باكيًا.

أو وقف عند قوله ﷻ - وهو يصف أهل العلم والصلاح والهدى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴾ [الإسراء: ١٠٩]. فتأثر واقتدى بهؤلاء؟

عباد الله...

إنّ البكاء من خشية الله ﷻ مقام عظيم، وهو مقام الأنبياء والصالحين، إنه مقام الخشوع، وإراقة الدموع من الخوف من الله ﷻ، إنه التعبير عن حزن القلب، وانكسار الفؤاد.

إنه من أعظم الأمور التى يحبها الله ﷻ، فعن أبى أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّـهِ ﷻ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِى خَشْيَةِ اللَّـهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِى سَبِيلِ اللَّـهِ...**»(١).

وهو أى الباكى من خشية الله ﷻ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله فهو سبب النجاة من هول القيامة، بل قد صرح النبى الأعظم، والرسول الأكرم ﷺ باستحالة دخول من بكى من خشية الله النار، فقال النبى المختار ﷺ: «**لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ، حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِى الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِى سَبِيلِ اللَّـهِ، وَدُخَانُ جَهَنَّمَ**»(٢).

---

(١) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٢٦) عن أبي أمامة.

(٢) صحيح: رواه الترمذي والحاكم، والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٦٩)، و«صحيح الجامع» (٧٧٧٨).

وقال: «**عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ**»[١].

أخي المسلم...

دموع تذرفها من خشية الله، غنيمة غالية تفوز بها، وبشرى لك إن حرصت عليها.

قال أبو حازم رَحِمَهُ اللهُ: بلغنا أن البكاء من خشية الله، مفتاح لرحمته، وهذا عمر ابن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ يقول للحارث بن عمير: يا أبا الجودى، اغتنم الدمعة تسيلها على خدك لله.

فهنيئًا لمن أسعفته الدمعات، قبل يوم الحسرات!

هنيئًا لمن تعجل البكاء قبل حسرات يوم اللقاء!

فيا من شغلتك دنياك بغفلاتها؟ ويا من صدته الشهوات بأباطيلها! أنسيت أنك فى ملك من ليس كمثله شيء؟

أنسيت أنك معروض يوم العرض على أحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين؟!

تذكر أنك إليه راجع، وهو أقرب إليك من حبل الوريد؟!

تذكروا حبيبكم وأستاذكم ومعلمكم سيدنا محمدًا ﷺ يقول عبد الله بن الشخير رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ يصلى وفى صدره أزيز كأزير الرحا من البكاء.

كان حبيبنا ﷺ من أشد الناس خشية وبكاء من خشية الله عز وجل، قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: قال لى رسول الله ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ الْـقُرْآنَ**».

قُلْتُ يا رسول الله: آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٣٢٢).

قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي». فقرأ من أول سورة النساء، حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤١، ٤٢].

قال: فرفعت رأسي، فإذا عيناه تذرفان الدموع، وقال لي: «أمسك يا ابن مسعود» أي كف عن القراءة[١].

وهذا سيدنا عبيد بن عمر رحمه الله وكان من التابعين ينقل لنا صورة حية من صور خوفه وبكائه ﷺ من ربه خشية ورهبة منه، فيقول: قلت لعائشة رضي الله عنها: «أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَـمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي».

قُلْتُ: وَاللَّـهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّـهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟

قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]»[٢].

وقد كان هذا هو ديدن إخوانه من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، فهذا نبي الله نوح عليه السلام، وما سمي نوح بهذا الاسم إلا لأنه كان نوّاحًا.

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) صحيح: رواه ابن حبان وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٦٨).

قال مجاهد: كان داود عليه السلام يؤتى بالإناء ليشرب، فما يشرب إلا ثلثه أو نصفه، ثم يذكر خطيئته، فينتحب النحبة تكاد مفاصله يزول بعضها من بعض، ثم ما يتمه حتى يملأه من دموعه(١).

وفى الزهد للإمام أحمد، كان داود إذا عوتب فى كثرة البكاء، قال: دعونى أبكى قبل يوم البكاء، قبل احتراق العظام، واشتعال اللحى، قبل أن يؤمر بى ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون(٢).

وهذا سيدنا يحيى عليه السلام، كان يأكل العشب، وإن كان ليبكى من خشية الله ما لو كان القار على عينيه لخرقه، وكان له خطان فى وجهه من كثرة البكاء، وقال له أبوه زكريا عليه السلام: إنى إنما سألت الله ولدًا تقر به عينى، فقال: يا أبت، إن جبريل عليه السلام أخبرنى أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكّاء.

فيا هذا نح نوح نوح، تحيا حياة يحيى، فالبكاء من خشية الله دليل على صلاح العبد واستقامته، وصفاء قلبه، وهو سمة من سمات الذين أحبهم الله عز وجل، والعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

عباد الله...

وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هكذا يبكون من خشية الله عز وجل، فقد كانوا أتقى الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هانئ مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار، ولا تبكى، وتبكى من هذا -أى من القبر؟

فيقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«إِنَّ الْـقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»**.

---

(١) «الرقة والبكاء» (ص٢٤٧).

(٢) «الزهد» (١/ ١٣٥)، و«الرقة والبكاء» (ص٢٤٧).

وسيدنا أبو بكر رضي الله عنه يقول: من استطاع منكم أن يبكى فليبك، ومن لم يستطع فليتباك.

وبكى أبو هريرة رضي الله عنه فى مرض موته بكاء شديدًا، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إنى لا أبكى على دنياكم هذه، ولكن أبكى على بعد سفرى، وقلة زادى وإنى أمسيت فى صعود على جنة أو نار، لا أدرى إلى أيتهما يؤمر بى(١).

وقرأ ابن عمر رضي الله عنهما: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ﴾ [المطففين: ١]، فلما بلغ ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [المطففين: ٦]، فبكى حتى خرَّ على الأرض، وامتنع من قراءة ما بعده(٢).

وهذا هو الحسن البصرى رحمه الله يبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحنى غدًا فى النار، ولا يبالى(٣).

وعمر بن عبد العزيز رحمه الله بكى يومًا بين أصحابه، فلما سئل عن ذلك فقال: فكرت فى الدنيا ولذاتها وشهواتها، فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضى حتى تكدرها مرارتها.

ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر، إن فيها مواعظ لمن ادكر(٤).

وقال رجل للحسن: أوصنى، قال: رطب لسانك بذكر الله، وند جفونك بالدموع من خشية الله، فقل من طلبت لديه خيرًا فلم تدركه.

وقال خالد بن معدان: إنَّ الدمعة لتطفئ البحور من النيران، فإن سالت على خد باكيها، لم ير ذلك الوجه النار، وما بكى عبد من خشية الله، إلا خشعت لذلك جوارحه، وكان مكتوبًا فى الملأ الأعلى باسمه واسم أبيه، منورًا قلبه بذكر الله عز وجل.

(١) «شرح السنة» للبغوي (١٤/ ٣٧٣).
(٢) «شرح السنة» للبغوي.
(٣) «التخويف من النار» لابن رجب (ص٢٣٠).
(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٨).

ووعظ مالك بن دينار، فتكلم وبكى حوشب بن مسلم، فضرب مالك بيده على منكبه، فقال: ابك يا أبا بشر، فإنه بلغنى أن العبد لا يزال يبكى، حتى يرحمه سيده، فيعتقه من النار.

وكان عبد الواحد بن زيد يقول: يا إخوتاه، ألا تبكون خوفًا من النار؟ ألا إنه من بكى خوفًا من النار، أعاذه الله منها.

يا إخوتاه، ألا تبكون شوقًا إلى الله؟ ألا إنه من بكى شوقًا إلى سيده، لم يحرمه النظر إليه.

يا إخوتاه، ألا تبكون خوفًا من النار؟ ألا إنه من بكى خوفًا من العطش يوم القيامة سقاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة، ثم جعل يبكى حتى غشى عليه.

ورحم الله ثابتًا البنانى، فقد اشتكى عينه، فقال له الطبيب: اضمن لى خصلة تبرأ عينيك، فقال: وما هى؟ قال: لا تبك. قال: وما خير فى عين لا تبكى[١].

وكان الربيع بن خثيم رحمه الله يبكى، تحى تبتل لحيته من دموعه، ثم يقول: أدركنا أقوامًا كنَّا فى جنوبهم لصوصًا.

وهذا هو يزيد الرقاشى رحمه الله بكى أربعين عامًا، حتى تساقطت أشفاره وأظلمت عيناه، وتغيرت مجارى دموعه.

وكان يقول: إخوتاه! ابكوا قبل يوم البكاء، ونوحوا قبل يوم النياحة وتوبوا قبل انقطاع التوبة.

عبادَ الله...

هؤلاء هم أهل الخشية، رجال صدقوا فى الإقبال على خالقهم تبارك وتعالى فامتلأت قلوبهم بالخشية منه، والخوف من بطشه.

---

(١) «الرقة والبكاء» (ص١٥٦).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟

قال: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»، ويقول: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»[1]. أو كما قال، ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله: الذى أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجًا، فصّل وبين، وقرر صراطًا مستقيمًا، ووضح من براهين معرفته وتوحيده سلطانًا مبينًا.

أحمده سبحانه حمد عبدٍ جعل له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا،

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة ترفع الصادقين إلى منازل المقربين درجًا.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، النبى المصطفى، والرسول المجتبى، اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه خير الأنام طريقة، وأهداهم منهجًا، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

إنّ العين لا تدمع إلا إذا صفا القلب، وطهرت النفس.

قال مكحول رحمه الله: أرق الناس قلوبًا، أقلهم ذنوبًا.

فينبغى على المسلم أن يكون خائفًا وجلًا، لأنه يعلم عظمة الله تعالى وبطشه الشديد، فقد وقف على الوعيد، وهو يقرأ كتاب ربه تبارك وتعالى.

وكم من أناس استبدلوا دموع الخشية، ضحكات، وغفلات!

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن أبي الدنيا والبيهقي، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٧٤١).

كأنهم أمنوا ريب المنون، وعظائم الأمور، القرآن لا يهز قلوبهم، ولا يحرك بوعيده دمعهم، ضربت عليهم الغفلة بسياج كثيف، ورتعوا فى أرض الأمانى فى مكان سحيق.

مر الحسن البصرى بشاب وهو مستغرق فى ضحكه، وهو جالس مع قوم فى مجلس فقال له الحسن: يا فتى هل مررت بالصراط؟!

قال: لا، قال: فهل تدرى إلى الجنة تصير أم إلى النار؟!

قال: لا، قال: فما هذا الضحك؟! فما رؤى الفتى بعدها ضاحكًا.

عباد الله...

تذكروا فظائع الأمور التى سوف تقدمون عليها، تذكروا الموت وسكرته، تذكروا القبر وضمته، والصراط وذلته، فلمثل هذه الشدائد سالت دموع العارفين، وانهملت دموع الموحدين المتقين، قالوا: كيف نفرح والموت وراءنا، والقبر أمامنا، والقيامة موعدنا، وعلى جهنم طريقنا، وبين يدى ربنا موقفنا؟

كان محمد بن المنكدر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه، وهو يقول: بلغنى أن النار لا تأكل موضعًا مسته الدموع.

فيا طالبًا للأمن غدًا عليك بالدموع خوفًا وخشية من بطش ملك الملوك.

اللَّهُمَّ اجعلنا نخشاك كأننا نراك، وأسعدنا بتقواك، ولا تجعلنا بمعصيتك من المطرودين، وارضنا بقضائك يا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، واهدنا سواء السبيل، واغفر لنا ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات.

اللَّهُمَّ تول أمرنا، وارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، واغفر ذنبنا... اللَّهُمَّ أصلح أحوالنا واختم بالصالحات أعمالنا وآجالنا.

اللَّـهُمَّ اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم أن نلقاك وأنت راضٍ عنا..

اللَّـهُمَّ أرنا الحق حقًّا وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واهدنا سبل الرشاد... واهدنا اللَّـهُمَّ لما اختلف فيه من الحق بإذنك، وأخرجنا من الظلمات إلى النور برحمتك يا أرحم الراحمين!

اللَّـهُمَّ احفظ ديار المسلمين من كل سوء ومكروه. اللَّـهُمَّ رد كيد الكائدين، وادفع شرور المعتدين، وسلم ديار المسلمين، واحقن دماءهم، واحفظ أعراضهم وأموالهم يا رب العالمين، اللَّـهُمَّ رد كيد الأعداء في نحورهم، واشغلهم في أنفسهم، واجعل الدائرة عليهم، لا ترفع اللَّـهُمَّ لهم راية، ولا تبلغهم غاية، واجعلهم اللَّـهُمَّ لمن خلفهم آية، وأنزل اللَّـهُمَّ بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللَّـهُمَّ برحمتك ألف بين قلوب المسلمين، اللَّـهُمَّ أصلح ذات بينهم، واهدهم سبل السلام، وجنبهم الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن. اللَّـهُمَّ ارفع عنا الغلاء والوباء والربا والزنا والزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منا وما بطن يا من يجير ولا يجار عليه. نسألك أن تجيرنا من الخزي في الدنيا، ومن العذاب والخزي في الآخرة اللَّـهُمَّ هون علينا سكرات الموت.

اللَّـهُمَّ ذكرنا النطق بالشهادة إذا يبس منا اللسان وارتخت اليدان، وبردت القدمان، والتصقت الساقان، اللَّـهُمَّ اجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللَّـهُمَّ فاطر السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام إنا نعهد إليك في هذه الحياة الدنيا نشهدك وكفى بك شهيدا إنك أنت الله لا اله ألا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدًا عبدك ورسولك وأن وعدك حق، والجنة حق، والنار حق وأنك تبعث من في القبور، وأنك إن تكلنا إلى أنفسنا تكلنا إلى ضعف وعورة وذنب وخطايا، وإنا

لا نثق إلا برحمتك فاغفر لنا وارحمنا يا أرحم الراحمين، اللَّـهُمَّ أحسن ختامنا وأن لا تميتنا إلا وأنت راض عنا غير غضبان.

اللَّـهُمَّ ارحمنا إذا أوحشنا المكان، وفارقنا الأهل والإخوان، وجاورتنا الديدان، اللَّـهُمَّ أدركنا هناك برحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّـهُمَّ ارحمنا تحت الأرض، واسترنا فوق الأرض، ولا تفضحنا يوم العرض، يا أ رحم الراحمين، اللَّـهُمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]، اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.



الخطبة الثامنة والعشرون

تظلل بظل عرش الرحمن وأنظر معسراً

الحمد لله رب العالمين، بهرت عظمته عقول العارفين، وبهرت أنواره بصائر السالكين، وظهرت بدائعه لنواظر المتأملين، سبحانه سبحانه، مقيل عثرات المذنبين، وغافر خطايا المستغفرين، أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، أوسع من أعطى، وأكرم من قصد، وأرحم من استرحم، وأعز من التجئ إليه، وأكفى من تُوكل عليه، لا ند له، ولا صاحبة له، ولا ولد له، نحمده ونستعينه ونستهديه ونثنى عليه الخير كله، نشكره ولا نكفره، ونخلع ونترك من يفجره، إياه نعبد، وله نصلى ونسجد، وإليه نسعى نرجو رحمته، ونخشى عذابه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، القلوب له مفضية، والسر عنده علانية، الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه، لا يطاع إلا بإذنه، ولن يعصى إلا بعلمه، يطاع فيشكر، ويعصى فيغفر، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، حن الجذع إليه حين فارقه لما صُنع له منبر يخطب عليه، فحن الجذع إلى فراقه، حتى سمعه الصحابة فقال له رسول الله، إن شئت أن أغرسك فى البستان، وينبت لك فروع وثمر؟ وإن شئت دعوت الله أن يغرسك فى الجنة فيأكل منك الأنبياء والصالحون، فقال: بل فى الجنة يا رسول الله.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك على من أيده ربه بالمعجزات الباهرات وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

وما زلنا نواصل اللقاء مع الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وفى بداية هذا اللقاء الطيب المبارك، أوصيكم ونفسى بتقوى الله ﷻ فإنه قد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذى جمعنا فى هذا اليوم المبارك أن يظلنا يوم القيامة فى ظل عرشه، وأن يحشرنا مع حبيبنا وطبيب قلوبنا سيدنا محمد ﷺ فى الفردوس الأعلى، إنه ولى ذلك والقادر عليه ولقاؤنا اليوم مع صنف آخر من الأصناف الذين يظلهم الله يوم القيامة، وهم الذين يُنظرون المعسرين، ويتجاوزون عن المعسرين، قال عنهم النبى الأمين ﷺ: **«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّـهُ ﷻ فِى ظِلِّهِ»**(١).

وعند الإمام أحمد والترمذى من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّـهُ يَوم القِيامة تحت ظِلِّ عَرشه، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ»**(٢).

---

(١) رواه مسلم عن أبي اليسر، وأحمد في «تفسيره».

(٢) رواه أحمد والترمذي، وقال: حسن صحيح.

ومعنى أنظر معسرًا أى أمهل مديونًا فقيرًا، أو وضع عنه -أى حط عنه من دينه - أظله الله فى ظله أى وقاه الله ﷻ من حر يوم القيامة، أو أظله فى عرشه حقيقة، أو أدخله الجنة.

قال المناوى: وإنما استحق المنظر ذلك، لأنه آثر المديون على نفسه، وأراحه فأراحه الله ﷻ، والجزاء من جنس العمل[(١)].

وقد جاء فى رواية لأحمد والحاكم عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال: **«من أنظر معسرًا، فله بكل يوم مثله صدقة، قبل أن يحل الدين، فإذا حل الدين فأنظره، فله بكل يوم مثلاه صدقة»**[(٢)].

هذا جزاء آخر عظيم من عند الله الكريم، صاحب الفضل والإنعام، والجود والإكرام الإمام السبكى يقول: وزع الله ﷻ أجره على الأيام يكثر بكثرتها، ويقل بقلتها، وسره ما يقاسيه المُنظِر من ألم الصبر مع تشوق القلب لماله فلذلك كان ينال كل يوم عوضًا جديدًا، وقد تعلق بهذا من ذهب إلى أن إنظاره أفضل من إبرائه، فإن أجره، وإن كان أوفر، لكنه ينتهى بنهايته.

أيها الأحبة الكرام...

ما معنى كلام السبكى رحمه الله؟ معناه: أن الله ﷻ يعطى من أنظر صاحب الدين قبل حلول أجله بكل يوم صدقة، فكلما زادت مدة الإنظار زاد الجزاء، وكلما قلت المدة، قل الجزاء، فإن المنظر لصاحب الدين يتشوق قلبه إلى ماله، فكل يوم يعطيه الله أجرًا جديدًا، وإذا حل الدين فأنظره فقد جعل الله له بكل يوم مثلاه أو مثليه من الصدقة، فما أعظم الأجر من عند الله إنّ رب العزة والجلال سبحانه

(١) «فيض القدير» (٦/ ٨٩).
(٢) صحيح: رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٠٧)، و«صحيح الجامع» (٦١٠٨).

وتعالى يأمر بالصبر على المعسر، الذى لا يجد وفاء دينه، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

دين الإسلام، دين رحمة، دين يسر وتيسير، ليس كما كان أهل الجاهلية يفعلون، كان أحدهم يقول لمدينه: إذا حلَّ الدين عليَّ، فإما أن تقضى الدين، وإما أن تربى، ثم ندب الله ﷻ الدائن إلى المدين، ووعده على ذلك الأجر الجزيل، والجزاء العظيم، فقال سبحانه: ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، معناه: وأن تتركوا رأس المال بالكلية، وتضعوه عن المدين، لكن لماذا اهتم الإسلام بشأن الدين؟

اهتم الإسلام بشأن الدين، لأن الرجل الحر كان يباع فى دينه وبسببه كان المدين إذا أعسر عن دفع دينه، كانوا يبيعونه، فيصير عبدًا رقيقًا بسبب تعسره عن دفع ما عليه من دين، فجاءت الشريعة الإسلامية الرحيمة بغير هذا، جاءت بالحث والندب إلى الصدقة، والسماح للمدين المعسر لما فيه من التعاطف والتراحم بين الناس، وبر بعضهم ببعض.

قال النبي ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّـهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْـقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّـهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّـهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّـهُ فِى عَوْنِ الْـعَبْدِ مَا كَانَ الْـعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ...»(١).

وجاءت سنة الحبيب ﷺ بالحث على التجاوز عن المعسر، وإنظار المعسر، فعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تَلَقَّتِ الْـمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ: فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْـخَيْرِ شَيْئًا؟

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما.

قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِى أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْـمُوسِرِ، قَالَ: فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ»(١).

وفى رواية عن أبى هريرة رضي الله عنه: «**كَانَ الرَّجُلُ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّـهُ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا. فَلَقِيَ اللَّـهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ**»(٢).

قال الإمام القرطبى فى تفسيره: إنظار المعسر تأخيره إلى أن يوسر، والوضع عنه: إسقاط الدين عن ذمته، وقد جمع المعنيين أبو اليسر لغريمه حيث محا عنه الصحيفة وقال له: إن وجدت قضاء فاقض وإلا أنت فى حل.

وروى مسلم عن حذيفة قال: «**أُتِىَ اللَّـهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّـهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِى الدُّنْيَا؟- قَالَ: وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّـهَ حَدِيثًا - قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِى مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِى الْـجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْـمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْـمُعْسِرَ. فَقَالَ اللَّـهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِى**»(٣).

وتأملوا هذا الصحابى الجليل إنه قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج وابن سيدهم، باع مالًا من معاوية بتسعين ألفًا، فأمر من نادى فى المدينة، من أراد القرض، فليأت، فأقرض أربعين ألفًا، وأجاز بالباقى، وكتب على من أقرضه صكًّا، فمرض مرضًا شديدًا، ومع ذلك قلّ عواده، فقال لزوجته، قريبة أخت الصديق: لم قلَّ عُوادى؟ قالت للدين، فأرسل إلى كل رجل بصكه، وقال: اللَّهُمَّ ارزقنى مالًا وفعالًا، فإنه لا تصلح الفعال إلا بالمال(٤).

وفى لباب الآداب لابن منقذ: مرض قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه فاستبطأ

---

(١) رواه مسلم والبخاري بنحوه.

(٢) رواه مسلم والترمذي وغيرهما، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٠٧) للذهبي.

إخوانه من عيادته، فسأل عنهم، فقيل له: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله مالًا يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديًا فنادى: من كان لقيس عليه دين فهو فى حلٍّ منه، فكسرت درجته بالعشى، لكثرة عواده(١).

عباد الله...

إن إنظار المعسر، أو الوضع عنه من باب التفريج عن المؤمن كربه، والنبى صلوات ربى وسلامه عليه يقول: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّـهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْـقِيَامَةِ**»(٢).

قال سيدنا الحسن البصرى رحمه الله: يقول أحدهم: أحج، أعتمر، أصلى، أصوم، أزكى، هل هذه هى العبادة فحسب؟! لا، فرج عن مكروب، صل منقطعًا، صل رحمًا، فهذه هى العبادة.

وقد صدق والله، فبعض الناس، ما له همٌّ ولا غم إلا الصلاة فى كل وقت، لكن إذا رآه الناس كشر عن أنيابه فى وجوههم، عبس وانقبض، لا يعرف صلة ولا برًّا، ولا خلقًا، ولا مساعدة ولا معاونة، أيظن العبد أن الأجور فقط فى: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد؟ بل الأجور عدد الأنفاس.

الحسن البصرى رحمه الله أرسل إلى ثابت البنانى العابد الكبير، والتابعى الجليل لقضاء حاجة رجل، فأراد أن يرسل ثابتًا شفيعًا لهذا الرجل، فقال: اذهبوا إلى ثابت فى المسجد، ليذهب مع الرجل، فذهبوا إلى ثابت، فوجدوه يصلى فى المسجد، فأخبروه الخبر، فقال: لا، أنا معتكف، والمعتكف لا يخرج فرجعوا إلى الحسن، فأخبروه، فقال: اذهبوا إليه، وقولوا له: يا أعيمش أظننت أن صلاتك أو اعتكافك هو العبادة، والله لذهابك لقضاء حاجة أخيك المسلم خير عند الله من اعتكافك فى المسجد شهرًا، فلما أخبروه ترك الاعتكاف وذهب معهم.

---

(١) «لباب الآداب» لأسامة بن منقذ (ص٣٤).
(٢) سبق تخريجه.

قال ﷺ: **«أحب الناس إلى الله، أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ، سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضى عنه دينًا أو يطرد عنه جوعًا، ولأن أمشى مع أخٍ فى حاجة أحب إلىَّ من أن أعتكف فى هذا المسجد -مسجد الرسول- شهرًا، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كتم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه فى حاجة، حتى تُهيأ له، أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام»**[1].

قال وهب بن منبه: إنَّ أحسن الناس عيشًا، من حسن عيش الناس فى عيشه، وإن من ألذ اللذة: الإفضال على الإخوان.

وقيل لابن المنكدر رحمه الله: أى الأعمال أفضل؟ قال: إدخال السرور على المؤمن، قيل له: فأى الدنيا أحبُ إليك؟

قال: الإفضال على الإخوان – أى التفضل عليهم بأى نوع من أنواع الفضل، كإنظار المعسر، أو التجاوز عنه.

وحبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: إنَّ لله عبادًا يستريح الناس إليهم فى قضاء حوائجهم، وإدخال السرور عليهم، أولئك هم الآمنون من عذاب الله تعالى.

فتصوروا أيها الأحبة الكرام -أى نفع ينفعه المسلم لأخيه المسلم حين يتجاوز عن المعسر، أو ينظره، أى سرور يشعر صاحب الدين عندما يعفو عنه الدائن أو يحط عنه، أو يتجاوز عن بعض دينه؟ وإنه لنفع عظيم، وسرور كبير، وتيسير على المعسر، وتنفيس عن المكروب المهموم، لأنه كما يقولون: الدين همٌّ بالليل، ومذلة بالنهار.

(١) حسن: رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج»، والطبراني عن ابن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٧٦).

وفى صحيح البخارى من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاَهُنَّ مَنِيحَةُ الْـعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّـهُ بِهَا الْـجَنَّةَ**»(١).

فيدخل فيها: الكلمة الطيبة، والمصافحة، والابتسامة، وأن تعين أخاك المسلم وتنفس كربه، وتزيح همه وغمه.

وهل هناك همٌّ وكرب أشد من أن رسول الله ﷺ كان لا يصلى على من عليه دين حتى يُقضى عنه دينه، فقد أُتى إلى النبي ﷺ يومًا بجنازة ليصلى عليها، فقال: «**صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ فَإِنَّ عَلَيْهِ دَيْنًا**».

فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: أَنَا أَتَكَفَّلُ بِهِ. قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «**بِالْـوَفَاءِ؟**».

قَالَ: بِالْـوَفَاءِ. وَكَانَ الَّذِى عَلَيْهِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ، أَوْ تِسْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا(٢).

واسمعوا هذا الحديث العجيب، الذى يجعل المدين فى هم وفى غمٍّ، حتى يحط عنه الدائن أو ينظره، أو يسامحه فيه، فقد قال الحبيب النبي ﷺ: «**اسمحوا يسمح لكم**»(٣)، وقال: - «**أَدْخَلَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ الْـجَنَّةَ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًا، وَبَائِعًا، وَقَاضِيًا، وَمُقْتَضِيًا**»(٤).

سامحوا وتجاوزوا، لتنفعوا إخوانكم، أو تفرجوا همومهم، فالمدين لو مات لم يدخل الجنة، حتى يقضى دينه، فعن سعد بن الأطول قال: مات أخى وترك

---

(١) رواه البخاري وأبو داود وغيرهما.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٠٦٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد والطبراني في «الكبير» والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٨٢).

(٤) حسن: رواه أحمد وابن ماجه والنسائي عن عثمان، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٧٤٣).

ثلاثمائة دينار، وترك أولادًا صغارًا، فأردت أن أنفق عليهم - أى هذا المال الذى ترك - فقال لى رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَخَاكَ مَحْبُوسٌ بِدَيْنِهِ فَاقْضِ عَنْهُ**»(١).

حتى المجاهد فى سبيل الله، لو قتل فى الجهاد، وصار من الشهداء، فإن الله ﷻ يغفر له كل ذنوبه إلا الدين، ففى الموطأ وصحيح مسلم، أن رسول الله ﷺ حث الأمة، وأصحابه على أفضل الأعمال، وهما الجهاد، والإيمان فى سبيل الله فقام رجل، وقال يا رسول الله، إن قُتلت فى سبيل الله، تكفر خطاياى؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِى سَبِيلِ اللَّـهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلاَّ الدَّيْنَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ لِى ذَلِكَ**»(٢).

وقال كما روى عنه عبد الله بن عمرو: «**يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلاَّ الدَّيْنَ**»(٣).

عباد الله...

اتقوا الله حق تقاته، وفرجوا هموم إخوانكم، ونفسوا كروبهم، ينفس الله عنكم، ويفرج همومكم فى الدنيا والآخرة، فالجزاء من جنس العمل واقضوا حوائج إخوانكم، ويسروا على الموسرين، وأنظروا المعسرين، واقضوا عن المدينين.

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدًا: كتاب الله وسنتى**»(٤).

أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»، ادعوا الله.

---

(١) صحيح: رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٥٠)، و«الصحيحة» (٣٤١٥).

(٢) رواه مسلم ومالك في «الموطأ».

(٣) رواه مسلم.

(٤) صحيح: رواه الترمذي وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٧٧).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، أيقظ الغافلين، ونفع بالتذكرة المؤمنين، عرفوا ما لربهم من الحقوق، فقاموا بها، وما عليهم من الواجبات لخلقه فأدوها.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أمر وقضى، ولا يأمر ربك إلا بالعدل والإحسان.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أزكى البشرية وأبرها بحقوق الله ﷻ اللَّهُمَّ صلِّ عليه، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارض اللَّهُمَّ عن أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

تعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واعلموا أن الدنيا فانية زائلة، يا أصحاب الأموال، ليس للكفن جيب، ولن تأخذوا معكم أموالكم إلى قبوركم، ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ** ﴾ [الأنعام: ٩٤]. ولا يترك وراء الظهر إلا كل تافه حقير.

عبيد الدراهم والدنانير أذيال الدنيا، الحقراء التافهون، لا همَّ لهم ولا مقاصد، مطالبهم فى الحياة كساء وغذاء ولذة.

بخلاء جبناء، ألسنتهم والغة فى أعراض الأوفياء، وأيديهم مقبوضة عن العطاء وقلوبهم قاسية مليئة بالبغضاء، يحبون العاجلة فيعملون لها، ويتحابون من أجلها، ويرتاحون لذكرها، يحبون العاجلة فيخدمونها، يحبون العاجلة وهى عاجلة فى سعادتها فلا تدوم، عاجلة فى راحتها فلا تبقى، عاجلة فى عمرها فلا تستمر، إنهم قيام فى ليالى الهوى على أقدام الطمع، ووقوف على أبواب الشح، يستعجلون شهواتهم، ويبحثون عن رغباتهم، وهم سكارى فى غفلاتهم.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم ألا يجعلنا من عبيد الدراهم والدنانير، كما أسأله أن يوفقنا إلى صالح الأعمال، وبلوغ المآل، اللَّهُمَّ أحسن خاتمتنا -اللَّهُمَّ من أراد بالإسلام والمسلمين شرًّا فاجعل كيده فى نحره، واجعل تدبيره تدميره يا سميع الدعاء، اللَّهُمَّ عليك بالمفسدين فى الأرض، فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ اكشف أمرهم، واهتك سترهم، واجعلهم عبرة للمعتبرين.

اللَّهُمَّ إن زرع الشر والفساد قد نما وترعرع، فقيض له يدًا من الحق حاصدة تقتلع جذوره، وتنزع عنا وعن بلاد المسلمين شروره يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ونعوذ بك منك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

اللَّهُمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللَّهُمَّ فَرِّج هم المهمومين ونفِّس كرب المكروبين واقضِ الدينَ عن المدينين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللَّهُمَّ اغفر لجميع موتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالةِ وماتوا على ذلك، اللَّهُمَّ اغفر لهم وارحمهم وَعَافِهِم واعف عنهم، وأكرِم نُزُلَهُم وَوَسِّع مُدْخَلَهُم، واغْسِلْهُم بالماءِ والثلج والبَرَد، وَنَقِّهِم من الذنوب والخطايا كما يُنَقَى الثوبُ الأبيضُ من الدنس، وأَبْدِلْهُم دارًا خيرًا من دارهم وأهلًا خيرًا من أهلهم وزوجًا خيرًا من زوجهم، وأدخلهم الجنة، وأَعِذْهُم من عذاب القبر ومن عذاب النار.

اللَّهُمَّ اغفر لهم في المهديين واخْلُفْهُم في عَقْبِهِم في الغابرين واغفر لنا ولهم يا رب العالمين، وأفْسِح لهم في قبورهم ونوِّر لهم فيها، اللَّهُمَّ وجازهم بالحسنات إحسانًا وبالسيئات عفوًا وغفرانًا، حتى يكونوا في بطونِ الألحادِ مطمئنين وعند قيام الأشهادِ آمنين.

اللَّـهُمَّ انْقِلْهُم من ضيقِ اللحودِ وَمَرَاتِعِ الدودِ إلى جناتِ الخلود، في سدرٍ مخضود وطلحٍ منضود وظلٍ ممدود وماءٍ مسكوب، اللَّـهُمَّ وارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه، اللَّـهُمَّ اجعلَ القرآن العظيم ربيعَ قلوبنا، ونورَ أبصارنا، وجلاءَ أحزاننا، وذهابَ همومنا وغمومنا، وقائِدَنا وسائقَنا إليك وإلى جناتك جناتِ النعيم، ودارك دار السلام مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

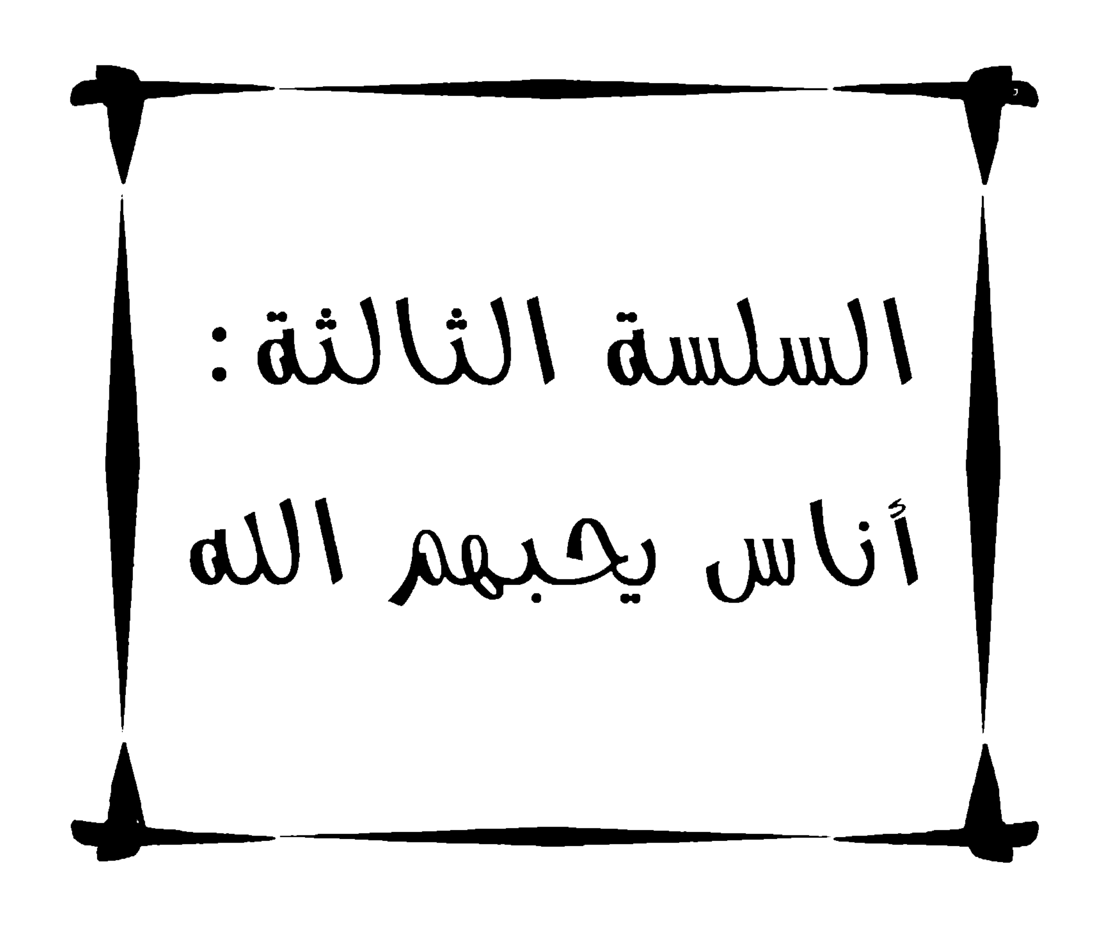
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات إنك سميع الدعاء، يا رب العالمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبنا محمد طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، وأقم الصلاة.


السلسلة الثالثة:
أناس يحبهم الله

الخطبة التاسعة والعشرون

إن الله يحب المتقين

الحمد لله، إلهى، يا حبيب المحبين، ويا أنيس المستوحشين، ويا أمان الخائفين، ويا قابل التائبين، ويا أرحم الراحمين، سبحانك، وفقت العالمين لطاعتك، فوجدوا سعيهم مشكورًا، وحققت آمال الآملين برحمتك فمنحتهم عطاءً موفورًا، وبسطت بساط كرمك للتائبين فأصبح وزرهم مغفورًا.

أنت الواحد الذى من قصد غيرك ضل، وأنت العزيز، الذى من تعرف بسواه زل، وأنت الذى تفرد بصفات الكمال فتعالى وجل.

يا واحدًا في ملكه ما له ثان   يامن إذا قلت يا مولاي لباني
أعصاك تستري أنساك تذكرني   فكيف أنساك يا من لست تنساني

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، من اتقاه وقاه، ومن أقبل عليه كفاه، ومن استطبه لدائه شفاه، ومن أبعده قطعه عن بابه ونفاه لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، نبيه المصطفى، ورسوله المجتبى، خير من أظلته السماء، إمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين، قال عن نفسه: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟، فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»(١).

(١) رواه البخاري ومسلم.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه فى الأولين والآخرين، وفى الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

أما بعد...

أحبتى فى الله...

أسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، بمنه وجوده وكرمه أن يحشرنى وإياكم مع عباده المتقين، وفى زمرة الصالحين، وصحبة نبينا الأمين ونسأله أن يذيقنا حلاوة التقوى فى قلوبنا إيمانًا ويقينًا وإخلاصًا ونعوذ بالله أن يحول بيننا وبين قلوبنا، ونسأله أن يجمعنا مع حبيب قلوبنا ونور أبصارنا، وذهاب همومنا وغمومنا، فى الفردوس الأعلى، إنه ولى ذلك، والقادر عليه.

أيها الموحدون الكرام...

نحن اليوم على موعد بلقاء، ولقاؤنا فى هذا اليوم المبارك، مع صنف آخر من الأصناف التى يحبها الله عز وجل.

هذا الصنف وعدهم الله عز وجل بوعد عظيم، هذا الصنف ما ألمت بهم فتنة ولا محنة، إلا وكان لهم المخرج ما نزل بهم العسر، إلا ومعه اليسر، ما ظهرت لهم كربة إلا وكشفها الله عز وجل، ما ألمت بهم ملمة فضاقت عليهم الدنيا بما رحبت، إلا وجعل لهم منها فرجًا ومخرجًا، أعرفتم من هؤلاء؟ أتدرون من هؤلاء؟

إنهم المتقون، ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ** ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

إنهم المحبوبون، ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ [التوبة: ٤]. وحب الله للمتقين تكرر فى عدة مواضع:

الموضع الأول: فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝** ﴾ [آل عمران: ٧٦].

الموضع الثاني: في قوله تعالى عن مشركي مكة: ﴿ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٧].

الموضع الثالث: في قوله تعالى عنهم كذلك: ﴿ فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤].

فالمتقون هم المفلحون، هم المرحومون، هم المنصورون، هم الذين لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، كما أخبر عنهم ربهم جل في علاه، ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٥].

فما هي التقوى؟ وما هي صفات المتقين؟ وما ثمرات التقوى؟

عباد الله...

التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية، أن يجعل العبد بينه وبين سخط الله وغضبه وعذابه وقاية، تحفظه وتمنعه، سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي الجليل أُبي بن كعب: ما التقوى؟ فقال له: هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ - يعني: هل مشيت في طريق كله شوك؟ - قال: نعم.

قال: فماذا صنعت؟

قال عمر: تشمرت وحذرت، قال: فذاك التقوى.

فصاغه ابن المعتز صياغة بليغة فصيحة، فقال:

خـلِّ الذنـوب صـغيرها وكبـيرها فـذاك التقـى
واصـنع كـماش فـوق أرض الـشوك يحـذر مـا يـرى
لا تحقـرن صـغيرة إنَّ الجـبال مـن الحـصى(١)

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٦٤)، والقرطبي (١/ ١٦١)، وروح المعاني للألوسي (١/ ٩٤)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» عن أبي هريرة وليس أبيًّا.

وعرفها طلق بن حبيب رحمه الله فقال: التقوى هى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله تخاف عقاب الله(١).

التقوى فيها جماع الخير كله، وهى وصية الله عز وجل فى الأولين والآخرين ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١].

وهى خير ما يستفيد الإنسان، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه وقد قيل له: إنَّ أصحابك يقولون الشعر، وأنت ما حفظ عنك شيء، فقال:

يريد المرء أن يؤتى مناه ... ويأبى الله إلا ما أراد

يقول المرء فائدتي ومالي ... وتقوى الله أفضل ما استفاد

التقوى أن يطاع الله فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى وقال سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ليس التقوى بصيام النهار، ولا قيام الليل، والتخليط بعد ذلك، ولكن تقوى الله، ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرًا فهو خير إلى خير.

وقيل: التقى هو من خاف الله فى سمائه، وعظمه فى كبريائه، وصبر على بلائه، ورضى بقضائه، وحمده على آلائه، وشكره على نعمائه، وتواضع لعظمته، وذل لعزته، واستسلم لقدرته، وخضع لهيبته، وفكر فى عقابه وحسابه، خرج على بن أبى طالب رضي الله عنه يومًا إلى المقابر، فلما أشرف عليها، قال: يا أهل القبور، يا أهل البلى، يا أهل الوحشة، ما الخبر عندكم؟ فإن الخبر عندنا، أن الأموال قد قسمت، والأولاد قد يتمت، والزوجات قد تزوجت هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟ ثم التفت إلى من معه، وقال له: لو أذن لهم فى الجواب، لقالوا: إنَّ خير الزاد التقوى، ثم بكى، وقال: القبر صندوق العمل، وعند الموت يأتيك الخبر.

---

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ١٠١) لابن كثير وجامع العلوم والحكم لابن رجب.

فالتقوى هى خير زاد يتزود به العبد إلى ربه، قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ولعظم شأن التقوى فى الإسلام كان النبي ﷺ يفتتح خطبه بها، أى ببعض الآيات التى يأمر الله عباده فيها بالتقوى، وسار الخطباء والوعاظ على هذا السبيل، إذ قلما تخلو خطبة أو موعظة من الوصية بالتقوى والحث على التحلى بها.

فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت لها الأعين، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فأوصنا، فقال ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّـهِ...**»[١]. إلى آخر وصيته المباركة.

وكان كلما طلب منه أحد الوصية، أوصاه بالتقوى، فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أوصنى، فقال: «**أوصيك بتقوى الله، فإنها رأس كل شيء**»[٢]. وفى لفظ: «**عليك بتقوى الله عز وجل فإنها جماع كل خير**»[٣].

وقد أوصى معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال: «**يا مُعاذ اتَّقِ اللَّـهَ حَيْثُما كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْـحَسَنَةَ تَمْحُها**»[٤].

وقد أوصى الله حبيبه محمدًا ﷺ بالتقوى فى مواطن متعددة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الأحزاب: ١].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وأبو داود وابن ماجه وأحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٤٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وصححه الألباني في «الترغيب» (٢٨٦٩)، و«صحيح الجامع» (٢٥٤٣).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» وأبو يعلى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٧٤٦).

(٤) حسن: رواه الترمذي، وحسنه، وأحمد في «مسنده»، والحاكم، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٧).

وقد جعل مولانا سبحانه وتعالى التفاضل بين الناس بميزان التقوى، فقال جل فى علاه: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ينادى يوم القيامة، ويقال: أين المتقون؟ فيقومون فى كنف الرحمن -أى فى ستره ورحمته- لا يحتجب عنهم ولا يستتر، فقيل له: فمن المتقون؟ فقال معاذ: قوم اتقوا الشرك، وعبادة الأوثان، وأخلصوا لله -عز وجل- العبادة.

عباد الله...

لكن ما محل التقوى؟

التقوى محلها القلب، كما أجاب عن ذلك أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ حيث قال: «**التَّقْوَى هَا هُنَا، التَّقْوَى هَا هُنَا**». **وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ**[(١)].

وقال خالد بن شوذب: شهدت الحسن البصرى، وقد أتاه فرقد السنجى -رحمهما الله- وعليه جبة صوف، فأخذ الحسن بتلابيبه، ثم قال له: يا فرقد - مرتين أو ثلاثًا -: إن التقوى ليست فى هذا الكساء، إنما التقوى ما وقر فى القلب، وصدقه العمل.

ففى حديث الرسول الأعظم ﷺ والأثر يدلان على أن التقوى محلها القلوب والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، لذلك كان سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين ﷺ يكثر فى دعائه من قوله: «**يَا مُقَلِّبَ الْـقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِيْنِكَ وَطَاعَتِكَ**»[(٢)].

فما أحوج أن نعمر قلوبنا بتقوى الله عز وجل، لتقينا عاديات الهوى، ووساوس

(١) رواه مسلم.
(٢) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨٠١).

الشيطان، فلا نضعف أمام شهوات النفس، ولا نستسلم لمعنويات شيطان لنكون بحق كما قال بعض الصالحين: «أن يراك الله حيث أمرك، ويفقدك حيث نهاك».

والقلوب فى محل نظر الله ﷻ فى عباده، قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**»(١).

فبادر إلى التقوى، واجعلها لك أخى الحبيب خير زاد، وخير حلة تلبسها، فأنت بلا تقوى عار من كل صفات الجمال والكمال، ولله در من قال:

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى ... تجرد عريانًا ولو كان كاسيًا
وخير لباس المرء طاعة ربه ... ولا خير فيمن كان لله عاصيًا

واطلب قلبك فى ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن، وفى مجالس الذكر، وفى أوقات الخلوة، فإن لم تجد قلبك فى هذه المواطن، فسل الله أن يمن عليك بقلب، فإنه لا قلب لك.

أحبتى الكرام...

لكن ما هى صفات المتقين؟

لا أستطيع أحبتى فى الله أن أستقصى كل صفات المتقين فى هذا المقام، ولكني سوف أشير إلى بعض منها، فقد وردت صفاتهم فى مفتتح سورة البقرة فى قوله جل فى علاه، ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾ [البقرة: ١، ٢].

من هم المتقون يا رب؟

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ٢ - ٥]. فهذه بعض صفاتهم.

---

(١) رواه مسلم.

وهذه صفات أخرى فى نفس السورة، قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهذه صفات أخرى جاءت فى سورة آل عمران ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

من هم؟

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٤، ١٣٥].

تلك هى بعض الصفات لهذا الصنف المبارك، ومن أراد المزيد، فليراجع كتابى (من وصايا القرآن الكريم المجلد الأول) فقد استفضت واستقصيت صفاتهم.

وسئل سيدنا علىٌّ بن أبى طالب رضي الله عنه عن صفات المتقين، فقال: هم الذين منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العمل النافع لهم، نزلت أنفسهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرخاء، لولا الأجل الذى كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقًا إلى لقاء ربهم، عظم الخالق فى نفوسهم، فصغر ما دونه فى أعينهم، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجتهم

خفيفة، صبروا أيامًا قصيرة، أعقبتها راحة طويلة، تجارتهم رابحة، سيرها لهم ربهم، أرادتهم الدنيا، فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها.

أما الليل فصافون أقدامهم، يرتلون أجزاء القرآن ترتيلًا، فإذا مروا بآية فيها تشويق، ركنوا إليها طمعًا، وتطلعت نفوسهم إليها شوقًا، وظنوا أنها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها بمسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم، فهم جاثون على ركبهم يطلبون من الله فكاك رقابهم.

وأمّا النهار، فحكماء علماء، أبرار أتقياء، قد براهم الخوف برى القداح، ينظر الناظر إليهم، فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض.

ومن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى دين، وحزمًا فى لين، وإيمانًا فى يقين، وحرصًا فى علم، وعلمًا فى حلم، وقصدًا فى غنى، وخشوعًا فى عبادة، وتجملًا فى فاقة، وصبرًا فى شدة، وطلبًا فى حلال.

يعمل الأعمال الصالحة، وهو على وجل، يمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، تراه قريبًا أمله، قليلًا ذلـله، الخير منه مأمول، بعيدًا فحشه، لينًا قوله، مقبلًا خيره، الله أكبر هذه صفات عظيمة.

سل نفسك أخى الحبيب ماذا فيك من هذه الصفات النبيلة؟ إن كان فيك شيء من هذه الصفات، فأنت من المتقين، وإن لم تكن فيك بعض هذه الصفات، فشمر عن ساعد الجد، واجتهد حتى تكون من المفلحين، ومن عباد الله المخلصين، وتفوز يوم القيامة برضوان الله رب العالمين.

تخلقوا بأخلاقهم، وارفعوا شعارهم، فقد كانت أخلاقهم القنوع، وشعارهم الخشوع، وأفعالهم السجود لله والركوع، غضوا الأبصار، وأخرسوا الأفواه وعفروا الوجوه والجباه.

يقول النبي ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدًا كتاب الله وسنتى**».

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تدان والتائب حبيب الرحمن، أو كما قال، ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، أعز من توسل إليه بتقواه، وأسعده ووقاه، ورضى عنه وأرضاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، حبب الإيمان إلى من اختارهم من عباده، وزينه فى قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا، عبد الله ورسوله، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين اتقوا ربهم ليلًا ونهارًا، وعملوا الصالحات سرًّا وجهارًا، وجاهدوا فى الله حق جهاده، ففازوا فى الدارين بإعزازه وإسعاده: ﴿ **أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ** ﴾ [الزمر: ١٨].

أما بعد...

أيها الموحدون الكرام...

بقى لنا أن نتعرف على ثمرات التقوى، ما هى ثمرات التقوى؟

بشر الله ﷻ عباده المتقين فى كتابه بشارات عديدة، وجعل للتقوى ثمرات وفوائد جليلة، ومن ذلك:

فأعظم الثمرات للتقوى: معية الله ﷻ للمتقين، قال تعالى: ﴿ **وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ [البقرة: ١٩٤].

ومعية الله ﷻ نوعان: معية خاصة، ومعية عامة، أما المعية العامة: فهى علمه

الشامل وإرادته وإحاطته سبحانه وتعالى بعباده، لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماء ولا فى الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ [المجادلة: ٧].

كان معهم بعلمه، كان معهم بسمعه وبصره، كان معهم بإرادته وقدرته.

إذا مــا خلــوت الدَّهــر يــومًا فــلا تقل خلوت ولكن قل: عليَّ رقيب
ولا تحــسبن الله يغفــل طــرفة ولا أن مــا يخفــى علــيه يغــيب

أما المعية الخاصة فهى معية الله للمتقين، معيته للمحسنين، معيته للموحدين المؤمنين، معية الحفظ والتأييد، والعون والمدد، والعناية والرعاية.

عباد الله...

ومن ثمرات التقوى، ما يحصلون عليه من البركات من رب الأرض والسموات، قال رب الكائنات: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

فلو حققنا تقوى الله ﷻ، لأنزل الله علينا بركات فى أولادنا وأبنائنا، فى بيوتنا، فى أزواجنا، فى أرزاقنا، فى كل حياتنا، ومن ثمراتها: كشف الهم،والرزق بغير حساب، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

لو حققنا التقوى، لأتتنا الدنيا وهى راغمة، لأن الذى يملكها هو من بيده الملك والملكوت، قال ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّـهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّـهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ»(١).

(١) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥١٠).

تقوى الله مفتاح مغاليق القلوب، ومفتاح مغاليق العقول ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

بتقوى الله ينشرح الصدر، بتقوى الله يهتدى الضال،ويتيسر الحال، ويهنأ البال، إى وربى إنه لحق، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد: ٢٨].

بالتقوى ينجو المسلم من المهالك فى الدنيا، ومن العذاب والنار فى الآخرة، ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الزمر: ٦١].

أهل التقوى، هم أهل الجنة، هم أصحاب النعيم الذي لا ينفد، ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

المتقون يغفر الله لهم الذنوب والآثام، ويدخلهم الجنة دار السلام، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

التقوى سبب لتيسير الأمور والحصول على الرزق، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٤].

وهذا سيدنا سلمان الفارسى رضي الله عنه ينزل به ضيف يومًا من الأيام، ولم يكن عنده ما يطعم به الضيف، فخرج إلى الصحراء، فاصطاد غزالًا، ثم عاد إلى ضيفه،

فأكرمه وقضى واجبه، فتعجب الضيف، وقال له: لقد عدت سريعًا، وكأنما اختطفت صيدك من الهواء؟! فقال له: لا تعجب يا أخى، فهل رأيت من يتقى الله، واستعصى عليه شيء؟!

التقوى سبب للمحافظة على الأبناء والذرية بعد الموت، قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩ ﴾ [النساء: ٩].

ولما حضرت عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوفاة، قيل له: أوصى لأولادك فى هذا المال، فقال: أجلسونى، فلما أجلسوه، قال: والله ما منعتهم حقًّا كان لهم، ولم أكن لأعطيهم شيئًا لم يكن لهم، ووصيتى فيهم، وولى فيهم ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وأبنائى بين أمرين: إما أن يكونوا صالحين، فالله يتولى الصالحين، وإما أن يكونوا غير ذلك، فكيف أترك لهم مالًا يستعينون به على معصية الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم قال: ادعوا لى بنىَّ، فدعوهم، فلما حضروا قال لهم: يا بنى، إنى تركت لكم خيرًا كثيرًا، فإنكم لا تمرون بأحد من المسلمين، أو أهل ذمتهم إلا رأوا أن لكم عليهم حقًّا، يا بنى، إن أمامكم خيارين، إمَّا أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، وإما أن تفتقروا، ويدخل الجنة، ولا أحسب أنكم تؤثرون إنقاذ أبيكم من النار على الغنى، ثم نظر إليهم فى رفق وقال: قوموا عصمكم الله، قوموا رزقكم الله.

فاتقوا الله عباد الله: وراقبوا ربكم، واعلموا أن الأيام لكم مطية، فأعدوا العدة قبل المنية، واستغفروا الله من العثرات، ثم اسكبوا حزنًا لها العبرات، فعجبًا لمؤثر الفانية على الباقية، ولبائع البحر الخضم بساقية ولمختار دار الكدر على الصافية، ولمقدم حب الأمراض على العافية.

وعليكم بالجد والاجتهاد، وخلوا هذا الكسل والرقاد، وطريقكم لابد لها من

زاد، ولو تحلى كل واحد منا بالتقوى لحسن عمله، وخلصت نيته، واستقام على الهدى، وابتعد عن المعاصى والردى، وكان يوم القيامة من الناجين.

قال عبد الرحمن الأسدى قلت لسعيد بن عبد العزيز: ما هذا البكاء الذى يعرض لك فى صلاتك؟

قال: يا ابن أخى وما سؤالك عن ذلك؟!

قلت يا عم لعل الله أن ينفعنى بذلك.

قال: ما صليت صلاة إلا تمثلت لى جهنم أمامى.

فاتقوا الله عباد الله، اتقوا الله حق التقوى، فإنَّ أجسادنا على النار لا تقوى.

يا من أمات وأحيا، وأقصى وأدنى، وأسعد وأشقى، وأضل وهدى، وأفقر وأغنى، وأبلى وعافى، وأضحك وأبكى، وقدّر وقضى.

يا من لا يقصد إلا بابك، ولا يتوجه إلا لجنابك.

أنت العلى العظيم الذى لا حول ولا قوة لنا إلا بك.

من نقصد وأنت المقصود، وإلى من نتوجه وأنت الحى الموجود، ومن ذا الذى يعطى وأنت صاحب الكرم والجود، ومن ذا الذى يُسأل وأنت الربّ المعبود.

يا من لا ملجأ منه إلا إليه، يا من يجير ولا يجار عليه.

أمرت ونهيت، وحكمت وقضيت، فلا راد لفضلك ولا معقب لحكمك.

اللَّهُمَّ هب لنا ما وهبت لصفوتك وأوليائك وأهل طاعتك من دائم الذكر لك وخالص العمل لوجهك على أكمله وأدومه وأصفاه وأحبه إليك، اللَّهُمَّ إنا نسألك لذة العيش بعد الموت، وحسن النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك.

اللَّهُمَّ إن لم نكن أهلًا لأن نبلغ رحمتك، فإن رحمتك أهلًا لأن تبلغنا فإنَّ رحمتك وسعت كل شيء، يا أرحم الراحمين.

اللَّـهُمَّ إِنَّا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، اللَّـهُمَّ إِنَّا نسألك من خير ما سألك به عبدك ونبيك، ونعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك.

اللَّـهُمَّ بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينا ما علمت الحياة خيرا لنا وتوفنا إذا علمت الوفاة خيرًا لنا، اللَّـهُمَّ ونسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمةَ الحق في الرضا والغضب، ونسألك القصدَ في الفقر والغنى، ونسألك نعيمًا لا ينفد وقرةَ عين لا تنقطع ونسألك الرضا بالقضاء، ونسألك بردَ العيش بعد الموت، ولذةَ النظر إلى وجهك والشوقَ إلى لقائك، في غير ضراء مضرة ولا فتنةٍ مضلة، اللَّـهُمَّ زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين.

جنبنا الزلازلَ والمحنَ وسوءَ الفتن ما ظهر منها وما بطن، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنًا، سخاءً رخاءً، وسائرَ بلاد المسلمين، واحفظهم من كيد الكائدين وعدوان المعتدين وتَحْرِيفِ الغَالِينَ، وَانْتِحَالِ المُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيْلِ الجَاهِلِيْنَ، وأدمْ عليهم نعمةَ الأمنِ أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبي محمد ﷺ. وأقم الصلاة.

الخطبة الثلاثون

إن الله يحب المحسنين

الحمد لله، يا رب. يا من يقبل التوبة عن عباده. ويعفو عن السيئات، يا من إذا انتهت الشكوى إليه فقد بلغت المنتهى، يا فالق الحب والنوى.

لا إله إلا أنت لك الحمد فى الأولى والآخرة، ولك الحكم وإليك المرجع والمآب، ما من ليلة يختلط ظلامها إلا نادى الجليل:

من أعظم منى جودًا والخلائق عاصون، وأنا أكلؤهم فى مضاجعهم كأنهم لم يعصونى، وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا، أجود بالفضل على العاصى، وأتفضل على المسيء، من ذا الذى دعانى فلم أجبه؟! أم من ذا الذى سألنى فلم أعطه؟ أم من ذا الذى أناخ ببابى فنحيته؟ أنا الفضل ومنى الفضل، وأنا الجواد ومنى الجود، وأنا الكريم ومنى الكرم.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، هو الأول فلا شيء قبله، وهو الآخر فلا شيء فوقه، وهو الآخر فلا شيء بعده.

وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبد الله ورسوله، وحبيبه وخليله، أشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتبعها إلا كل منيب سالك.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه.

أما بعد...

عباد الله...

هيا بنا لنعيش سويًّا مع أولئك الأطهار الأبرار، أولئك الذين أحبهم الله ﷻ، هيا بنا لنعيش مع الذين يعبدون ربهم وخالقهم كأنهم يرونه أتعرفون من هم؟ إنهم المحسنون، أحباب الله ﷻ.

وقد ذكر الله ﷻ أنه يحب هذا الصنف من الناس فى خمسة مواضع فى كتابه سبحانه وتعالى.

الموضع الأول: فى قوله جل فى علاه: ﴿**وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥**﴾ [البقرة: ١٩٥].

أنفقوا أيها الأغنياء من أموالكم، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، لأن الهلاك كل الهلاك فى الشح والبخل، وأحسنوا بأموالكم إلى الناس، وأحسنوا بجاهكم، فاشفعوا لمن دونكم إلى غيركم، واقضوا الحوائج، وفرجوا كرب المكروبين، وعودوا مرضاكم وشيعوا جنائز من مات منكم، فالإحسان هنا يشمل جميع أنواع الإحسان، وكذلك الإنفاق.

أصحاب الأموال يحسنون فى أموالهم، ويخرجون من أكياسهم، فماذا ينفق الفقراء؟ إنَّ لهم إنفاق هم الآخرون، وذلك ببذل الطاعات، وعمل القربات ألم يأت الفقراء إلى خاتم الأنبياء ويقولون له: يا رسول الله.

ذهب أهل الدثور بالأجور، فكانوا يتصدقون ولا نتصدق، ويحجون ولا نحج وفى رواية عند البخارى:

ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون، فقال لهم الرسول الخاتم ﷺ: «**أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ**

أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ، إِلاَّ مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ»(١).

✓ وكان هؤلاء الفقراء يظنون أنه لا صدقة إلا بالمال، لكن رسول الكبير المتعال ﷺ أخبرهم أن الصدقة لا تختص بالمال، وأن الذكر، وسائر أعمال المعروف صدقة، كما فى صحيح مسلم من حديث أبى ذر الغفارى رضي الله عنه أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال ﷺ: «**أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّـهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ بِهِ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْـمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْىٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِى بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»(٢).

✓ فالغنى ينفق من النعم، وإنفاق الفقراء من الهمم، بالاجتهاد فى عمل الطاعات، والإحسان من الأغنياء أن يعرفوا أن الله عز وجل مخلفه عليهم، فيثقون بوعد الله عز وجل والإحسان إليهم، قال النبي ﷺ لبلال رضي الله عنه: «**أنفق ولا تخش من ذى العرش إقلالًا**»(٣).

✓ والموضع الثانى: فى قوله جل فى علاه: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم (٥٩٠).
(٢) رواه مسلم (١٠٠٦).
(٣) رواه البخاري.

إن هؤلاء الأبرار لا يدخرون عن الله ﷻ شيئًا، بل إنهم يتسابقون ويتسارعون بهمتهم وجهدهم إلى مرضاته، ويؤثرونه على جميع الأشياء، ينفقون أموالهم فى الخيرات، وأبدانهم فى الطاعات، وابتغاء القربات.

وأما الموضع الثالث: ففى قوله تعالى: ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

أى آتاهم الله ثواب الدنيا من النصر، والظفر والغنيمة، وفى الآخرة بالفوز برضا ربهم والنعيم المقيم، الذى قد سلم من جميع المنكدات.

والله يحب المحسنين فى عبادة الخالق، ومعاملة الخلق.

وأما الموضع الرابع: ففى قوله جل شأنه: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣].

وأما الموضع الخامس: ففى قوله عز شأنه: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٩٣].

فما هو الإحسان؟ وما هى مجالاته؟ وما فضله؟ وما هى فوائده؟

هذه الأسئلة كلها سنجيب عنها بمشيئة الله ﷻ.

أما الإحسان، فقد عرفه النبي ﷺ وفسره بقوله: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

فإذا اقترن الإحسان بالإيمان والإسلام، كان المراد به، مراقبة الله ﷻ وحسن طاعته، وهذا هو شعور المؤمن دائمًا فى جميع أفعاله، إنه يؤدى العبادة كأنه يرى الله ﷻ، فإن لم يبلغ هذه المرتبة، فأقل ما عليه أن يشعر بأن الله ﷻ يراه، وشعار المؤمن دائمًا فى أدائه لعمله: إنى أرضى ربى.

---

(١) رواه البخاري (١٩٥٥)، ومسلم (٩) عن عمر بن الخطاب.

وربه لا يرضيه منه إلا أن يقوم بأداء عمله فى صورة كاملة متقنة، وهذا ما علمه نبى الرحمة ﷺ للمؤمنين فى قوله ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ عَمَلا أَحَبَّ اللَّهُ أَنْ يُتْقِنَهُ**»(١).

أما إذا ورد الإحسان مطلقًا، فيراد به فعل ما هو حسن.

قال أهل العلم: الإحسان هو فعل ما ينبغى فعله من المعروف، وهو ضربان: أحدهما: الإنعام على الغير - الثانى: الإحسان فى فعله.

عباد الله...

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله عن منزلة الإحسان: الإحسان من منازل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ ﴾ [الفاتحة: ٥]، وهذه المنزلة هى لحب الإيمان وروحه وكماله، وهى جامعة لما عداها من المنازل، فجميعها منطوية فيها، ومما يشهد لهذه المنزلة، قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۞ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

فالإحسان الأول كما قال ابن عباس وغيره: هو قول لا إله إلا الله، والإحسان الثانى: هو الجنة، فيكون المعنى: هل جزاء من قال لا إله إلا الله، وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة.

وقال ابن زيد: هل جزاء من أحسن فى الدنيا، إلا أن يحسن الله إليه فى الآخرة.

وقد قرأ النبي ﷺ الآية الكريمة، ثم قال لأصحابه: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد، إلا الجنة**» وفى هذا الحديث إشارة إلى كمال الحضور مع الله عز وجل، ومراقبته، ومحبته، ومعرفته، والإنابة إليه، والإخلاص له، ولجميع مقامات الإيمان(٢).

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «شعبه» وأبو يعلى في «مسنده»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٨٨٠).

(٢) «مدارج السالكين» بتصرف (٢/ ٤٧٩).

والإحسان يكون فى كل عمل، وفى كل شيء، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّـهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»(١).

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: لو أن العبد أحسن الإحسان كله، وكانت له دجاجة، فأساء إليها، لم يكن من المحسنين.

ولقد أراد أحد المشايخ أن يختبر طلابه وتلاميذه، فأعطى كل واحدة منهم دجاجة وقال: لينفرد كل واحد منكم بالدجاجة، وليذبحها، حيث لا يراه أحد قط فانفرد كل واحد، وذبح إلا واحدًا منهم، فإنه ردَّ الدجاجة، فسألهم، فقالوا: فعلنا ما أمرتنا به، ثم قال للذى ردها: ما لك، لمَ لم تذبح كما ذبح أصحابك؟ فقال ذلك الرجل: لم أقدر على ما اشترط عليَّ، حيث لم أجد مكانًا لا يرانى فيه أحد، فإن الله يرانى فى كل موضع، فعلم الشيخ أن ذلك من المحسنين المراقبين لله عز وجل، ممن قال النبي ﷺ عنهم: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّـهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

إنه مثل هذا الذى مرَّ عليه سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو فى سفر، فقال له: تبيع من هذه الغنم واحدة؟ فقال: إنها ليست لى.

فقال: قل لصاحبها، إنَّ الذئب أكلها، فقال الغلام: وأين الله؟! أى ماذا أقول لربى حين يسألنى عن هذه الشاة؟ إذا كذبت، وإذا خدعت صاحب الغنم، فهل أستطيع أن أخدع ملك الملوك، ومالك الملك؟! والإحسان أولى من العبد أن يحسن إلى نفسه قبل أن يحسن إلى غيره، ثم يحسن إلى الناس على اختلاف قرابتهم له.

لكن كيف يحسن العبد إلى نفسه؟

والجواب أحبتى فى الله، أن يعلم العبد أنه إذا أخذ بلجام نفسه، وقادها إلى طاعة ربه ومولاه، وإلى اتباع رسوله ﷺ فإنه بذلك يكون قد أحسن إليها، قال

---

(١) رواه مسلم.

تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

وقال: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء: ٧].

وإحسان العبد إلى نفسه أن يحاسبها من حين لآخر.

قال قرة بن خالد: سمعت الحسن يقول: فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝ ﴾ [القيامة: ٢].

قال: إنَّ المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول: ما أردت بكلمتى؟ ما أردت بأكلتى؟ ما أردت بحديث نفسى، فلا تراه إلا يعاتبه، وإن الفاجر يمضى قُدمًا لا يعاتب نفسه[1].

يحاسب نفسه، فيقول لها فى كل يوم: اجتهدى اليوم فى أن تعمرى خزانتك، ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التى هى أسباب ملكك، ولا تميلى إلى الكسل والدعة والاستراحة، فيفوتك من درجات عليين، ما يدركه غيرك، وتبقى عندك حسرة لا تفارقك، وإن دخلت الجنة، فألم الغبن وحسرته لا يطاق، وإن كان دون ألم النار؟

وقال بعضهم: هب أن المسيء قد عفى عنه، أليس قد فاته ثواب المحسنين؟![2]

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخاطب نفسه ويحاسبها فيقول لها: بخ بخ، والله بُنى الخطاب، لتتقين الله، أو ليعذبنك[3].

هذا هو الإحسان إلى النفس.

---

(١) «الزهد» لأحمد (٢/ ٢٤٤)، و«الحدائق» (٣/ ١٨٦) لابن الجوزي.

(٢) «الإحياء»(٣/ ٤٨١) للغزالي.

(٣) «الحدائق»(٣/ ١٨٦)، و«الزهد» لأحمد.

أيها المسلمون . . عباد الله...

ومن أعظم أنواع الإحسان: الإحسان إلى الوالدين، لأنهما سبب وجودك في هذه الدنيا، وقد أمر الله ﷻ بذلك، قال تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا** ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال في موضع آخر: ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا** ﴾ [العنكبوت: ٨].

وقال: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا** ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله.

قال: «**فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟**». قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلاَهُمَا. قَالَ: «**فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟**». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا**»(١).

والإحسان إلى الوالدين ينبغي أن يكون إليهما وهما على قيد الحياة، وبعد الحياة بعد الموت، في الحياة: ﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ** ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وبعد موتهما يتواصل الإحسان ﴿ **وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٢٤].

الإحسان بعد الموت، أن يدعو لهما بالرحمة والمغفرة، ﴿ **رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ** ﴾ [نوح: ٢٨].

وهناك نوع آخر من الإحسان، أتدرون ما هو؟

إنه الإحسان إلى الأقارب، كيف يكون هذا النوع من الإحسان؟ إنه يكون بصلة هؤلاء الأرحام، والسؤال عنهم، والزيارة لهم، والوقوف بجانبهم وقت

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٤) كتاب «الجهاد والسير»، ومسلم (٢٥٤٩).

الشدة، والفرح لهم عند فرحهم، قال ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(١).

وقال ﷺ لكى يبين لنا حقيقة الصلة، وحقيقة الإحسان إليهما: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِى إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»(٢).

وهذا رجل يأتى إلى طبيب القلوب، إلى المرشد الأعظم، فيشكو له رحمه وقرابته فيقول: يا رسول الله، إنَّ لى قرابة، أصلهم ويقطعوننى، وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ، فقال ﷺ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»(٣).

✓ **ومن أعظم أنواع الإحسان كذلك: «الإحسان إلى الجار»**

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣٦].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مَا زَالَ يُوصِينِى جِبْرِيلُ بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»(٤).

وفى وصية النبي ﷺ لأبى هريرة رضي الله عنه: «وجاور من جاورت بإحسان تكن مسلمًا»(٥).

و قال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ...»(٦).

---

(١) رواه البخاري (٥٩٨٦)، كتاب «الأدب»، ومسلم (٤٧) كتاب «الإيمان».
(٢) رواه البخاري (٥٩٩١).
(٣) رواه مسلم (٢٥٥٨).
(٤) رواه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٤).
(٥) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢١٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٧٨٣٣).
(٦) رواه مسلم.

وكان لابن المبارك رحمه الله جار يهودى، فكان يطعمه قبل أبنائه، ويكسوه قبل أبنائه، فقالوا لليهودى: بعنا دارك.

قال: دارى بألفى دينار، ألف قيمتها وألف جوار ابن المبارك، فسمع ابن المبارك بذلك، فقال: «اللَّهُمَّ اهده إلى الإسلام»، فهداه الله، فأسلم.

ومرّ عبد الله بن المبارك رحمه الله وهو فى طريقه إلى حج بيت الله الحرام، فوجد امرأة أخذت غرابًا ميتًا من مزبلة، فأرسل فى أثرها غلامه، فسألها، فقالت: ما لنا منذ ثلاثة أيام إلا ما يلقى بها، فدمعت عيناه، وأمر بتوزيع القافلة فى القرية، وترك حجته فى هذا العام ورجع، فرأى فى منامه، من يقول له: حج مبرور، وسعى مشكور، وذنب مغفور.

وهذا فى الإحسان إلى اليتامى، وقد قال النبي ﷺ فى هذا النوع من الإحسان: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ**»[١]، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما، وفى رواية عند مسلم: «**أنا وكافل اليتيم له أو لغيره فى الجنة، والساعى على الأرملة والمسكين، كالمجاهد فى سبيل الله**»[٢].

وروى أن رجلًا شكا إلى طبيب القلوب، ورسول علام الغيوب ﷺ قسوة قلبه، فقال له ﷺ: «**أتحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك يلن قلبك، وتدرك حاجتك**»[٣].

عباد الله...

وتتسع دائرة الإحسان لتشمل الكون كله، بكل ما فيه من نبات وحيوان وجماد فأما عن الإحسان إلى النبات، فإن ذلك يكون برعايته، والاهتمام به وعدم إفساده.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٠٥).
(٢) رواه مسلم (٢٩٨٣) كتاب «الزهد» والرقائق.
(٣) صحيح: رواه الطبراني وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠).

وأما عن الإحسان إلى الحيوان، فإن ذلك يكون برعايته، ويكون بالعطف عليه، ورحمته، وعدم إيذائه، فلقد أخبرنا النبي ﷺ: أنه قد غفر لامرأة مومسة، مرت بكلب على رأس ركى يلهث، كاد أن يقتله العطش فنزعت خفها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك»(١).

وبينما رجل بطريق، إذ اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا، فنزل فيها، فشرب وخرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى -أى التراب المبلل من الندى- من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى، فنزل البئر فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، حتى رقى، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، فقالوا: يا رسول الله، وإن لنا فى البهائم لأجرًا؟ قال: «**فِى كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»(٢).

وعن محمد بن سيرين رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلًا يجر شاة ليذبحها، فضربه بالدرة، وقال: سقها، لا أم لك إلى الموت سوقًا جميلًا(٣).

الإحسان إلى الحيوان حتى عند ذبحه: «**إِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»(٤).

وعن أبى عثمان الثقفى قال: كان لعمر بن عبد العزيز رحمه الله غلام يعمل على بغل له يأتيه بدرهم كل يوم، فجاء يومًا بدرهم ونصف، فقال: أما بدا لك؟

قال: نفقت السوق، قال: لا، ولكنك أتعبت البغل! أجمه ثلاثة أيام(٥).

---

(١) رواه البخاري (٣٣٢١) كتاب «بدء الخلق».

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والبيهقي وابن حبان وغيرهم.

(٣) ذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٦٧)، ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٨١).

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه أحمد في «الزهد» بسند صحيح.

وعن معاوية بن قرة قال: كان لأبى الدرداء جمل يقال له (دمون) فكان إذا استعاروه منه، قال: لا تحملوا عليه إلا كذا وكذا، فإنه لا يطيق أكثر من ذلك، فلما حضرته الوفاة، قال مخاطبًا جمله: يا دمون، لا تخاصمنى غدًا عند ربى، فإنى لم أكن أحمل عليك إلا ما تطيق.

وها هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلس بجوار بعير مريض، فيبكى ويقول: والله إنى لا أدرى ما بك، وإنى لأخشى أن يسألنى الله عنك يوم القيامة.

أحبتى فى الله...

والإحسان لا يقف عند هذا الحد، بل فى جميع المعاملات، بل يمتد ليشمل الحياة كلها بكل ما فيها حتى أداء الدية لولى القتيل، ينبغى أن تؤدى بإحسان، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

معاملة المطلقات، أو من ينوى طلاقهن، قال تعالى: ﴿ ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

كذلك الإحسان في تبادل التحية، ورد السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء: ٨٦].

الإحسان عند التحاور الفكرى والجدال، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومن أجمل معانى الإحسان، التى ينبغى على المسلم أن يتحلى بها العبد حتى آخر لحظة فى حياته، حتى آخر لحظة من لحظات عمره، هى أن يحسن الظن بالله

ﷻ، ولذلك كان إحسان الظن بالله وصية من وصايا رسولنا ﷺ وقبل موته بشهر، قال: «**لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[1].

أحبتى فى الله...

البر لا يبلى والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، والتائب حبيب الرحمن، أو كما قال، ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة يرضى بها عنا، شهادة يدخلنا بها الجنة، ويباعدنا من النار. وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن استن بسنتهم، واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

عباد الله...

ما بقى إلا أن نذكر فضل الإحسان والمحسنين كما بين لنا رب العالمين جل فى علاه فى كتابه الحكيم، فما هو فضله؟

إنَّ له فضلًا كبيرًا، ونفعًا لصاحبه كبيرًا، من هذه الفضائل:

١- إن الله ﷻ لا يضيع أجرهم، بل يمكن لهم فى الأرض، كما قال الله تعالى عن سيدنا يوسف عليه السلام، بعد أن كشف لهم عن هويته: ﴿ **قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف: ٩٠].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب «الجنة وصفة نعيمها»، ورواه أبو داود وابن ماجه في سننيهما.

٢- ومنها: أن الله ﷻ يدخلهم فى رحمته، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

يقول ابن كثير رحمه الله: أى إن رحمته مرصدة للمحسنين، الذين يتبعون أوامره، ويتركون زواجره، كما قال ﷻ: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فكلما كان العبد أكثر إحسانًا، كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريبًا منه برحمته وفى هذا من الحث على الإحسان ما لا يخفى.

٣- ومنها: أنهم يرثون الحسنى وزيادة، قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦].

فالحسنى هى دخولهم الجنة، والزيادة هى رؤية وجه الله الكريم.

فعن صهيب أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ثم قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْـجَنَّةِ الْـجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْـجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّـهِ مَوْعِدًا، يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ.

فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الْـجَنَّةَ وَيُخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْـحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللَّـهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَلاَ أَقَرَّ لأَعْيُنِهِمْ»(١).

٤- ومنها: أن الله ﷻ معهم، يهديهم سواء السبيل، ويسددهم إلى الخيرات، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وهذه المعية، معية خاصة بهم، لأن معية الله ﷻ نوعان: عامة وخاصة فالعامة هى المذكورة فى قوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤].

---

(١) رواه أحمد ومسلم وغيرهما.

وهذه المعية توجب الخوف والحذر والمراقبة، لكن الخاصة توجب التوفيق والنصر.

٥- ومنها: أن الله ﷻ يكفر عنهم سيئاتهم، ويجزيهم بأحسن أعمالهم، ويمتعهم فى الجنة بالنعيم المقيم، قال تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزمر: ٣٤، ٣٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المرسلات: ٤٣، ٤٤].

فما أجمل أن تكون خاتمة الإنسان فى أخراه النعيم المقيم فى جنة الله رب العالمين، إذا كان من المحسنين.

٦- أهل الإحسان لا يخافون، ولا يحزنون.

لا يخافون مما يلاقون، ولا يحزنون على الدنيا، التى سيتركونها من خلفهم.

لأن قلوبهم امتلأت حبًّا للقاء الله ﷻ، وشوقًا إلى جنته ورضوانه، والنظر إلى وجهه الكريم، قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة: ١١٢].

فأحسنوا رحمكم الله، فإن الله يحب المحسنين.

والنبى الأمين يقول: «إِذَا أَحَبَّ اللَّـهُ الْـعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ. فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِى جِبْرِيلُ فِى أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْـقَبُولُ فِى الأَرْضِ»(١).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٧)، كتاب «البر والصلة» ورواه البخاري (٢٩٧٠)، وأحمد في «مسنده» وغيرهم.

فأحسنوا، وتخلقوا بخلق الإحسان، ولا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور، قبل ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨ ﴾ [الزمر: ٥٦ - ٥٨].

اللَّهُمَّ اجعلنا من المحسنين، واجزنا يا ربنا جزاء المحسنين، وارفع درجاتنا فى درجات المحسنين، اللَّهُمَّ أحسن أمورنا، وأحسن أحوالنا، وأحسن عاقبتنا. اللَّهُمَّ قربنا إليك قرب المحسنين، وقرب العارفين، واجعلنا من المقبولين، اللَّهُمَّ حبيب السائلين، وهادى الحائرين، موصل المنقطعين، افتح لنا فتحًا مبينًا بنورك.

اللَّهُمَّ اغفر لنا وارحمنا، اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللَّهُمَّ لا تدع لنا فى مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرته ولا دينًا إلا قضيته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة هى لك رضًا، ولنا فياه صلاح إلا قضيتها يا رب العالمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبى محمد ﷺ وأقم الصلاة.

الخطبة الحادية والثلاثون

إن الله يحب المتوكلين

الحمد لله، قدم من شاء بفضله، وأخر من شاء بعدله، لا يعترض عليه ذو عقل بعقله، ولا يسأله مخلوق عن علة فعله، هو الكريم الوهاب، هازم الأحزاب، ومنشئ السحاب، ومنزل الكتاب ومسبب الأسباب، وخالق الناس من تراب، الواحد الأحد، العزيز الماجد المتفرد بالتوحيد والتحميد، ليس له مثيل ولا نديد، وهو المبدئ المعيد، الفعال لما يريد.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، جل عن اتخاذ الصاحبة والولد، ولم يكن له كفوًا أحد، لم يزل حكيمًا قديرًا، عليمًا خبيرًا، سبق الأشياء بعلمه، ونفذت فيه إرادته، خلق الأشياء بقدرته، ودبرها بمشيئته، وقهرها بجبروته، وذللها بعزته، فذلت له الرقاب، وحارت فى ملكوته فطن ذوى الألباب.

وأشهد أن محمدًا، عبد الله ورسوله، جمع المحامد، وحاز المكارم واستولى على القيم، وتفرد بالمثل، وتميز بالريادة، محمود عند الله، لأنه رسوله المعصوم، ونبيه الخاتم، وعبده الصالح، وصفوته من خلقه، وخليله من أهل الأرض ومحمود لأنه قريب من القلوب، حبيب إلى النفوس، رحمة مهداة، ونعمة مسداة.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وتمسك بسنته صلاة تفتح لنا بها يا ربنا أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها يا ربنا وليًّا ونصيرًا، فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

أحبتى فى الله...

نحن اليوم على موعد بلقاء، ولقاؤنا يتجدد دائمًا بالإيمان، مع أحباب الرحمن،

مع صنف آخر من الذين يحبهم الله ﷻ، إنهم الذين يثقون بما عند الله، هم الذين يعلمون أن العطاء من الله، والمنع من الله والنفع من الله، والضار هو الله، هم الذين فوضوا أمورهم لله وإلى الله أعرفتم من هم؟ **إنهم المتوكلون.**

فهيا بنا لنعيش بقلوبنا وأسماعنا مع هذا الصنف عسى الله ﷻ أن يجمعنا بهم فى الجنة، التى فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

إن شئتم أن تنالوا محبة الله، فانزلوا أولًا فى مقام التوكل، قال الله ﷻ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فما هو التوكل؟ وما مواطنه؟ وهل الأخذ بالأسباب يقدح فى التوكل؟ وكيف علم الرسول الأعظم أمته التوكل على الله؟ وما هى فوائد التوكل؟ كل هذه الأسئلة سنجيب عنها بمشيئة الله تعالى.

أيها المؤمنون عباد الله...

التوكل على الله شعور ويقين بعظمة الله وربوبيته، وهيمنته على الحياة والوجوه والأفلاك والأكوان، فكل ذلك محكوم بحوله تعالى وقوته.

التوكل قطع القلب عن العلائق، ورفض التعلق بالخلائق، وإعلان الافتقار إلى محول الأحوال، ومقدر الأقدار، لا إله إلا هو.

إنه صدق اعتماد القلب على الله ﷻ فى استجلاب المصالح، ودفع المضار منه فى أمور الدنيا والآخرة، فلا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع، ولا ينفع ذا الجد منه الجد.

التوكل صدق وإيمان، وسكينة واطمئنان، ثقة بالله، وفى الله، وأمل يصحب العمل، وعزيمة لا ينطفئ وهجها.

التوكل هو الخروج من الحول والقوة مع السكون إلى رب الأرباب، التوكل على الله خلق عظيم من أخلاق الإسلام، وهو من أعلى مقامات اليقين، وأشرف أحوال المقربين، وهو نظام التوحيد، وجماع الأمر، ومنزلته من أوسع المنازل وأجمعها، وهو مفتاح كل خير، لأنه أعلى مقامات التوحيد، وعبادة من أفضل العبادات، يجب إخلاصها لله ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١].

وقال فى آية أخرى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يونس: ٨٤]. فقد جعل دليل صحة الإسلام، التوكل.

وهو من سمات المؤمنين الصادقين، كما جاء فى صدر سورة الأنفال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢].

قال على بن أبى طالب رضي الله عنه : أيها الناس، توكلوا على الله، وثقوا به، فإنه يكفى مما سواه.

وقال لقمان لابنه واعظًا: يا بنى، إنَّ الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه أناس كثير، فإن استطعت أن تكون سفينتك فيها: الإيمان بالله، وحشوها العمل بطاعة الله، وشراعها: التوكل على الله، لعلك تنجو، وما أراك ناجيًا.

أحبتى فى الله...

إن التوكل على الله ﷻ مطلوب فى جميع شئون الحياة ونواحيها.

فإن أردتم النصر والفرج من الله، فتوكلوا على الله: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

إذا أعرضتم عن أعدائكم، فتوكلوا على الله، قال الله ‌ لحبيبه ومصطفاه ﷺ ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ٨١].

إذا أعرضتم عن الخلق، فاعتمدوا على الوكيل: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [التوبة: ١٢٩].

إذا أردتم الصلح والإصلاح بين قوم، فلا تتوسلوا إلى ذلك إلا بالتوكل على الله ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٦١].

إذا نصبت الأعداء حبالات المكر، فادخل أنت فى أرض التوكل: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [يونس: ٧١].

إذا عرفتم أن مرجع الكل إلى الله، وتقدير الكل فيها لله، فوطن نفسك على فرش التوكل على الله ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣].

إن خشيتم بأس أعداء الله والشيطان، فلا تلتجئوا إلا إلى باب الله ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [النحل: ٩٩].

إن أردتم أن يكون الله وكيلا عنكم فى كل أحوالكم، فتمسكوا بالتوكل فى كل حال ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ٨١].

إن أردتم أن تسكنوا الفردوس الأعلى، فانزلوا فى مقام التوكل: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النحل: ٤٢].

إن أردتم أن يكون الله لكم، وتكونوا لله خالصين، فعليكم بالتوكل ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣].

عباد الله...

وها هو حبيب قلوبنا، ونور قلوبنا ﷺ يلقن أمته دروسًا فى التوكل على الله.

فيقول ﷺ: **«لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّـهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»**[١].

يا سبحان الله. الطيور تخرج فى الصباح من أعشاشها، ضامرة البطون من الجوع، ثم ترجع آخر النهار وهى ممتلئة.

فسبحان الذى قدر فهدى.

وسبحان الذى ساق إليها أرزاقها.

ويأتى إلى الحبيب ﷺ رجل ومعه ناقته، فيقول: يا رسول الله، أعقلها - أى أربطها وأتوكل؟ أم أطلقها دون عقال وأتوكل؟

فقال له الأستاذ الأعظم، والنبى الأكرم ﷺ: **«اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»**[٢].

ويعلمنا ﷺ التوكل على الله ﷻ فى كل شيء، حتى فى أمور الرزق الذى ضمنه الله ﷻ لنا، فقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ [الذاريات: ٢٢].

فيقول ﷺ: **«إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْـعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ»**[٣].

وفى رواية: **«لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت»**[٤].

وقال بعضهم: توكل، تسق إليك الأرزاق بلا تعب، ولا تكلف.

لا تعجلـن فلـيس الرزق بالعجل ... الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل

فلـو صـبرنا لكـان الـرزق يطلبـنا ... لكـنه خلـق الإنـسان مـن عجـل

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣١٠).

(٢) حسن: رواه الترمذي وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٦٨).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان والبزار والطبراني بإسناد جيد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٧٠٣).

(٤) حسن: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٩٠)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٩٥٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء سائل إلى النبي ﷺ فإذا تمرة عائرة فأعطاه إياها، و قال ﷺ: «**خُذْهَا لَوْ لَمْ تَأْتِهَا لأَتَتْكَ**»(١).

ويلقن الأمة درسًا فى التوكل، ويعلمهم أن النفع والضر ليس بيد أحد سواه فيقول للأمة فى شخص ابن عباس رضي الله عنهما: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّـهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّـهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**».

وأخبرنا أن التوكل ينفع العبد فى دنياه وأخراه، بل وينجيه من أهوال يوم القيامة بدءًا من النفخ فى الصور، لذا قال النبي ﷺ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ، وَصَاحِبُ الْـقَرْنِ قَدِ الْـتَقَمَ الْـقَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ، فَيَنْفُخُ**».

فكأن ذلك ثقل على النبي ﷺ فقالوا: ماذا نفعل يا رسول الله؟ قال: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّـهُ وَنِعْمَ الْـوَكِيلُ، عَلَى اللَّـهِ تَوَكَّلْنَا**».

وأعلمنا أننا لو توكلنا على الله عز وجل حين نخرج من بيوتنا، لحفظنا الله عز وجل من الشيطان وأعوانه وجنوده، قال ﷺ: «**من قال** -أى إذا خرج من بيته- **بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هديت وكفيت، ووقيت، وتنحى عنك الشيطان**».

زاد أبو داود: «**فَيَقُولُ** - أي الشيطان - **لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ، كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ**».

صلى الله وسلم وبارك عليك يا سيدى يا رسول الله -يا إمام المتوكلين، لأجل هذا خاطبه ربه بقوله جل فى علاه: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا** ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان (٣٣٠٩)، والطبراني بإسناد جيد، وصححه الألباني في «الترغيب» (١٧٠٥).

إنه لم يقل: وتوكل على الحى وسكت، أو توكل على الذى لا يموت، وإنما قال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾.

فلماذا ذكر الحى وبعدها الذى لا يموت؟ أتدرون لماذا؟ لأنه أراد أن يملأ قلب رسولنا، بل وقلوب عباده باليقين والثقة متوكلين عليه، لأنه هو الحى، الذى لا يموت، والإنس والجن يموتون ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨].

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].
كل ما عدا الله ميت، لأنه ميت، لأنه صائر إلى موت، فلا يبقى إلا الحى الذى لا يموت.

وقد سمى الله تعالى رسوله وحبيبه ﷺ بالمتوكل، كما فى حديث البخارى «سَمَّيْتُكَ الْـمُتَوَكِّلَ»(١).

وسماه بذلك لقناعته باليسير، والصبر على المكاره، وصدق اعتماد قلبه على مولاه ﷻ فى استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة.

ولنا فى رسولنا وحبيبنا ﷺ القدوة والأسوة الحسنة.

عباد الله...

وهذا هو حال أنبياء الله ورسله، فنبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام، لما ألقى فى النار، أتاه جبريل عليه السلام، وقال له: ألك حاجة؟

فقال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فحسبى الله ونعم الوكيل، فكانت النار بردًا وسلامًا عليه، ومن المعلوم أن جبريل عليه السلام كان بمقدوره أن يطفئ النار بطرف جناحه، ولكن ما تعلق قلب إبراهيم بمخلوق قط، حتى ولا جبريل فى جلب نفع، أو دفع ضر.

---

(١) رواه البخاري في «كتاب البيوع».

جاء فى صحيح البخارى من حديث ابن عباس ﵄ قال: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ أُلْقِىَ فِى النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤]»[١].

وفى رواية: كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِىَ فِى النَّارِ حَسْبِىَ اللَّـهُ وَنِعْمَ الْـوَكِيلُ.

ولما توجه كليم الله موسى ﵇ تلقاء مدين، ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝ ﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤].

لما أنزل حاجته بمولاه الذى من اليم وهو صغير نجاه، فما شقى ولا خاب وتذكر كتب التفسير: أنه كان طاويًا ضاويًا، وبطنه خاويًا، لم يذق طعامًا منذ ثلاث، فلما أظهر لله فقره، ولجأ إليه وحده، وعلق قلبه به، ما تخلف ظنه بربه، وما تأخرت إجابته، بل ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص: ٢٥]. وكان زواجه زواجًا مباركًا من ابنة نبى الله شعيب ﵇.

ويتكرر نفس الأمر من كليم الله موسى ﵇ بعد أن قضى المدة التى كانت بينه وبين نبى الله شعيب، وجاء إلى فرعون لكى يدعوه إلى الله ﷻ، فآمن به من آمن، وكفر به من كفر، ثم سار بمن آمن معه حذو البحر، فأتبعهم فرعون بجنوده بغيًا وعدوًا، فكان البحر أمامهم، والعدو خلفهم، والهلاك محقق، لذا قالوا له: ﴿ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١].

---

(١) رواه البخاري في كتاب «التفسير» (٤٥٦٣).

فقال موسى بلسان الواثق من ربه ومولاه، قال بلسان المتوكل على ربه: ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢]، وما هى إلا لحظات، حتى كان الوحى الإلهى للكليم ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ﴾ [الشعراء: ٦٣]. فكانت النتيجة: ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣]. وأهلك الله فرعون وجنوده ونجى موسى ومن معه، لذلك قيل: فوض الأمر إلينا، نحن أولى بك منك ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦].

وما أعظم هذا الدرس من امرأة جليلة علمت الدنيا كلها من بعدها كيف يتوكلون على الله ﷻ، وكيف يثقون بوعد الله تعالى؟! وكيف يوقنون بأن الله معهم ومدبر لشئونهم، أتدرون من هى؟ إنها السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

لما وضعها إبراهيم عليه السلام عند البيت الحرام ومعها وليدها، ووضع لهما جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء سرعان ما ينفذ هذا وذاك، ثم ذهب إبراهيم عليه السلام فقالت: يا إبراهيم، أتذهب وتتركنا فى هذا المكان الذى ليس به أنيس ولا جليس، ولا زرع ولا ماء؟ وكررت عليه ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم.

قالت: إذن لا يضيعنا، أبعد هذا التوكل توكل؟! أبعد هذه الثقة فى الله ثقة؟

التوكل على الله يحرص عليه الكبار والصغار، والرجال والنساء، يحكى أن رجلًا دخل مسجد النبي ﷺ بالمدينة، فرأى غلامًا يطيل الصلاة، فلما فرغ، قال له: ابن من أنت؟ فقال الغلام: أنا يتيم الأبوين.

قال له الرجل: أما تتخذنى أبًا لك؟ قال الغلام: وهل إن جعت تطعمنى؟ قال: نعم.

قال: وإن عريت تكسونى؟ قال له: نعم.

قال الغلام: وإن مرضت تشفينى؟ قال: ليس هذا إلَيَّ! قال: وهل إذا مت تحيينى؟ قال: هذا ليس إلى أحد من الخلق.

قال الغلام: فخلنى للذى خلقنى، فهو يهدين، والذى هو يطعمنى ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، والذى يميتنى ثم يحيين، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين.

قال الرجل: آمنت بالله، من توكل على الله كفاه.

وفى قصة الرجل الذى كان يعبد صنمًا فى البحر، والتى نقلها ابن الجوزى عن عبد الواحد بن زيد رحمه الله دلالة على أن التوكل نعمة من الله يمتن بها على من يشاء من خلقه، حتى وإن كان حديث العهد بالتدين، فهذا الرجل لما جمعوا له مالًا ودفعوه إليه.

قال: سبحان الله! دللتمونى على طريق لم تسلكوه، إنى كنت أعبد صنمًا فى البحر فلم يضيعنى، فكيف بعدما عرفته؟!

وكأنه لما أسلم وجهه لله، طرح المخلوقين من حساباته.

أحبتى فى الله...

وهذا هو حاتم الأصم رحمه الله يعلمنا درسًا فى التوكل حين سئل: علام بنيت أمرك هذا من التوكل؟

قال: على أربع خلال: علمت أن رزقى لا يأكله غيرى، فلست أهتم به، وعلمت أن عملى لا يعمله غيرى، فاشتغلت به، وعلمت أن الموت يأتينى بغتة، فاستعددت له، وعلمت أن ربى مطلع علىَّ، فأخاف أن يرانى على معصية فاستحييت منه.

وقال له رجل: من أين تأكل؟ فقال: ﴿ **وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ** ﴾ [المنافقون: ٧].

وروى أنه قال لأولاده: إنى أريد الحج، فبكوا وقالوا: إلى من تكلنا؟ وكان له ابنة مباركة قد رزقها الله بنعمة التوكل واليقين.

فقالت لهم: دعوه يذهب، فليس برزاق، فخرج مع القافلة، فباتوا جياعًا فجعلوا يوبخون تلك البنت، فقالت: اللَّهُمَّ لا تخزنى بينهم، فمر بهم أمير البلد، فقال لبعض أصحابه: اطلب لى ماء، فناوله أهل حاتم كوزًا جديدًا، وماء باردًا، فشرب، فقال: دار من هذه؟

فقالوا له: دار حاتم الأصم، فرمى فيها بصرة من ذهب، وقال لجنده: من أحبني فليصنع مثلما صنعت، فرمى العسكر ما معهم من المال فى هذه الإناء، فجعلت البنت تبكى، فقالت أمها: ما يبكيك وقد وسع الله علينا؟ فقالت: لأن مخلوقًا نظر إلينا فاغتنينا، فكيف لو نظر الخالق إلينا؟!

فما أعظم التوكل؟! وما أفضله؟

قال عامر بن عبد قيس رحمه الله: ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل، اكتفيت بهن عن جميع الخلائق:

أولهن: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧].

الثانية: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢].

والثالثة: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦].

قال ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدًا كتاب الله وسنتى». وكما قال: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»، ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، من توكل عليه كفاه، ومن آمن به، أسعده وأدناه، ومن كفر به أتعبه وأشقاه، من ذا الذى دعاك فما أجبته؟! ومن ذا الذى استغفرك فما غفرت له؟! ومن ذا الذى وقف ببابك فطردته؟!

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش، فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا، وأستاذنا محمدًا عبد الله ورسوله، إمام المجاهدين، وسيد الأولين والآخرين، وأستاذ المتوكلين، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

قد يسأل سائل، فيقول: هل الأخذ بالأسباب يقدح فى التوكل؟ وقد أجاب الإمام ابن القيم رحمه الله عن هذا التساؤل فى كتابه «مدارج السالكين» فقال: «التوكل من أعظم الأسباب التى يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب، لم يستقم معه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها وحال بدنه قيامه بها.

فالأسباب محل حكمة الله وأمره ونهيه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية».

قلت: وكان رسول الله ﷺ سيد المتوكلين، وقد أخذ بالأسباب فى هجرته،

فقد اتخذ الصاحب، وجهز العدة، فأعد راحلتين، واتخذ دليلًا له فى الطريق، وهو عبد الله بن أريقط، وعامر بن فهيرة يأتى إليهم بالأغنام ليمحو الأثر، وليسقيهم لبنًا من الأغنام، واختفى فى غار ثور مع صاحبه أبى بكر الصديق حتى يهدأ القوم، ويخف الطلب، وأبو بكر يقول: يا رسول الله، «والله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه، لرآنا، فقال له النبى الأعظم ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**»[1]. ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

جاء فى الأثر يقول الله لموسى عليه السلام: يا موسى، وعزتي وجلالى، ما توكل عليَّ عبد إلا كفيته، وبيدى مفاتيح الملك والملكوت، وما اعتصم بي عبدٌ، إلا أدخلته الجنة، وكفيته كل مهمة، ومن اعتصم بغيرى، أسخت الأرض من تحته، وقطعت الأسباب من فوقه، ولا أبالى كيف أهلكته؟!

وهذه هى السيدة مريم البتول -عليها من الله السلام- وهى فى حالة المخاض يخاطبها ربها ويقول لها: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم: ٢٥]. إنها تحتاج من يصنع لها الطعام، وهى ضعيفة لا تستطيع أن تهز أقل من النخلة، فلماذا أمرها الله عز وجل بذلك، ليعلمها ويلقن من بعدها درسًا فى التوكل على الله.

توكل على الرحمن في الأمر كله ... ولا ترغبن في العجز يومًا عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم ... وهزي إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أدلى الجذع من غير هزه ... إليها ولكن كل شيء له سبب

ولله در الشافعى فقد كان يقول:

توكلت في رزقي على الله خالقي ... وأيقنت أن الله لا شك رازقي

(١) رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، وأحمد في «مسنده».

وما يك من رزقي فليس يفوتني ولو كان في قاع البحار العوامق
سيأتي به الله العظيم بفضله ولو لم يكن في اللِّسان بناطق
ففي أي شيء تذهب النفس حسرة وقد قسم الرحمن رزق الخلائق

اللَّهُمَّ إنا نسألك خوف العالمين بك، وعلم الخائفين لك، وتوكل الموقنين بك، ويقين المتوكلين عليك، وإنابة المخبتين إليك، وإخبات المنيبين إليك، وصبر الشاكرين لك، وشكر الصابرين لك.

اللَّهُمَّ عاملنا بإحسانك، وجد علينا بفضلك وامتنانك، واجعلنا من عبادك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

اللَّهُمَّ ارحم ذلنا بين يديك، واجعل رغبتنا فيما لديك، ولا تحرمنا بذنوبنا ولا تطردنا بعيوبنا، واغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

اللَّهُمَّ صَلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الأربعة الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الآل والصحب الكرام، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أرحم الراحمين اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وارفع كلمة الحق والدين وانصر عبادك المؤمنين.

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، اللَّهُمَّ دمر أعداء الدين وسائر الكفرة المعاندين، الذين يصدون عن سبيلك ويعادون أهل دينك، اللَّهُمَّ انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك وفي نصرة دينك، اللَّهُمَّ انصرهم على عدوك وعدوهم، اللَّهُمَّ سدد سهامهم، وآراءهم.

اللَّهُمَّ أجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى والبر والتقوى، اللَّهُمَّ مُنَّ عليهم بالاعتصام بحبلك المتين، وبشرعك المبين، اللَّهُمَّ تجاوز عن سيئاتنا، واعف عن زلاتنا.

اللَّـهُمَّ ارزقنا الاستقامة على الدين، اللَّـهُمَّ ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللَّـهُمَّ هون علينا سكرات الموت، اللَّـهُمَّ يمن كتابنا، ويسر حسابنا، وأجرنا من النار ومن فتنة القبر والدجال إنك على كل شيء قدير.

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبي محمد ﷺ وأقم الصلاة.

❁❁❁❁❁

الخطبة الثانية والثلاثون

اتبعوا الرسول يحببكم الله

الحمد لله، يا رب. أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، وأنت سلوة الطائعين، وأنت ملاذ الهاربين، وأنت ملجأ الخائفين، وأنت الأنيس فى الوحشة، وأنت النصير فى القلة، رضاك يا رب خيرٌ من الدنيا وما فيها، يا مالك النفس قاصيها ودانيها.

فليس للروح آمال تحققها سوى ... رضاك فذا أقصى أمانيها
فنظرة منك يا سؤلي ويا أملي ... أحب إليَّ من الدنيا وما فيها

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، لو أن أشجار الأرض جميعًا جعلت أقلامًا، وجعل البحر مدادًا، وأمده سبعة أبحر معه، فكتبت بها كلمات الله، الدالة على عظمته، لتكسرت الأقلام، ونفد ماء البحر، ولو جاء بأمثالها مدادًا.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، النبى المصطفى، والرسول المجتبى.

كل القلوب إلى الحبيب تميل ... ومعي بهذا شاهد ودليل
أما الدليل إذا ذكرت محمدًا ... صارت دموع العارفين تسيل
هذا رسول الله هذا المصطفى ... هذا لكل العالمين رسول
هذا الذي رد العيون بكفه ... لما بدت على الخدود تسيل
هذا الذي ظللته الغمامة إذا مشى ... كانت تقيل إذا الحبيب يقيل
صلى عليك الله يا علم الهدى ... ما لاح برق في السماء دليل

أما بعد...

أحبتى فى الله...

وما زال لقاؤنا موصولًا مع أحباب الرحمن جل فى علاه، وفى هذا اللقاء الطيب أتحبون أن تكونوا من أصحاب الفضائل الزاكيات، ومن أنصار الهمم العاليات؟ كم هو جميل بالإنسان أن يتخلق بالفضائل، ويسعى دومًا إلى إدراك المحاسن،، ولن تبلغوا هذه المنزلة الرفيعة، إلا بصادق الهداية، وكريم الفضائل والسجايا، لن تبلغوا منزلة هذا الصنف إلا بالاتباع، والبعد عن الابتداع، فمن هو هذا الصنف الذين أحبهم الرحمن؟ إنهم الصنف الرابع، والذين قال الله ﷻ عنهم: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله ﷻ، وليس هو على الطريق المحمدية، فإنه كاذب فى دعواه فى نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدى، والدين النبوى فى جميع أقواله وأحواله.

قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تحب، إنما الشأن أن تُحب.

وقال الحسن البصرى رحمه الله وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣١] [(١)].

فمحبة الرسول ﷺ تابعة لمحبة الرب تبارك وتعالى، وإنها تزيد بمحبة الله فى قلب المؤمن، وتنقص بنقصها.

أيها الأحبة الكرام...

ما مفهوم محبة النبي ﷺ؟ وما حكم هذه المحبة؟ وما مظاهرها؟ وما هى ثمار محبة النبي ﷺ؟

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢).

محبة النبي ﷺ هى المنزلة التى يتنافس فيها المتنافسون، وإليها يشخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون فهى قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، ونور الأبصار، وشفاء الصدور.

محبة النبي ﷺ شجرة كريمة، إن استقرت فى القلب أثمرت كل أنواع الاتباع، والاقتداء للمحبوب، بل ولا يكتمل إيمانك، إلا إذا فاق حبك للمصطفى ﷺ حبك لوالدك، وَولدك، والناس أجمعين بل ونفسك التى بين جنبيك.

قال ﷺ: **«ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْـمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّـهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِى الْـكُفْرِ بَعْدَ أن أَنْقَذَهُ اللَّـهُ منه، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِى النَّارِ»**(١).

وفى الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ﷺ قال: **«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»**(٢).

وفى صحيح البخارى من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن عمر قال للنبى ﷺ: لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِى.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لاَ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»**.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّـهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِى. فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: **«الآنَ يَا عُمَرُ»**(٣).

ولم يكن قول عمر الأول أنه ليس محبًّا لرسول الله ﷺ أكثر من نفسه إنما أخبر عن مقتضى الأصل الطبعى فى الإنسان، الأصل الفطرى الذى فطره الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري.

عليه، أن أحب شيء إليه نفسه، فلما أخبره النبي ﷺ بهذا المصطلح الإيمانى، وبهذا المرسوم النبوى، أقر عمر بأنه بهذا المعنى يحب رسول الله ﷺ أكثر من نفسه، فقال له حينئذ: «**الآنَ يَا عُمَرُ**».

ثم إن حب الإنسان نفسه طبع، وحب غيره اختيار -كما ذكر الإمام الخطابى، رحمه الله ولذلك نرى عمر فى جوابه فى المرة الأولى، ذكر الطبع، وبعد ذلك ذكر الاختيار، الذى هو مقتضى الإيمان.

أيها المسلمون، أحباب المصطفى ﷺ...

ومحبة النبي ﷺ واجبة على كل مسلم قطعًا ويقينًا، ودليل على كمال الإيمان، بل هي الإيمان نفسه، وقد جمع الله ﷻ فى آية واحدة كل محبوبات الدنيا، وكل متعلقات القلوب، وكل مطامع النفوس، ووضعها فى كفة وحب الله،وحب رسوله ﷺ فى كفة أخرى، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٤** ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال القاضى عياض رحمه الله: فكفى بهذا حض وتنبيه، ودلالة وحجة، على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ إذ قرّع الله تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله: ﴿ **فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ** ﴾، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل، ولم يهده الله ﷻ، فهذه آية عظيمة تبين أهمية وجوب هذه المحبة(١).

ويأتى دليل آخر، وهو عظيم وموجز، وبليغ، وهو قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ** ﴾ [الأحزاب: ٦].

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٨) للقاضي عياض.

ويبين الإمام ابن القيم رحمه الله أن الدلالة على وجوب المحبة فى هذه الآية من عدة أوجه، ضمنها أمرين اثنين:

الأول: أن يكون النبي ﷺ أحب إلى العبد من نفسه، لأن الأولوية أصلها الحب، ونفس العبد أحب إليه من غيره، ومع ذلك فإنه ينبغى أن يكون الرسول ﷺ أولى به من نفسه، وأحب إليه منها، فبذلك يحصل الإيمان، ويلزم من الأولوية والمحبة: الانقياد والطاعة، والرضا والتسليم، وسائر لوازم المحبة، من الرضا بحكمه، والتسليم لأمره، وإيثاره على ما سواه.

الثاني: أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلًا، بل يكون الحكم على نفسه لرسول الله ﷺ يحكم عليه أعظم من حكم السيد على عبده، أو الوالد على ولده فليست له في نفسه تصرف، إلا ما تصرف فيه الرسول ﷺ الذي هو أولى به من نفسه -أى بما جاء به عن الله عز وجل وبلغهم من آياته، ونشره من سنته ﷺ.

وقد جاء فى حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أَحِبُّوا اللَّـهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِى بِحُبِّ اللَّـهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِى لِحُبِّى**»(١). فكلنا محب لرسول الله ﷺ محبة وجوب، ومحبة اختيار وتعظيم له ﷺ.

أيها المسلمون أحباب رسول الله...

هذه المحبة ما أعظمها، فهى أعظم محبة لأعظم مخلوق من بنى آدم فى الدنيا، وفى الخليقة كلها، وهى التى استحقها سيد الخلق ﷺ ووجبت على كل مؤمن ومسلم بالله تعالى.

ولكن ما هى دواعى هذه المحبة؟ لماذا نحب رسول الله ﷺ؟ لا نقول هذا

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حسن غريب، ورواه الحاكم في «المستدرك» (١١/ ٢٣) برقم (٤٦٩٩)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» (٣٧٨٩)، و«ضعيف الجامع» (١٧٦).

السؤال كأننا لا نريد المحبة! ولكن نريد أن نهيج القلوب والمشاعر لهذه المحبة، وأن نؤكدها، وأن نحرص على غرسها فى سويداء القلوب والنفوس حتى تتحرك بها المشاعر.

أولًا: حب رسول الله ﷺ تابع لحب الله: فنحن نحب رسول الله لأنه حبيب الله ﷻ، فمن أحب الله، أحب كل من أحبه الله، وأعظم محبوب من الخلق لله ﷻ هو رسوله ﷺ وقد قال حبيب قلوبنا ﷺ: «**ولكن صاحبكم خليل الرحمن**»(١).

وعند مسلم من حديث ابن مسعود: «**وَقَدِ اتَّخَذَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا**»(٢).

والخلة هى أعلى درجات المحبة، لماذا؟ قالوا: لأنها تتخلل فى القلب، وفى كل شيء، فيصبح كأن كل خلية من هذا الإنسان، وكل نفسٍ منه، وكل كلمة منه، وكل عاطفة منه تخفق بهذه المحبة وتؤكدها.

ثانيًا: لأن الله ﷻ أظهر لنا كمال رأفته، وعظيم رحمته ﷺ بأمته نحن نحب الإنسان متى إذا وجدناه بنا رحيمًا، وعلينا شفيقًا، ولنفعنا مبادرًا ولعوننا مجتهدًا، أحببناه من أعماق قلوبنا، ورسول الله ﷺ هو فى هذا الباب أعظم من رحمنا وأرأف بنا، وإن كان بيننا وبين هذه القرون المتطاولة.

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولو أردنا أن نذكر أمثلة لذلك طال بنا المقام، فرسول الله ﷺ كثيرًا كان يقول: «**لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي**».

وكم من الأحاديث التى ورد فيها رقته ورحمته بأمته كان إذا سمع بكاء

---

(١) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه.

(٢) رواه مسلم.

الصبى يخفف من صلاته رأفة وشفقة على قلب أمه به، وذلك من كمال رحمته وشفقته عليه الصلاة والسلام.

ونحن نعلم مواقف كثيرة فى يوم حنين يوم قسمت الغنائم، ووجد بعض الأنصار فى أنفسهم شيئًا؛ لأن الرسول ﷺ لم يقسّم لهم، وقسّم للمؤلفة قلوبهم، فلما جاءهم إلى مكانه ذكر لهم عليه الصلاة والسلام بعض فضله عليهم، بما فضله الله ﷻ عليه قال: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِى عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِى أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاَّلًا فَهَدَاكُمُ اللَّـهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّـهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّـهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟**». قالوا: بل الله ورسوله أمن وأفضل، قال: «**أَلاَ تُجِيبُونَنِى يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟**».» قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، ولله ولرسوله المن والفضل؟

قال: «**أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم، أتيتنا مكذَّبًا فصدقناك، ومخذولًا فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلًا فآسيناك.**

أوجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفت قومًا ليسلموا؟ ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ فى رحالكم؟ فوالذى نفسى محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا، لسلكت شعب الأنصار اللَّهُمَّ ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسمًا وحظًا.

ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا[١].

وكذلك من دواعي المحبة خصائصه وخصاله العظيمة، ويكفينا فى ذلك قول الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [القلم: ٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

وكم اجتمع فيه -عليه الصلاة والسلام- ما تفرق من وجوه الفضائل والأخلاق والمحاسن فى الخلق كلهم، فكان هو مجتمعه المحاسن عليه الصلاة والسلام، وحسبنا ذلك فى هذه الدواعى، وإلا فالأمر كثير؛ فإن الذين مالت قلوبهم، وملئت حبًا لرسول الله عليه الصلاة والسلام من أصحابه، إنما سبى قلوبهم، واستمال أنفسهم بما كان عليه من الخلق وحسن المعاملة، وكمال الرحمة، وعظيم الشفقة، وحسن القول إلى غير ذلك من ما هو معلوم من شمائله عليه.

عباد الله...

إن لكل شيء دليل، ولكل ادعاء برهان، ولكل حقيقة فى الباطن أثرٌ وبرهانٌ وصورةٌ فى الظاهر.

فما دليل حبنا وما البرهان الصادق على صدق محبتنا.

وأول هذه الأدلة: محبته باتباعه والأخذ بسنته ﷺ.

ولله در القائل:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمري في القياس شنيع
إن كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وكما قال ابن الجوزى مستشهدًا بقول مجنون ليلى:

إذا قيل للمجنون ليلى تريد ... أم الدنيا وما في طواياها
لقال غبار من تراب نعالها ... أحب إلى نفسي وأشقى لبلواها

قال ابن الجوزى: «وهذا مذهب المحبين بلا خلاف، فكل محب يكون أدنى شيء من محبوبه أعظم إليه من كل شيء فى دنياه، فكان أدنى شيء من الله، ومن رسوله أعظم وأحب إلى كل مؤمن من كل شيء فى دنياه».

وحسبنا فى ذلك ما جاء فى كتاب الله فى قصة يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ

﴿ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]. أحب السجن؛ لأنه فى مرضاة الله وفيه العصمة من معصية الله، ولا أحد يحب السجن بظلمته وأسره وقيده، لكنه كان محبوبًا لقلبه لما كان فى محبة ربه وسلامته من معصيته.

استمعوا إلى هذا الحديث الذى يرويه أنس ﷺ وأنس تعلمون أنه خدم رسول الله ﷺ عشر سنين يقول: «**خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ لاَ وَاللَّـهِ مَا سَبَّنِى سَبَّةً قَطُّ، وَلاَ قَالَ لِى أُفٍّ قَطُّ، وَلاَ قَالَ لِى لِشَىْءٍ فَعَلْتُهُ لِمَ فَعَلْتَهُ، وَلاَ لِشَىْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ أَلاَّ فَعَلْتَهُ**».

كيف كان يأمره وينهاه وهو خادمه؟ لو أردنا أن نفعل ذلك مع أحد من خدمنا لا نستطيع أن نفعل ذلك، ولو عشرة أيام وليس عشر سنوات.

هذا أنس يقول: قال لى النبي ﷺ: «**يَا بُنَىَّ: إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِىَ لَيْسَ فِى قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَافْعَلْ**». **ثُمَّ قَالَ لِى: «يَا بُنَىَّ: وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِى، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِى فَقَدْ أَحَبَّنِى. وَمَنْ أَحَبَّنِى كَانَ مَعِى فِى الْـجَنَّةِ**».

معادلة واضحة، المحبة فى هذا الاتباع ظاهرة.

قال ابن رجب رحمه الله فى جامع العلوم والحكم كلامًا جميلًا: «فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه، أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكره الله ورسوله، ويرضى ما يرضى الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض؛ فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك بأن ارتكب بعض ما يكره الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحب الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه، دلّ ذلك على نقص محبته الواجبة فعليه أن يتوب من ذلك، ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة «وهنا ملحوظة مهمة تتعلق بمن عصى أو قصر فى الواجب فهذا دليل -كما ذكر ابن رجب- على نقصان محبته، لكنها لم تزل! ولذلك بعض الناس يتعجب حينما يرى العاصى فيقول: إنه

مبغض لرسول الله، أو كاره لرسول الله، تلك تهمة عظيمة وفرية كبيرة! حسبكم فى ذلك حديث النبي ﷺ فى صحيح مسلم، فى الرجل الذى كان يشرب الخمر فأوتى به فجلد، ثم شرب مرة أخرى فأوتي به فجلد، ثم ثالثةً فأوتى به فجلد، فقال رجل من الصحابة: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به! فقال الرسول ﷺ: «**لا تلعنه؛ فإنه يحب الله ورسوله**».

أثبت لهم النبى المحبة مع وقوعه فى كبيرة من الكبائر، فلا تهجموا على الناس بنفى المحبة.

الدليل الثانى: الإكثار من ذكره ﷺ والصلاة عليه:

لا شك أيها الإخوة أن من أحب إنسانًا أكثر ذكره، وأكثر من ذكر محاسنه، فتجد بعض الناس إذا أحب إنسانًا لا يجلس مجلسًا إلا ويقول: (انظر ماذا فعل فلان، قال كذا وكذا، فلان جزاه الله خيرًا، فلان لا يمكن أن نقدر قدره)، ونحن ينبغى أن نطيب ونعطر مجالسنا فى كل وقت وحين بذكر مآثر النبي ﷺ، وسيرته وأحواله وشمائله، وهذا ذكر هو الذى يهيج هذه المحبة ويبعثها، وكثرة الصلاة عليه الصلاة والسلام تترك هذا المعنى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وحديث أبى بن كعب رضي الله عنه حينما قال: يَا رَسُولَ اللَّـهِ إِنِّى أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِى فَقَالَ «**مَا شِئْتَ**». قَالَ قُلْتُ الرُّبُعَ. قَالَ «**مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**».

قُلْتُ النِّصْفَ. قَالَ «**مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قَالَ قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ. قَالَ «**مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِى كُلَّهَا. قَالَ «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**».

قال الشراح: كان أبى يقصد أن له وردٌ من الدعاء دائم، فكان يصلى فيه على

النبي ﷺ، ومن آداب الدعاء أن يقدّم بالحمد والثناء على الله، والصلاة على النبي ﷺ، فقال: كم أجعل لك من ذلك؟ قال زد حتى لو كان الحمد والثناء والصلاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ فإنه وإن قلّ الدعاء يكون فيها ما وعد به النبي ﷺ: «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**».

الدليل الثالث: تمنى رؤيته والشوق إليه.

وقد كان ذلك فى أصحاب النبي ﷺ، وهم رأوه لكنهم إذا افتقدوه اشتاقوا إليه فهذا بلال رضي الله عنه يوم ذهب إلى بلاد الشام بعد وفاة النبي ﷺ، وكان بلال يقول: لم أطق أن أبقى فى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ، وكان إذا أراد أن يؤذن إذا جاء بقوله: «أشهد أن محمدًا رسول الله» تخنقه عبرته فيبكي رضى الله عنه وأرضاه، فمضى إلى الشام وذهب مع المجاهدين، ورجع بعد سنوات، ثم دخل إلى مسجد رسول الله ﷺ، وحان وقت الأذان فأذن بلال فبكى وأبكى الصحابة بعد انقطاع طويل غاب فيه صوت مؤذن رسول الله ﷺ، فتذكروا بلالًا وأذانه، وتذكروا رسول الله ﷺ.

وكان بلال رضي الله عنه عند وفاته تبكى زوجته بجواره، فيقول لها: (لا تبكى غدًا نلقى الأحبة محمدًا وصحبه)، فكان يشتاق للقاء رسول الله ﷺ.

أيها المسلمون . . عباد الله...

وهكذا تكونُ محبة النبي ﷺ فى حياة أهل الإيمان، نسأل الله عز وجل أن يرزقنا محبته، ومحبة رسوله ﷺ والعمل بسنته.

يقول ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّـهِ: وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة، يا رسول الله؟

قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى**».

وقال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الذى يجير ولا يجار عليه، بيده تصاريف الأمور فلا أحد يماثله أو يضاهيه، أحمده حمد معترف بالذل والخضوع بين يديه.

ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة عبد معترف بوحدانيته، مقر بألوهيته، لا ند له، ولا شبيه له، ولا صاحبة له، ولا ولد له، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله ربه بالهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله، فقام بما أمر به، فبلغ رسالة ربه، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وتركنا على المحجة البيضاء.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تمسك بهديه، واستن بسنته، وسار على دربه إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

وما زلنا نواصل الأدلة على محبتنا للحبيب المصطفى، والرسول المجتبى ﷺ فهيا بنا إلى الدليل الرابع.

والدليل الرابع: فقد رؤيته عليه الصلاة والسلام فيكون ذلك أشد عليه من فقد أى شيء فى الدنيا: من المعروف أن غاية ما يتمنى المحب هو أن يسعد برؤية حبيبه فمحب النبي ﷺ يتمنى دائمًا أن يسعد برؤيته عليه الصلاة والسلام فى الدنيا والآخرة.

وحينما يعطى له فرصة اختيار أحب وأغلى شيء يختار رؤيته ﷺ، يحدثنا الإمام مسلم عن أحد الصادقين فى محبته للنبى ﷺ ماذا اختار حينما أعطيت له فرصة الاختيار يقول هذا المحب الصادق بنفسه، وهو ربيعة بن كعب الأسلمى

ﷺ: «كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ». فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْـجَنَّةِ. قَالَ: «أَوَغَيْرَ ذَلِكَ». قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».

ثم إن المحب الصادق، يحزنه حتى تصور حرمانه من رؤيته ﷺ، فقد ذكر ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وهو محزون فقال له النبي ﷺ: «يا فلان مالى أراك محزونًا؟» فقال: يا نبى الله شيء فكرت فيه، فقال: «ما هو؟» قال: نحن نغدو ونروح ننظر إلى وجهك ونجالسك وغدًا ترفع مع النبيين فلا نصل إليك فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئًا، فنزل جبريل بالآية: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩]. فبعث النبى عليه الصلاة والسلام فبشره.

هكذا كان الصادقون فى محبته له عليه الصلاة والسلام.

وكيف نحن؟ ألسنا قد أحببنا أشياء كثيرة واستبدلناها بهذه المحبة، نبذل الشيء الكثير من المال والوقت لمشاهدتها والتلذذ بها ونضيع العديد من حقوق الله تعالى وحقوق الناس فى سبيل متابعتها نفرح برؤيتها ونحزن ونتأسف إذا فاتنا منها الشيء اليسير، أبعد هذا كله نحن الصادقون فى قولنا: أن النبي ﷺ أحب إلينا من جميع الناس ومن جميع الأشياء، إن المحب الصادق فى محبته لو خير بين مجرد أن يرى النبي ﷺ منامًا أو يقظة «لو كان ممكنا» وبين فقد أغلى ما عنده فى الحياة لاختار الأول.

الدليل الخامس: الاستعداد التام لبذل الأنفس والأموال دونه ﷺ:

يترقب المحب الصادق بكل اشتياق الفرصة التى يبذل فيها نفسه وكل ما يملك دون حبيبه والمحبون الصادقون للنبى ﷺ كانوا دائمًا على أتم الاستعداد

لفدائه بالأنفس وكل عزيز عليهم دونه ﷺ والذين كانوا بعد عصره عليه الصلاة والسلام كانوا يجدون حسرة فى قلوبهم على فوات هذه الفرصة والمتتبع لسيرة النبي ﷺ مع أصحابه يجد منهم محبة له منقطعة النظير وفداء له بالنفس والمال.

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذى بذل ماله كله فى سبيل الله نراه يضرب لنا أروع الأمثلة لحب النبي ﷺ وفدائه له بنفسه ما لا نعلم له مثيلًا فى التاريخ لقد ضحى بنفسه وعرضها للهلاك ليلة الهجرة إلى المدينة ليفدى بذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام من محبته له وكان يعلل هذه التضحية بقوله: «إن قتلت فإنما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت هلكت الأمة».

وهذا زيد بن الدثنة رضي الله عنه يخرجه أهل مكة من الحرم كى يقتلوه فيجتمعون حوله فيقول له أبو سفيان: «أنشدك بالله يا زيد! أتحب محمدًا عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه وأنك فى أهلك؟» قال: والله لا أحب أن محمدًا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإنى جالس فى أهلى.

وهذا سعد بن الربيع رضي الله عنه كان فى آخر لحظات حياته لكن كان هناك شيء يشغل باله ماذا كان ذاك الشيء؟ يحدثنا ابن هشام بأن النبي ﷺ بعد معركة أحد قال لأصحابه: «من رجل ينظر إلى ما فعل سعد بن الربيع؟ أفى الأحياء هو أم فى الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد، فنظر فوجده جريحًا فى القتلى وبه رمق، قال: قلت له: إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات؟ قال: أنا فى الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ عنى السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيًّا عن أمته وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف.

قال: ثم لم أبرح حتى مات.

ففيم فكر هذا المحب الصادق فى آخر لحظات حياته؟ وما الذى شغل باله؟ وبماذا أوصى أصحابه وهو يودعهم ويرحل من الدنيا إلى الآخرة، الأمر الذى شغل باله هو سلامة حبيبه وحبيب رب العالمين محمد ﷺ والوصية التى أوصاها أصحابه أن يبذل كل واحد منهم نفسه دون رسول الله ﷺ.

هل نحن المدعون لمحبته ﷺ هكذا؟! فيم نفكر نحن؟ ماذا يشغل بالنا؟ وقد يكون التصريح بما يشغل بالنا لا يليق بشخص محترم وبماذا نوصى زملاءنا حين نودعهم من المشرق إلى المغرب؟ يا للأسف! هل نحن مستعدون لبذل أرواحنا وأموالنا دفاعًا عن عقيدتنا ونشر ديننا وتحرير مقدساتنا ونصرة إخواننا الذين تراق دماؤهم وتسلب أموالهم بسبب أنهم قالوا ربنا الله!!

امتثال أوامره واجتناب نواهيه:

لا يختلف اثنان أن المحب لمن يحب مطيع لا يقف المحب عند تنفيذ تعليمات حبيبه فقط بل يلاحظ بكل دقة تغيرات وجهه وإشارات عيونه لعله يدرك ما يحبه حبيبه فيفعله أو يعرف ما يبغض حبيبه ويبتعد عنه.

وحينما ننظر إلى المحبين الصادقين من خلال هذا المقياس يظهر لنا العجب العجاب، روى الإمام أبو داود عن جابر رضي الله عنه قال: لما استوى رسول الله ﷺ يوم الجمعة قال: «اجلسوا» فسمع ذلك ابن مسعود فجلس على باب المسجد فرآه رسول الله ﷺ فقال: «تعال يا عبد الله بن مسعود» فلم تسمح نفس ابن مسعود المؤمنة رضي الله عنه أن يتأخر عن تنفيذ أمر حبيبه عليه الصلاة والسلام إلى أن يدخل المسجد ثم يجلس بل جلس على باب المسجد فى لحظة سماعه أمره ﷺ.

وليس هذا شأن ابن مسعود وحده بل هكذا كان جميع المحبين الصادقين فقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر

فى بيت أبى طلحة وما شرابهم إلا الفضيخ فإذا مناد ينادى، فقال: اخرج فانظر، فإذا مناد ينادى: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فجرت فى سكك المدينة فقال لى أبو طلحة: اخرج فأهرقها فهرقتها.

فجرت: سالت، الفضيخ: خليط البسر والتمر.

هكذا كانوا فى تنفيذ أمر رسول الله ﷺ وكيف نحن؟ نسمع أوامره ولا ننفذها ونسمع نواهيه ونأتيها بل لا نحب أن ندخل المجالس التى تقرأ فيها أوامره ونواهيه ولا نقرأ الكتب التى تبين أقواله وتصور أفعاله، أبعد هذا كله نبقى صادقين فى دعوى محبتنا له؟ يجب على كل واحد منا أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب فى يوم لا ينفع فيه الندامة والحسرة.

فمحبة النبي ﷺ معناها امتثال أوامره واجتناب نواهيه فالذى يخالف أوامر الإسلام فى شيء ما أو يفعل بعض ما نهاه عنه الإسلام ثم يدعى أنه يحب رسول الله ﷺ فإنه غير صادق فى دعواه فالمحب يجب أن يطيع حبيبه.

اللَّهُمَّ اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، وذهاب همومنا وكروبنا، اللَّهُمَّ نور به صدورنا.

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات.

الأحياء منهم والأموات اللَّهُمَّ أعز الإسلام وانصر المسلمين، وأذل الشرك والمشركين.

اللَّهُمَّ اكتب الأمن والأمان للمسلمين، واجعل الرفعة للإسلام والمسلمين وانصرنا على أعدائك أعداء الدين، يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ رد الأمة إلى القرآن ردًا جميلًا، اللَّهُمَّ رد الأمة إلى القرآن ردًا جميلًا، اللَّهُمَّ رد الأمة إلى القرآن ردًا جميلًا، اللَّهُمَّ هيئ لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر.

اللَّـهُمَّ اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

اللَّـهُمَّ لا تدع لأحد منا ذنبًا إلا غفرته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا دينًا إلا أديته، ولا همًا إلا فرجته، ولا ميتًا إلا رحمته، ولا عاصيًا إلا هديته، ولا حاجة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا رب العالمين.

اللَّـهُمَّ اجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا، وتفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا، ولا تجعل اللَّـهُمَّ فينا ولا منا شقيًا ولا محرومًا... اللَّـهُمَّ اهدنا واهد بنا واجعلنا سببًا لمن اهتدى، اللَّـهُمَّ اهدنا واهد بنا واجعلنا سببًا لمن اهتدى.

اللَّـهُمَّ انصر الإسلام وأعز المسلمين، وأعلِ بفضلك كلمة الحق والدين، اللَّـهُمَّ احمل المسلمين الحفاة، واكسُ المسلمين العراة، وأطعم المسلمين الجياع، برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبى محمد ﷺ وأقم الصلاة.

۞۞۞۞۞

الخطبة الثالثة والثلاثون

إن الله يحب المقسطين

الحمد لله، رب العالمين، حمدًا يليق بجلاله وكماله، وعظمته وكبريائه وعفوه وفضله، خلق الكون بقدرته، وصير الأمور بمشيئته، وسبحت الأكوان بجلاله وعزه وكماله، إليه مستقر كل شيء، وهو القادر على كل شيء، أحاط بكل شيء علمًا، وهيأ لكل شيء سببًا، أحمده على عطائه وفضله، ونشكره على آلائه ونعمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

يا واحدًا في ملكه ما له ثان ... يامن إذا قلت يا مولاي لباني
أعصاك تستري أنساك تذكرني ... فكيف أنساك يا من ليست تنساني

كيف أعصاك؟ وكيف أنساك؟ وأنت الحكم العدل، وأنت الذى تقول فى حديثك القدسى الجليل: «**أنا الله، لا إله إلا أنا ملك الملوك، ومالك الملك، قلوب الملوك فى يدى، وإن العباد إذا أطاعونى، حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرحمة والرأفة، وإن العباد إذا عصونى، حولت قلوبهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك، ولكن اشغلوا أنفسكم بالتضرع والذكر أكفكم ملوككم**»[1].

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا رسول الله، هو الإنسانية والكمال والجمال والكمال، هو البر، هو الرحمة، هو الخير، هو نبى العالمين.

سعدت بطلعتك السموات العلى ... والأرض صارت جنة خضراء
أنت الذي قاد الجيوش محطمًا ... عهد الضلال وأدب السفهاء

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» وأبو نعيم في «الحلية» وفيه إبراهيم بن راشد متروك.

صلى الله وسلم وبارك عليك يا سيدى يا رسول الله.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

طبتم جميعًا،وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلًا، وأسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، الذى جمعنا فى هذا اليوم المبارك، وفى هذا المكان المبارك، أسأله أن يجمعنا مع حبيبنا وعظيمنا وقائدنا محمد ﷺ فى الفردوس الأعلى، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

أحبتى فى الله...

نحن اليوم على موعد بلقاء، لقاؤنا اليوم مع صنف آخر من الذين يحبهم الله ﷻ، إنهم الذين يحكمون بين الناس بالعدل، لا يحيفون ولا يظلمون، إنهم الذين لا يميلون ولا يزيغون، إنهم المقسطون، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ** ﴾ [المائدة: ٤٢]. وهذا الصنف ذكر فى القرآن الكريم عدة مرات جاء فى ثلاث سور من القرآن.

الأولى: فى قوله تعالى: ﴿ **سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾** ﴾ [المائدة: ٤٢].

إنه يخاطب حبيبه ومصطفاه، بعد أن وصف له أولئك القوم من اليهود إنهم يجمعون بين استماع الكذب، وأكل الحرام، فإن جاءوك يتحاكمون إليك، فاقض بينهم، أو اتركهم، فإن لم تحكم بينهم، فلن يقدروا على أن يضروك بشيء، وإن حكمت فاحكم بالقسط أى بالعدل، فالله عدل يحب العادلين، قال السعدى: وفى هذا بيان لفضيلة العدل والقسط فى الحكم بين الناس.

الثانى: فى قوله سبحانه: ﴿ **وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ**

بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجرات: ٩]. إن اقتتل طائفتان من أهل الإيمان، فأصلحوا -أيها المؤمنون- بينهما بدعوتهما إلى الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والرضا بحكمهما فإن اعتدت إحدى الطائفتين، وأبت ورفضت الإجابة إلى ذلك، فقاتلوها حتى ترجع إلى حكم الله ورسوله، فإن رجعت، فأصلحوا بينهما بالإنصاف واعدلوا فى حكمكم، فالله يحب العادلين فى أحكامهم، القاضين بين خلقه بالقسط، أو بالعدل.

الثالث: فى قوله جل شأنه: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨]. لا ينهاكم الله -أيها المؤمنون- عن الذين لم يقاتلوكم من الكفار بسبب الدين، ولم يخرجوكم من دياركم، أن تكرموهم بالخير، وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم، وبركم بهم، فالله يحب الذين يعدلون فى أقوالهم وأفعالهم.

أحبتى فى الله...

من خلال هذه الآيات يتبين لنا أن المراد بالمقسطين هم العادلون، والعدل هو المساواة، وعدم الظلم.

قال صاحب بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز: العدل هو القسط على سواء، وعلى هذا روى: «بالعدل قامت السموات والأرض».

قال ﷺ: «إِنَّ الْـمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّـهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِى حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»(١).

وقد أمر ربنا ﷻ بالقسط، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الأعراف: ٢٩].

(١) رواه مسلم (١٨٢٧) كتاب الإمارة، والنسائي (٥٣٧٩)، وأحمد في «مسنده».

وأمرنا بالعدل، ونهانا عن الظلم، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ [النحل: ٩٠].

ونادى على أهل الإيمان، بنداء محبب إلى قلوبهم، ليلفت أنظارهم، ويوجه قلوبهم نحو القيام بالعدل قولًا وعملًا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨].

والمقسطون فى الجنة، والقاسطون فى النار، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن: ١٥].

أيها الموحدون ...

وكفى العدل أن ينال به العبد أعظم كسب، وهو محبة الله ﷻ له، وأى فضل، وأى مزية ينالها العبد أعظم من أن يكون محبوبًا له سبحانه وتعالى، لأنه إن نال ذلك، نال خيرى الدنيا والآخرة، لما يترتب على محبة الله ﷻ للعبد من جزيل الإكرام والإنعام، والأمان من العذاب، لذلك كرر ذلك فى كتابه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة: ٤٢].

ودين الإسلام دين الصدق والعدل، قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وعدل الإسلام يسع الأصدقاء والأعداء، والأقرباء والغرباء، والضعفاء والأقوياء، والمرؤوسين والرؤساء.

عدل الإسلام ينظم كل ميادين الحياة، ومرافقها ودروبها، وشئونها، فى الدولة والقضاء، والراعى والرعية، والأولاد والأهل، عدلٌ فى حق الله ﷻ عدل فى حقوق العباد، عدل فى الأموال والأبدان، والأقوال والأفعال.

عدل فى العطاء والمنع، يحق الحق ويمنع البغى.

قال ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١).

وقال: «**ما من أحد يكون على شيء من أمور هذه الأمة، فلم يعدل فيهم، إلا كبه الله في النار**»(٢).

ويخاطب الله المؤمنين بقوله تعالى: ﴿ **۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا** ﴾ [النساء: ٥٨].

إنّ هذه الآية تلزم كل من يتولى حكمًا بين الناس، أن يحكم بالعدل، إنها تأمرهم أولًا بأداء الأمانات إلى أهلها، ومن تأدية الأمانات إلى أهلها أن يقوم أصحاب الولاية الكبرى بإسناد الولايات الصغرى إلى أهلها الأكفاء لها، دون محاباة، ولا اتباع هوى.

فاشتملت الآية على بيان الوظيفة الأولى للرعية، وهى أداء الأمانات إلى أهلها والوظيفة الثانية للراعى، وهى الحكم بين الناس بالعدل.

ولذلك جاء ذكر الإمام العادل فى أول الأصناف الذين يظلهم الله ﷻ فى ظله يوم لا ظل إلا ظله، ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّـهُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ فِى ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ**»(٣).

بل وأخبرنا ﷺ أنهم من أهل الجنة، فقال: «**أَهْلُ الْـجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَقِيقُ الْـقَلْبِ، لِكُلِّ ذِى قُرْبَى، وَمُسْلِمٍ عَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ، ذُو عِيَالٍ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) حسن: رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة.

وقد أخبرنا الرسول الأعظم ﷺ أن العدل من أعظم أسباب النجاة قال ﷺ: «**ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وَثَلاثٌ مُنَجِّيَاتٍ، وَثَلاثٌ كَفَّارَاتٌ، وَثَلاثٌ دَرَجَاتٌ. وَأَمَّا الْـمُنَجِّيَاتُ: فَالْـعَدْلُ فِي الرِّضا والْـغَضَبِ...**»(١).

وأخبرنا ﷺ أن الإمام العادل لا ترد دعوته، فقال ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ الْـعَادِلُ...**»(٢).

وجعل العدل بين الناس، صدقة من الصدقات، قال ﷺ: «**كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ الاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ...**»(٣).

عباد الله...

العدل أساس الملك، وإنَّ الله ﷻ ينصر الأمة الكافرة العادلة على الأمة المسلمة الظالمة، واتقوا دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها، وبين الله حجاب اعدلوا حتى مع من تبغضونهم، إن عدلتم مع من تبغضونهم، قربتموهم إلى الله ﷻ.

«بالعدل قامت السموات والأرض» ولهذا الأثر قصة عجيبة، فقد أرسل رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة إلى يهود خيبر، ليجمع منهم أموال الجزية، فجمعوا حليًّا من نسائهم، وقالوا له: هذا لك، وخفف عنا.

فقال: يا معشر يهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليَّ، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم -أى أظلمكم- والرشوة سحت، فقالوا: بهذا قامت السماء والأرض(٤) العدل إذا قام فى البلاد عَمّر، وإذا ارتفع عن الديار، دمَّر، بالعدل يشتد أزر الضعيف، ويقوى رجاؤه، وبالعدل يهون أمر القوي، وينقطع طمعه.

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٤٥).
(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٩٨)، وأحمد في «مسنده»، وصححه أحمد شاكر.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٣٧) للذهبي.

وإنه لا أعدل، ولا أتم، ولا أصدق، ولا أوفى من عدل شريعة الإسلام، فهى مبنية على المصالح الخالصة أو الراجحة، بعيدة عن أهواء الأمم، وعوائد الضلال، لا تعبأ بالأنانية والهوى، ولا بتقاليد الفساد.

إنّ الإسلام صدق كله، وعدل كله، ورب العزة والجلال يخاطب رسوله محمدًا ﷺ فيقول له: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ [الشورى: ١٥].

فكان ﷺ أعدل الناس على الإطلاق، يوم أن سرقت المرأة المخزومية، وأهَمّ قومها شأنها، وقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ قالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة بن زيد، فقال ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِى حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّـهِ؟**».

ثم قام وخطب قائلًا: «**أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْـحَدَّ، وَايْمُ اللَّـهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»(١).

وحاشا لله أن تسرق فاطمة بنت رسول الله ﷺ وفي يوم من الأيام بعد إحدى الغزوات، كان رسول الله يقسم مالًا، فجاءه رجلٌ يسمى «ذو الخويصرة» اليمانى، فقال: يا رسول الله، اعدل.

فقال له: «**وَيْحَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ، إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ**».

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْـخَطَّابِ ؓ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «دَعْهُ»[١]. أى اتركه يا عمر.

من يعدل إذا لم يعدل رسول الله وحبيبه ﷺ؟!

وفى يوم بدر، أول قتال مسلح بين الفئة المؤمنة، والفئة الكافرة، وبينما رسول الله يعدل الصف، وكان بيده قعب -أى قدح- فمرَّ بسواد بن غُزية -وكان بطنه خارجة عن الصف، فطعنه الحبيب بالقدح فى بطنه، قائلًا له: «استوِ يا سواد» فقال: يا رسول الله، أوجعتنى، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقدنى منك -أى أريد أن أقتص منك- فماذا حدث؟

لقد كشف الحبيب المصطفى ﷺ عن بطنه، وقال: «استقد» أى اقتص منى، ولكن سواد لم يقتص منه، بل أخذ يُقبل بطن الرسول الأعظم ﷺ مما أثار عجب الرسول، فقال له متسائلًا: «ما حملك على هذا يا سواد؟».

قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك، أن يمس جلدى جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير[٢].

أيها الأحبة الكرام...

لقد كان حبيبنا ﷺ عادلًا مع كل الناس، مع أصحابه، مع أهل بيته وأزواجه.

فعن عائشة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم، فيعدل، ويقول: «**اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلاَ تَلُمْنِى فِيمَا تَمْلِكُ، وَلاَ أَمْلِكُ**»[٣]. يَعْنِى الْـقَلْبَ.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) «البداية والنهاية» (٣/ ٢٧١) لابن كثير و«أسد الغابة» (٢/ ٤٠٠)، وابن هشام في السيرة (٣/ ٨٣).

(٣) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي وابن حبان والحاكم، وصححه على شرط مسلم.

وقالت يومًا لعروة ابن أختها أسماء رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم[١].

وفى يوم من الأيام كان عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم لها بقصعة فيها طعام، فضربت بيدها، فكسرت القصعة، فضمها وجعل فيها الطعام، وقال لأصحابه: «كلوا» وحبس الرسول والقصعة، حتى فرغوا، ثم دفع القصعة الصحيحة وحبس المكسورة[٢].

وتخرج خلفاؤه الراشدون من بعده فى مدرسة العدل، فهذا خليفته وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما ولى الخلافة بعد رسول الله، خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد:

أيها الناس، إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم، وإن أقواكم عندى ضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندى القوى، حتى آخذ منه الحق.

وإنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينونى، وإن زغت فقومونى فكان أبو بكر رضي الله عنه فى خلافته من أعدل الناس[٣].

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: إن أبا بكر حين حضره الموت، قال: إنى لأعلم أنه ليس عندى من هذا المال شيئًا إلا هذه اللقحة -أى الناقة- وهذا الغلام الذى كان يعمل سيوف المسلمين، ويخدمنا، فإذا مت، فادفعيه إلى عمر بن الخطاب فلما دفعته إلى عمر، قال: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده.

عباد الله...

وبذكر عمر تطيب المجالس، فلله دره من إمام، فلقد ملأ الدنيا عدلًا رضي الله عنه

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٢١٣٥).

(٢) رواه البخاري (٣٤٨١).

(٣) المنتظم لابن الجوزي (١/ ٤٣٥).

كان ﷺ إذا أتاه الخصمان برك على ركبته، وقال: اللَّهُمَّ أعنى عليهما، فإن كل واحد منهما يردنى عن دينى[(١)].

وكان يقول: ويلٌ لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل، وكان من خطبته ﷺ: والله ما أرسل عمالى إليكم، ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم، ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل به سوى ذلك، فليرفعه إلَيَّ، لم يكن عادلًا مع البشر وحدهم، ولكنه كان عادلًا حتى مع الحيوانات العجماء كان عادلًا، فعن المسيب بن دارم قال: رأيت عمر بن الخطاب يضرب رجلًا، ويقول له: حملت جملك ما لا يطيق.

جاء فى كتاب التبر المسبوك: أن قيصر الروم أرسل رسولًا إلى عمر بن الخطاب، لينظر أحواله، ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة، سأل أهلها وقال: أين ملككم؟ فقالوا: ما لنا ملك، بل لنا أمير، قد خرج إلى ظاهر المدينة، فخرج الرسول فى طلبه، فرآه نائمًا فى الشمس على الأرض، فوق الرمل الحار، والعرق يتصبب من جبينه، فلما رآه على هذا الحال، وقع الخشوع فى قلبه، وقال: حكمت فعدلت فأمنت، فنمت يا عمر، ولو تتبعنا أيها الأحبة عدل عمر ما وسعتنا هذه الجمعة.

وفى تاريخ دمشق عن أنس بن مالك ﷺ أن الهرمزان رأى عمر بن الخطاب نائمًا فى مسجد المدينة، فقال: هذا والله هو الملك الهنيء[(٢)].

وهذا هو الحييُّ الكريم سيدنا عثمان بن عفان ﷺ ذو النورين، هذا الخليفة العادل، الرحيم، الذى تشع الرحمة فى حياته، لقد غضب يومًا على خادمه فعرك أذنه، أى شدها شدًّا أوجعه وآلمه -ثم سرعان ما دعا هذا الخادم، وأمره أن يقتص

---

(١) «مناقب عمر» لابن الجوزي (ص٨٣).

(٢) «مختصر تاريخ دمشق» لابن عساكر ترجمة عمر بن الخطاب (ص٢٧٢).

منه، بأن يعرك أذنه، لكن الخادم يرفض، فيأمره بحزم وشدة، فيطيع، ويقول له: اشدد يا غلام، فإن قصاص الدنيا أرحم من قصاص الآخرة،

أيها المسلمون . . عباد الله...

اعدلوا مع الله، واعدلوا مع أنفسكم، واعدلوا مع الناس، اعدلوا مع القريب والبعيد، يقول إمام العادلين، وخاتم النبيين ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّـهِ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ، وَأَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّـهِ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ جَائِرٌ**»(١).

البر لا يبلى والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، وتوبوا إلى الله يغفر لكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، شمل الأنام بواسع رحمته، وصرف العالم ببالغ حكمته، لا يشغله شأن عن شأن، وهو الحكيم الخبير.

أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يقص الحق وهو خير الفاصلين.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، أصدق الناس فى الأقوال، وأسداهم فى الأفعال، وأعدلهم فى الأحكام.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) حسن: رواه الترمذي (١٣٢٩)، وحسنه السيوطي في «الجامع الصغير» (٢١٧٤)، والمناوي في «فيض القدير» (٢/ ٤١١).

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب رسول الله ﷺ...

لابد أن يكون المسلم عادلًا فى أقواله وأفعاله، ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي له على نَحْوَ مَا أَسْمَعُ منه، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ من حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فلاَ يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**»(١).

كونوا عادلين مع أبنائكم، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أعطانى أبى عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى يشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله، قال: «**أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟**».. قَالَ: لاَ.

قَالَ: «**فَاتَّقُوا اللَّـهَ، وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ**»(٢). قَالَ فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ.

وفى بعض الروايات وفى مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم: «**يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟**».

قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: «**أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟**». قَالَ: لاَ.

قَالَ: «**فَلاَ تُشْهِدْنِى إِذًا، فَإِنِّى لاَ أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ**»(٣).

إخوانى...

اتقوا الله فى سركم وعلانيتكم، واجعلوا العدل فى الدنيا نصب أعينكم،

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم وأحمد.

وتفكروا فى مصارع الذين سبقوا، وتدبروا مصيرهم أين انطلقوا؟ واعلموا أن القوم انقسموا وافترقوا، منهم قوم سعدوا ومنهم قوم شقوا.

عباد الله...

إلى متى هذه الغفلة وأنتم مطالبون بغير مهلة، فأصلحوا من أعمالكم ما فسد وكونوا من آجالكم على رصدٍ، قد آذنتكم الدنيا بالذهاب، وأنتم تلعبون بالأجل، وبين أيديكم الحساب.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولا تعذبنا، ووفقنا ولا تخذلنا، ولا تسلب الإيمان منا، لا ملجأ لنا إلا إليك، ولا معول لنا إلا عليك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ يا من فتح بابه للطالبين، وأظهر غناه للراغبين، نسألك أن تسلك بنا سبل عبادك الصادقين، وأن تلحقنا بعبادك الصالحين، اللَّهُمَّ أحيى قلوبًا أماتها البعد عن بابك، ولا تعذبها بأليم عقابك، يا كريم يا منان، يا من جاد على عباده بالإنعام والإفضال.

اللَّهُمَّ أيقظنا من غفلاتنا بلطفك وإحسانك، وتجاوز عن سيئاتنا بعفوك وغفرانك وارزقنا ما رزقت أولیائك من نعم قربك، ولذة مناجاتك، وصدق حبك يا أكرم الأكرمين. .

اللَّهُمَّ احفظنا وحفظ شبابنا وشيوخنا ونساءنا وأبناءنا من كل سوء، وألبسهم الفضيلة والصحة في العقل والجسد إنك ولي ذلك والقادر عليه، يا ذا العزة والفضل والإكرام، اللَّهُمَّ هب لنا صحة لا تلهينا، وعافية لا تطغينا، واجعلها خير معين على طاعتك، اللَّهُمَّ اجعل حواسنا وجوارحنا شاهدة لنا باكتساب الخيرات، لاشاهدة علينا بانتهاك.

اللَّهُمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك غفور سميع الدعوات ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠- ١٨٢].

وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

✡✡✡✡✡

الخطبة الرابعة والثلاثون

إن الله يحب التوابين

الحمد لله، الذى لا ند له فيبارى، ولا ضد له فيُجارى، ولا شريك له فيدارى، ولا معترض له فيمارى.

سبحانه، سبحانه، بسط الأرض قرارًا، وأجرى خلالها أنهارًا، وأخرج منها زرعًا وثمارًا، وأنشأ ليلًا ونهارًا، وخلق آدم، وأسكنه الجنة دارًا فغفل عن النهى وما دارى، أُمر أن يأخذ يمينًا، فأخذ يسارًا، أحمده سرًّا وجهارًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، معز الإسلام بنصره، ومذل الكفر بقهره ومصرف الأمور بأمره، ومديم النعمة بشكره، القاهر فوق عباده فلا يدافع والظاهر عليهم فلا ينازع، والحاكم بما يريد فلا يراجع، والممسك المعطى فلا يمانع.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا محمدًا عبده ورسوله، الذى أيده ربه بالمعجزات: المنزل عليه الذكر الحكيم والآيات، آمن به الضب، وسلمت عليه الأشجار، وخاطبته الأحجار، وحن إليه الجذع كما جاءت بذلك الأخبار.

لئن سبحت صُمُّ الجبال مجيبة ... لداود أو لان الحديد المصفَّح
فإن الصخور الصم لانتْ ... في كفه وإن الحصى في كفه ليسبح
إن كان موسى أنبع الماء من العصا ... ففي كفه قد أصبح الماء يطفح
فأفضل ماء قد نبع من بين ... أصابع النبي المتبع
وإن كان إبراهيم أعطى خُلة ... وموسى يتكلم من الطور يمنح

فهـذا حبـيب بـل خلـيل مكلَّـم وخـصص بالـرؤيا وبالحـق أشرح
وخـصص بالحـوض العظـيم ويـشفع للعاصـين والـنار تلفـح

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله...

هيا بنا نواصل اللقاء مع أناس يحبهم الله ﷻ، ونسأل الله ﷻ أن يجمعنا مع الحبيب المصطفى ﷺ ما الصنف الذى نعيش معه اليوم، إنه التائبون، مع الذين يتوبون إلى الله، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

هذا الصنف جاء فى خاتمة الحديث عن تحريم قربان الرجل للمرأة فى حال حيضها، لما فيه من الأضرار الحاصلة لكل من الرجل والمرأة وفى سبب نزولها جاء فى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها فى البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ رسول الله عن ذلك فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَىْءٍ إِلاَّ النِّكَاحَ».

فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير، وعباد بن بشر، فقالا: يا رسول، إنَّ اليهود تقول: كذا وكذا، أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما - أى غضب منهما- فخرجا، فاستقبلهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ فأرسل فى

آثارهما، فسقاهما، فعرفا أنه لم يجد -أى لم يغضب منهما -[١].

قال علماؤنا: كانت اليهود والمجوس تجتنب الحائض، وكانت النصارى يجامعون الحيض، فأمر الله بالقصد بين هذين.

قال ابن عاشور فى التحرير والتنوير عن الضرر الحاصل من دم الحيض:

وقد أثبت أنه أذى منكر، ولم يبين جهته، فتعين أن الأذى فى مخالطة الرجل للحائض، وهو أذى للرجل وللمرأة وللولد، فأما أذى الرجل، فأوله القذارة، وأيضًا فإن هذا الدم سائل من عضو التناسل للمرأة، وهو يشتمل على بويضات دقيقة، يكون منها تخلق الأجنة بعد انتهاء الحيض، وبعد أن تختلط تلك البويضات بماء الرجل، فإذا انغمس فى الدم عضو التناسل فى الرجل يتسرب إلى قضيبه شيء من ذلك الدم بما فيه -من الميكروبات- فربما احتبس منه جزء فى قناة الذكر، فاستحال إلى عفونة، تحدث أمراضًا معضلة، فتحدث بثورًا وقروحًا، لأنه دم قد فسد - بسبب أجزاء حية تفسد فى القضيب فسادًا مثل موت الحى، فتؤول إلى تعفن.

وأما أذى المرأة، فلأن عضو التناسل منها حينئذ بصدد التهيؤ إلى إيجاد القوة التناسلية، فإذا أزعج، كان إزعاجًا فى وقت اشتغاله بعمل، فدخل عليه بذلك مرض وضعف.

وأما الولد: فإن النطفة، إذا اختلطت بدم الحيض، أخذت البويضات فى التخلق قبل أوان صلاحها للتخلق النافع الذى وقته بعد الجفاف، والأطباء يقولون: إن الجنين المتكون فى وقت الحيض، قد يجيء مجذومًا، أو يصاب بالجذام من بعد[٢][٣].

(١) رواه مسلم وأحمد.
(٢) تفسير القرطبي (٣/ ٨١).
(٣) «التحرير والتنوير» (٢/ ٢٩٧، ٢٩٨) لابن عاشور.

أحبتى الكرام...

ويمكن لكل من حباه الله قدرًا من الحس والآدمية أن يدرك بوضوح، أن الرغبة فى إتيان المرأة وقت حيضها، إنما هى رغبة بهيمية شاذة، بل هى أدنى وأحط، إذ أنه قد ثبت أن ذكور الحيوانات البهيمية، تتخير المواسم الفطرية الملائمة لقربان الإناث، كما علم أيضًا أن الوطء فى فترة الحيض لا يمكن مطلقًا أن ينتج حملًا، لأن عملية التبويض، لا تكون إلا قبل الحيض بأسبوعين كاملين تقريبًا.

قال العلماء: الوطء حال الحيض هو عملية إدخال جراثيم إلى الرحم فى وقت تكون فيه الأجهزة الدفاعية لدى المرأة فى حالة ضعف وخمول، بحيث لا تستطيع أن تقاوم المقاومة المطلوبة، ووجود الدم فى تلك الفترة يعتبر عاملًا خصبًا ومساعدًا ومنشطًا لتكاثر الجراثيم ونموها.

والإسلام يحافظ على أتباعه من الضرر، فلا ضرر ولا ضرار فى الإسلام ولذا أباح الإسلام أن يتمتع الرجل بالمرأة حال حيضها، فى جميع جسدها عدا فرجها، فعن بعض أزواج النبي ﷺ أن النبى كان إذا أراد من الحائض شيئًا، ألقى على فرجها ثوبًا[(١)].

وعن عمارة بن غراب، أن عمة له، حدثته، أنها سألت عائشة ﵂ فقالت لها: إحدانا تحيض وليس لها ولزوجها فراش إلا فراش واحد؟ قالت: أخبرك بما صنع رسول الله ﷺ دخل، فمضى إلى مسجده فما انصرف حتى غلبتنى عينى، وأوجعه البرد، فقال: «ادنى منى» فقلت: إنى حائض، فقال: «اكشفى عن فخذيك» فكشفت فخذى فوضع خده وصدره على فخذى، وأحنيت عليه، حتى دفيء ونام ﷺ[(٢)].

قال ابن كثير: وتحل مضاجعتها ومؤاكلتها بلا خلاف.

(١) صحيح: «صحيح سنن أبي داود» للألباني (٢٧٢).
(٢) ضعيف: رواه أبو داود وضعفه الألباني.

قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يأمرنى، فأغسل رأسه، وأنا حائض، وكان يتكئ فى حجرى، وأنا حائض، فيقرأ القرآن.

وفى الصحيح عنها رضي الله عنها قالت: كنت أتعرق العرْق -أى من اللحم- وأنا حائض، فأعطيه النبي ﷺ فيضع فمه فى الموضع الذى وضعت فمى فيه، وأشرب الشراب، فأناوله، فيضع فمه فى الموضع الذى كنت أشرب.

أحبتى فى الله...

لكن قد يتبادر سؤال إلى الأذهان، لماذا ختم الله عز وجل آية السؤال عن الحيض بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]؟. أجاب الإمام الألوسى على ذلك فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾. مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض الذنوب كالإتيان فى الحيض المورث للجذام فى الولد، والمستدعى عقاب الله تعالى فقد أخرج أحمد والترمذى والنسائى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَتَى حَائِضًا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**»(١).

قال: وهو جارٍ مجرى الترهيب، فلا يعارض ما أخرجه الطبرانى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أصبت امرأتى وهى حائض، فأمره رسول الله أن يعتق نسمة، وقيمة النسمة حينئذ دينار،وهذا إذا كان الإتيان فى أول الحيض، والدم أحمر أما إذا كان فى آخره، والدم أصفر، فينبغى أن يتصدق بنصف دينار(٢).

فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فى الذى يأتى امرأته وهى حائض، قال: «**يَتَصَدَّقُ بِدِينَارٍ، أَوْ نِصْفِ دِينَارٍ**».

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي، وصححه الألباني في «المشكاة».
(٢) «تفسير روح المعاني» للألوسي (٢/ ٢٢٤).

أحبتي الكرام...

ينبغي على كل مسلم أن يرجع إلى الله تعالى، ويتوب إليه من جميع الذنوب والمعاصي، وأن يتبع السيئة الحسنة، لكي يتخلص من سيئاته، كما قال النبي ﷺ: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**».

فالتوبة والرجوع من معصية الله إلى طاعته، أمر عظيم، وأعظم من ذلك وأوجب التوبة من الكفر إلى الإيمان، قال تعالى: ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ** ﴾ [الأنفال: ٣٨].

ثم يليها التوبة من كبائر الذنوب، ثم من صغائرها، قال تعالى: ﴿ **وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٣١].

فالواجب على المسلم أن يتوب إلى الله من كل ذنب، وأن لا يتهاون بالصغائر فإن الصغيرة إذا تهاون بها العبد، صارت من الكبائر، كما يجب أن ينظر إلى من يعصى، قال بلال بن سعد رحمه الله: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت.

لا تستصغرن من الذنوب صغيرًا ... فإن الصغير غدًا يصير كبيرًا
إن الصغير وإن تقادم عهده ... عند الإله مسطر تسطيرًا
فازجر هواك عن بطالة ولا تكن ... صعب القيام وشمرت تشميرًا
إن المحب إذا أحب إلهه ... طار الفؤاد وألهم التفكير

وقد جاءت أحاديث كثيرة تنهى عن الاستهانة بالذنب، ومنها:

حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى جعلوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه**».

وعن أنس رضي الله عنه قال: إنكم لتعملون أعمالًا هى أدق فى أعينكم من الشعر، وإن كنا لنعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات - يعنى المهلكات - وإنَّ الله عز وجل يفرح بتوبة عبده، إذا تاب إليه.

قال ﷺ: «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها، حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش، أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني الذى كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ، فإذا راحلته عنده، عليها زاده وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته».

وفى رواية لمسلم: «...فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْـفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِى وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْـفَرَحِ...»

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:«إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّى أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْ لِى، فَقَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِى أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ فَغفَرَ لَهُ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّـهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّى أَذْنَبْتُ ذَنْبًا آخَرَ فَاغْفِرْ لِى، قَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِى أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ فَغفَرَ لَهُ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّـهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّى أَذْنَبْتُ ذَنْبًا آخَرَ فَاغْفِرْ لِى، فَقَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِى أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، فَقَالَ رَبُّهُ: غَفَرْتُ لِعَبْدِى فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ».

فيا من أثقلتكم الذنوب والأوزار، عودوا إلى ربكم الغفار، سارعوا بالتوبة والرجوع إلى الله الواحد القهار، فإنكم لا تدرون متى يطرق الموت عليكم بابكم، واعلموا أنكم لو رجعتم تائبين إليه، بنية صادقة، وبقلوب خاشعة فإنه سبحانه سيبدل سيئاتكم حسنات، كما قال جل شأنه: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠].

قال صاحب لطائف الإشارات: إنَّ من كرم الله تعالى أن أضاف التوبة على العبد إلى نفسه، فالعبد يذنب، وهو يتوب عليه، وهذا غاية الكرم. قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٢٧]. أمة مذنبة، وربٌّ غفور.

يروى عن إبراهيم الخليل عليه السلام، أنه لما أرى ملكوت السموات والأرض رأى عاصيًا يعمل معصية، فقال: إلهى، أهلكه، فأهلكه الله، ثم رأى آخر يعصى، فقال: اللَّهُمَّ أهلكه، فأهلكه الله، ثم رأى ثالثًا ورابعًا فأراد أن يدعو عليهم، فأوحى الله إليه، كفّ يا إبراهيم، فلو أهلكت كل عاص رأيته، لم يبق منهم أحد، ولكن بحلمى لا أعذبهم، فإما أن يتوبوا فأتوب عليهم، وإما أن يصروا فلا يفوتنى شيء.

وورد أن العبد إذا هم بالمعصية، يقول الله عز وجل: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ [الزمر: ٥٤]. فإذا عمل المعصية، قال له: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]. فإن أصر على فعلها يقول له ولأمثاله: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٠].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمُ السَّمَاءَ ثُمَّ تُبْتُمْ، لَتَابَ عَلَيْكُمْ**».

فأى كرم بعد هذا الكرم؟! وأى فضل بعد هذا الفضل العظيم؟!

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أوصنى، فقال: «**عليك بتقوى الله ما استطعت، واذكر الله عند كل حجر وشجر، وما عملت من سوء، فأحدث له توبة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية**».

أحبتى فى الله...

وللتوبة شروط:

أولها: الإقلاع عن الذنب:

والإقلاع عن الذنب إن كان الذنب ترك واجب، فالإقلاع عنه بفعل هذا

الواجب مثل أن يكون الشخص لا يصوم رمضان، فأراد أن يتوب إلى ربه ومولاه فلابد من أن يصوم، أو أنه لا يزكى وأراد التوبة، فلابد من إخراج الزكاة وإن كانت المعصية بفعل محرم مثلًا فالواجب عليه، أن يقلع عنه فورًا، ولا يبقى فيه ولا لحظة، فإن كان من آكلى الربا مثلًا، فالواجب عليه لكى يتوب أن يتخلص منه، وأن يبتعد عنه، وإن كانت المعصية غيبة، فالواجب الانتهاء عنه.

والإقلاع عن الذنب على قسمين:

الأول: أن يكون إقلاعًا عن ذنب يتعلق بحق الله تعالى، فهذا يكفى فى التوبة، أن تتوب بينك وبين الله، ولا ينبغى أن يحدث الناس بما صنع من الذنوب والمعاصى لأن الله قد سترك، ومنَّ عليك بستره، فلا تكشف ستر الله عليك بعد أن تاب عليك، قال ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِى مُعَافًى إِلاَّ الْـمُجَاهِرِينَ**».

الثانى: إن يكون إقلاعًا عن ذنب يتعلق بحق العباد، أى أنه بينه وبين الناس فإذا كان مالًا، فلابد من رده إلى صاحبه، ولا تقبل التوبة إلا بأدائه، أو التحلل من صاحبه، فإن كان قد مات، فيرد إلى ورثته، فإن لم تعرفه، أو غاب عنك أو لم نعرف له مكانًا، فتصدق به عنه تخلصًا منه، والله يؤديه إليه.

وإن كان الحق غيبة مثلًا، فينبغى عليك أن تطلب منه العفو والسماح، إن كان قد علم بها، فإن لم يكن علم بها، فلا تخبره بها، وإنما يكفى إن شاء الله تعالى أن تستغفر له، وأن تذكر محاسنه فى المجالس التى كنت تغتابه فيها، فإن الحسنات يذهبن السيئات.

الشرط الثانى: الندم على ما فعله من المعاصى والأوزار:

وذلك لأن شعور المسلم بالندم، يدل على صدق توبته، فيتحسر على ما سبق منه وينكسر من أجله، ولا يرى أنه فى حل منه حتى يتوب إلى الله تعالى، قال ﷺ: «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**»، وذلك لأنه الركن الأهم فى التوبة، كما ورد فى الحج «**الْـحَجُّ**

عَرَقَةٌ»، والندم عبارة عن حسرة لما فرط من الإنسان من ذنوب فى حق ربه، وفى حق خلقه، وفى حق نفسه، هذه الحسرة أشبه بالنار التى تلذع القلب لذعًا، هذا الندم عبر عنه بعض الصوفية بقولهم فى تعريف التوبة: «ذوبان الحشا، لما سبق من الخطا».

وقال ذو النون رَحِمَهُ اللَّهُ فى تعريف التوبة: أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، حتى لا يكون لك قرار، ثم تضيق عليك نفسك، كما أخبر الله فى كتابه عن الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك: ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ [التوبة: ١١٨].

الشرط الثالث: العزم على أن لا يعود:

فإن كان ينوى العودة إليه إذا سمحت له الفرصة، فإن التوبة لا تصح حينئذ.

الشرط الرابع: أن تكون توبته خالصة لأجل الله:

أى رغبة فى ثوابه، وخشية من عقابه، فمن أقلع عن شرب الخمر، لأن الطبيب منعه من شربها، أو أنها سوف تضر بصحته، فتركها من أجل ذلك لم يعد تائبًا أو كمن أقلع عن الزنا، لأنه أصيب بمرض الإيدز، فإنه لا يعد تائبًا.

ومن أقلع عن الاتجار بالمخدرات، خوفًا من الشرطة، فهذا لا يعد تائبًا، ومن خسر ماله فى القمار، فأقلع عنه، لإفلاسه وضياع ثروته، لم يكن ذلك تائبًا، ولم يدخل هو فى زمرة التائبين.

ومن عق أباه، فحرمه من ماله وميراثه، فندم على عقوقه، لم يكن ندمه هذا توبة، ولا جزءًا منها، لأنه ندم على الدنيا، لا على المعصية.

أحبتى فى الله...

إن الله عَزَّوَجَلَّ منحنا مهلة للتوبة قبل أن يسجل ملك السيئات السيئات، فقد ورد أن النبي ﷺ قال: «**إنّ صاحب الشمال، ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم، واستغفر الله منها، ألقاها، وإلا كتبت واحدة**» ومهلة

أخرى بعد الكتابة، وقبل حضور الأجل، فسارعوا إلى التوبة قبل انقضاء المهلة، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين، وذلك حين لا ينفع الندم.

أحبتى الكرام...

إن من طبيعة النفس البشرية أن تذنب، ولكن منا من يتوب، ومنا من يستمر ويصر ويكابر، وهذا هو المغبون.

يحكى عن ابن المنكدر رحمه الله أنه قال: قلت ليلة وأنا أطوف بالكعبة فى منتصف الليل: اللَّهُمَّ اعصمنى من الذنوب، وأقسمت على ربى طويلًا، فرأيت فى المنام، كأن قائلًا يقول لى: أنت الذى قلت: اللَّهُمَّ اعصمنى من الذنوب؟ فقلت: نعم، فقال لى: إنه لا يفعل، قلت: فلم؟ قال: يريد أن يعصى ليغفر وفى بعض الروايات: إذا عصمكم من الذنوب، فعلى من يجود بالمغفرة.

يا هذا، إلى كم تعصى وتتمرد؟ وأقبح من قبيحك أنك تتعمد، يا رديء العزم يا سيئ المقصد، يا نقى الثوب، والقلب أسود، ما هذا الأمل، ولست بمخلد أما نخاف ممن هدد وأوعد، يا مسئولًا عن القبيح أتقر أم تجحد؟ أما علمت أن السفر بعيد، فهل تتزود؟

أفق أيها السابح فى بحار الغمرات، واستدرك وقتك قبل انصرام الأوقات، التوبة واجبة على الفور فلا تؤجلها، ولا تسوف فيها، وبابه مفتوح للكفار والمشركين، والمنافقين والظالمين، فكفاك تفريط فى جنب الله.

قال مالك بن دينار رضي الله عنه : رأيت عتبة الغلام، وهو فى يوم شديد الحر وهو يرشح عرقًا، فقلت له: ما الذى أوقفك فى هذا الموضع؟ فقال: يا سيدى هذا موضع عصيت الله فيه، وأنشد يقول:

أتفــرح بالذنـــوب وبالمعــاصي   وتنـسى يـوم يـؤخذ بالـنواصي
وتـأتي الــذنب عمــدًا لا تــبالي   ورب العالمــين علــيك حــاصى

أخي الحبيب...

تذكر أن لك نهاية، لقد بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري وقلة زادي، وإني أصبحت في صعود وهبوط، على جنة ونار، ولا أدرى أيهما يؤخذ بي.

ألا أيها الناس ليوم رحيله ... أراك عن الموت المفرق لاهيًا
ألم تعتبر بالطاعنين إلى البلى ... وتركهم الدنيا جميعًا كما هي
ولم يخرجوا إلا بقطن وخرقة ... وما عمروا من منزل ظل خاليًا
وأنت غدٍ أو بعده في جوارهم ... وحيدًا فريدًا في المقابر ثاويًا

عباد الله...

الإساءات منا كثيرة، والعفو من مولانا سبحانه وتعالى أكثر، والخطأ منا كبير، ورحمته جل فى علاه أكبر، والزلل منا عظيم، وغفرانه أعظم.

اللَّـهُمَّ فاطر السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام إنا نعهد إليك في هذه الحياة الدنيا نشهدك وكفى بك شهيدًا إنك أنت الله لا إله ألا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمد عبدك ورسولك وأن وعدك حق، والجنة حق، والنار حق وأنك تبعث من في القبور، وأنك أن تكلنا إلى أنفسنا تكلنا إلى ضعف وعوره وذنب وخطياه، وإنا لا نثق إلا برحمتك فاغفر لنا وارحمنا يا أرحم الراحمين، اللَّـهُمَّ أحسن ختامنا وأن لا تميتنا إلا وأنت راض عنا غير غضبان.

اللَّـهُمَّ ارحمنا إذا أوحشنا المكان، وفارقنا الأهل والإخوان، وجاورتنا الديدان، اللَّـهُمَّ أدركنا هناك برحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّـهُمَّ ارحمنا تحت الأرض، واسترنا فوق الأرض، ولا تفضحنا يوم العرض، يا أرحم الراحمين

اللَّـهُمَّ تول أمرنا، وارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، واغفر ذنبنا... اللَّـهُمَّ أصلح أحوالنا واختم بالصالحات أعمالنا وآجالنا.

اللَّـهُمَّ اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم أن نلقاك وأنت راضٍ عنا.

اللَّـهُمَّ أرنا الحق حقًا وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واهدنا سبل الرشاد... واهدنا اللَّـهُمَّ لما اختلف فيه من الحق بإذنك، وأخرجنا من الظلمات إلى النور برحمتك يا أرحم الراحمين!

اللَّـهُمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات.

عباد الله . . .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم.

﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وأقم الصلاة.



الخطبة الخامسة والثلاثون

مع الصابرين

الحمد لله، الذى كان بعباده خبيرًا بصيرًا، وتبارك الذى جعل فى السماء بروجًا، وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا، وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، وتبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا.

أحمده الحمد كله، وأشكره الشكر كله، اللَّهُمَّ لك الحمد خيرًا مما نقول وفوق ما نقول، لك الحمد بكل نعمة أنعمتها علينا فى قديم أو حديث، عز جاهك، وجل ثناؤك، وتقدست أسماؤك ولا إله إلا أنت.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم العرض على الله، شهادة مبرأة من الشكوك والشرك، شهادة مَن أنار التوحيد قلبه، وأرضى بالشهادة ربه، وشرح بها صدره.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، صلِّ اللَّهُمَّ وسلم وبارك على كاشف الغمة، وهادى الأمة، ما تألقت عين لنظر، وما اتصلت أذن بخبر، وما هتف حمام على شجر، وعلى آله بدور الدجى، وليوث الردى، وغيوث الندى، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب الحبيب محمد ﷺ...

فى بداية هذا اللقاء أوصيكم ونفسى بتقوى الله ﷻ فإنه قد فاز المتقون وسعدوا، هيا بنا لنواصل اللقاء مع سلسلتنا المباركة «أناس يحبهم الله» ونسأل الله

العظيم أن يجمعنا مع حبيبنا ﷺ هيا بنا لنعيش من صنف من هؤلاء الذين يحبهم اللَّهُمَّ، إنهم الصابرون.

أحبتى فى الله...

قال الله ﷻ فى كتابه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

أيها الأحبة الكرام...

وهذا صنف آخر من الأصناف التى يحبها الله ﷻ، وهم الصابرون وهذه الآية التى وردت فى الحديث عن هذا الصنف، جاءت فى معرض الرد على أصحاب النبى الأمين ﷺ حين انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، وقتل من قتل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمدًا قد قتل، ورجع ابن قميئة إلى المشركين، فقال لهم: قتلت محمدًا، وإنما كان قد ضرب رسول الله ﷺ فشجه فى رأسه، فوقع ذلك فى قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قتل، وجوزوا عليه ذلك، كما قد قص الله تعالى عن كثير من الأنبياء عليهم السلام، فحصل لهم ضعف ووهن وتأخر عن القتال، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤ - ١٤٦].

وما دام الله ﷻ يحب الصابرين، فما هو الصبر؟ وما هى منزلة الصبر والصابرين فى كتاب الله ﷻ؟ وما هى أنواع الصبر؟ وما هى الأمور التى ذكرها القرآن الكريم تعين على الصبر؟

كل هذه الأسئلة سوف نجيب عنها بمشيئة الله تعالى.

أحبتى الكرام...

فما هو الصبر؟

إنّ الصبر من أبرز الأخلاق القرآنية، التى عنى بها القرآن الكريم فى معظم سوره المكية والمدنية.

والمتتبع لألفاظ القرآن الكريم يجد مادة (ص ب ر) بكل مشتقاتها حوالى مائة مرة، وبضع مرات.

والصبر فى اللغة: الحبس والكف، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ** ﴾ [الكهف: ٢٨] أى احبس نفسك معهم.

واختلفت عبارات الصالحين من سلف الأمة وخلفها فى تعريف الصبر.

فقيل: الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب(١).

وقيل هو: الفناء فى البلوى، بلا ظهور ولا شكوى(٢).

وقال عمرو بن عثمان: هو الثبات مع الله، وتلقى بلائه بالرحب والدعة(٣).

وقيل: هو الاستعانة بالله(٤).

وقال الخواص: هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة(٥).

وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله: صبر المحبين، أشد من صبر الزاهدين، واعجبًا كيف يصبرون؟ وأنشد:

والصبر يجمل في المواطن كلها إلا عليك فإنه لا يجمل

---

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (جـ٢/ ١٥٧).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

وقيل: هو ترك الشكوى. وقيل:

الصبر مثل اسمه مرٌّ مذاقته　　　لكن عواقبه أحلى من العسل

أحبتى الكرام...

إنّ الله جل فى علاه جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا لا يهزم، وحصنًا لا يهدم، فهو والنصر أخوان شقيقان، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عُدة ولا عدد.

وللصابرين معية مع الله ﷻ، ظفروا بها بخيرى الدنيا والآخرة، وفازوا بنعمه الظاهرة والباطنة، وجعل الله سبحانه الإمامة فى الدين منوطة بالصبر واليقين، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: إنما تُنال الإمامة فى الدين بالصبر واليقين(١). ثم تلا الآية السابقة.

وقد أخبرنا سبحانه وتعالى عن محبته للصابرين، وبشرهم بثلاث، كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وقد أوصى عباده بالاستعانة بالصبر والصلاة على نوائب الدنيا والدين فقال رب العالمين: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥].

وجعل الفوز بالجنة، والنجاة من النار، لا يحظى به إلا الصابرون، قال تعالى: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١١].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٥٣) لابن قيم الجوزية.

وإذا كانت الأعمال لها أجر معلوم ومحدد، فإن الصبر أجره وثوابه لا حد له، لذلك قال تعالى فى قرآنه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

قال سليمان بن القاسم: كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر، لأجل هذه الآية.

أحبتى الكرام...

الصبر مقترن بمقامات الإسلام والإيمان، كما قرنه الله ﷻ باليقين وبالتقوى والتوكل، وبالشكر والعمل الصالح، ولهذا كان من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فلا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خير عيش أدركناه بالصبر، وأخبرنا الأستاذ الأعظم، والنبى الأكرم ﷺ أنه ضياء، فقال: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْـحَمْدُ لِلَّـهِ تَمْلأُ الْـمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللَّـهِ وَالْـحَمْدُ لِلَّـهِ تَمْلآنِ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْـقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ» (١).

وقال: «عَجَبًا لأَمْرِ الْـمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ» (٢).

وقال للمرأة السوداء التى كانت تصرع، وسألته أن يدعو لها: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْـجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّـهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. ولكنِّى أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّـهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا (٣).

وقد أمر الأنصار بأن يصبروا على الأثرة التى يلقونها بعده، حتى يلقوه على الحوض، وأمرهم أن يصبروا عند ملاقاة أعدائهم، حتى يظفروا بالصبر، قال ﷺ: «لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْـعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّـهَ الْـعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا» (٤).

---

(١) رواه مسلم والترمذي، وقال: حديث صحيح، ورواه النسائي وابن ماجه.
(٢) رواه مسلم وأحمد في «مسنده».
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

والصبر خصيصة من خصائص الإنسان المميزة له عن غيره من المخلوقات قال الإمام الغزالى رحمه الله فى تحليل معنى الصبر، وبيان حقيقته: الصبر خاصية الإنس، ولا يتصور ذلك فى البهائم، ولا الملائكة، أما البهائم فلنقصانها، وأما الملائكة فلكمالها.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الإنسان منا إذا غلب صبره باعث الهوى والشهوة، التحق بالملائكة، وإن غلب باعث الهوى والشهوة صبره، التحق بالشياطين، وإن غلب باعث طبعه - من الأكل والشرب والجماع - صبره، التحق بالبهائم، قال قتادة: خلق الله عز وجل الملائكة عقولًا بلا شهوات، وخلق البهائم شهوات بلا عقول، وخلق الإنسان، وجعل له عقلًا وشهوة، فمن غلب عقله شهوته، فهو مع الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو كالبهائم».

أحبتى فى الله...

تلك هى مكانة الصبر، فما هى أنواعه؟

قال أهل العلم: الصبر على ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على بلائه.

صبر على طاعة الله عز وجل، صبر على الصلاة، صبر على الخروج إلى صلاة الجماعة، صبر على إسباغ الوضوء فى السبرات، صبر على الجهاد فى سبيل الله، وملاقاة الأعداء، صبر على الإنفاق فى سبيل الله، وصبر عن معصية الله عز وجل، فالشيطان عدو للإنسان يوسوس له ويضله، فهو دائمًا فى معركة مع الإنسان يوسوس له أن يفعل المعاصى يسول له أن يرتكب الموبقات، يزين له الوقوع فى الضلالات.

فإن صبر وجاهد، ولم يفعل المعصية، وابتعد عنها، يكون هذا صبر عن معصية الله تعالى.

وأما الصبر على قدره تعالى وبلائه، وقضائه، فمعناه الصبر على ما يصيب

الإنسان من نصب أو وصب، أو هم أو حزن، أو مرض، أو موت قريب أو نحوه، فإن صبر صاحبه يكون قد صبر على بلائه تعالى أو قضائه وقدره قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والصبر على طاعته، والصبر عن معصيته، أكمل من الصبر على أقداره، فإن الصبر فيها صبر اختيار، وإيثار ومحبة، والصبر على أحكامه الكونية صبر ضرورة، وبينهما من البون ما قد عرفت، وكذلك كان صبر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام على ما نالهم فى الله، باختيارهم وفعلهم ومقاومتهم قومهم - أكمل من صبر أيوب على ما ناله فى الله، من ابتلائه وامتحانه بما ليس مسببًا عن فعله».

وكذلك كان صبر إسماعيل الذبيح، وصبر أبيه إبراهيم الخليل عليهما السلام على تنفيذ أمر الله -أكمل من صبر يعقوب على فقد يوسف عليه السلام.

وكان الإمام ابن تيمية رحمه الله يقول: الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية.

وقد قسمه الإمام ابن القيم رحمه الله إلى أنواع ثلاثة أخر:

١- صبر بالله.

٢- صبر لله.

٣- صبر مع الله.

فالنوع الأول: صبر بالله، ومعناه: الاستعانة به، ورؤية أنه هو المصبر وأن صبر العبد بربه، لا بنفسه، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧].

والصبر بالله بقاء، لأن العبد، إذا كان بالله، هان عليه كل شيء، فإذا كان هذا حاله، انقلبت مشاق التكاليف له نعيمًا، وقرة عين، كما قال ثابت البناني رحمه الله:

«عالجت قيام الليل عشرين سنة، وتنعمت به عشرين سنة» ومن كانت قرة عينه فى الصلاة لم يجد لها مشقة وكلفة.

النوع الثانى: الصبر لله: ومعناه: أن يكون الباعث على الصبر، محبة الله ﷻ وإرادة وجهه، والتقرب إليه.

وهذا النوع، وهو الصبر لله أعلى درجة، وأعظم من الصبر بالله، فإن الصبر لله متعلق بالهيئة، والصبر به متعلق بربوبيته، وما تعلق بألوهيته أكمل وأعلى مما تعلق بربوبيته، لأن الصبر له عبادة، والصبر به استعانة، والعبادة غاية، والاستعانة وسيلة، والغاية مرادة لنفسها، ولأن الصبر له، فيما هو حق له، محبوب له، مرضى له، والصبر به قد يكون فى ذلك، وقد يكون فيما هو مسخوط له، وقد يكون فى مكروه أو مباح، فأين هذا من هذا؟!

النوع الثالث: الصبر مع الله: وهو دوران العبد مع مراد الله الدينى، ومع أحكامه الدينية، صابرًا نفسه معها، سائرًا بسيرها، مقيمًا بإقامتها يتوجه معها أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها، فقد جعل نفسه وقفًا على أوامره ومحابه، وهذا أشد الأنواع وأصعبها، وهو صبر الصديقين.

قال الإمام الجنيد رحمه الله: السير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن، وهجران الخلق فى جنب الله شديد، والمسير من النفس إلى الله صعب شديد، والصبر مع الله أشد.

أحبتي في الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، أو كما قال : «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»، واستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

الحمد لله وحده وصلاة وسلامًا على من لا نبي بعده.

ثم أما بعد...

أحبتى الكرام...

ما أحوجنا إلى الصبر، والتفكر فى معانيه وثمرته، والوقوف على حقيقته، لئلا يفوتنا الأجر، أو نقع فى الوزر، خصوصًا فى زمننا هذا مع كثرة المغريات عن طاعة الله عز وجل.

والصبر على المصائب والبلايا من فقد الأنفس والأموال أمر معلوم، ومسلم به وتأملوا نخبة من الصابرين الصالحين:

١- **عروة بن الزبير** رحمه الله:

فعن هشام بن عروة قال: خرج أبى إلى الوليد بن عبد الملك، فوقعت فى رجله الأكلة، فقال له الوليد: يا أبا عبد الله، أرى لك قطعها.

قال: فقطعت، وإنه لصائم فما تغير وجهه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك، ومعه ابنه محمد، وكان من أحسن الناس وجهًا، فدخل يومًا على الوليد فى ثياب وشي، وله غديرتان، وهو يضرب بيده.

فقال الوليد، هكذا تكون فتيان قريش، فعانه -أى حسده- فخرج من عنده متوسنًا، فوقع فى اصطبل الدواب، فلم تزل الدواب تطؤه بأرجلها حتى مات، ثم إن الأكلة وقعت فى رجل عروة، فبعث إليه الوليد الأطباء، فقالوا: إن لم تقطعها، سرت إلى باقى الجسد فتهلك، فعزم على قطعها، فنشروها بالمنشار، فلما صار المنشار إلى القصبة، وضع رأسه على الوسادة ساعة، فغشى عليه، ثم أفاق،

والعرق يتحدر على وجهه، وهو يهلل ويكبر، فأخذها وجعل يقلبها فى يده، ثم قال: أما والذى حملنى عليك، إنه ليعلم أنى ما مشيت بك إلى حرام، ولا إلى معصية، ولا إلى ما لا يرضى الله، ثم أمر بها فغسلت وطيبت وكفنت فى قطيفة، ثم بعث بها إلى مقابر المسلمين.

قال ابن القيم رحمه الله: ولما أرادوا قطع رجله، قالوا له: لو سقيناك شيئًا كى لا تشعر بالوجع، فقال ابتلانى ليرى صبرى، أفأعارض أمره؟

إن سلبت فلطالما أعطيت، وإن أخذت فطالما أبقيت.

٢- زوجة فتح الموصلى:

لقد انقطع أصبعها، فضحكت، فقال بعض من معها: أتضحكين، وقد انقطع أصبعك؟! فقال: أخاطبك على قدر عقلك، حلاوة أجرها أنستنى مرارة قطعها.

قال ابن القيم رحمه الله: إشارة إلى أن عقله لا يحتمل ما فوق هذا المقام من ملاحظة المبتلى، ومشاهدة حسن اختياره لها فى ذلك البلاء، وتلذذها بالشكر له، والرضا عنه، ومقابلة من جاء من قبله بالحمد والشكر، كما قيل:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة فقد سرني أني خطرت ببالكا

٣- سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه:

لما قدم سعد بن أبى وقاص مكة، وقد كف بصره، جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له، فيدعو لهذا ولهذا، وكان رضي الله عنه مجاب الدعوة.

قال عبد الله بن السائب: فأتيته وأنا غلام، فتعرفت عليه، فعرفنى، وقال: أنت قارئ أهل مكة؟ قلت نعم، فذكر قصة، قال فى آخرها: فقلت له: يا عم: أنت تدعو للناس، فلو دعوت لنفسك، فردَّ عليك بصرك؟! فتبسم، وقال: يا بنى، قضاء الله سبحانه وتعالى عندى، أحسن من بصرى -رضى الله عنه وأرضاه.

٤- أم سليم ﵂:

تلك المرأة العظيمة، والتى كان مهرها الإسلام، ماذا حدث؟

لقد كان لها ولد من زوجها أبى طلحة ﵁ فاشتكى يومًا من الأيام حتى مات، وأبو طلحة خارج البيت، فلما رأت أم سليم أنه قد مات جعلت ولدها فى جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة، قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة قالت: فبات بخير ليلة، لأنها قد هيأت له نفسها، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج، قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان.

فقال رسول الله ﷺ: «بَارَكَ اللَّـهُ لَكُمَا فِى لَيْلَتِكُمَا».

قال راوى الحديث: فلقد رأيت لهم بعد ذلك فى المسجد سبعة كلهم قد قرأ القرآن الكريم.

اللَّـهُمَّ ارزقنا لسانًا ذاكرًا، وقلبًا شاكرًا، وجسدًا على البلاء صابرًا، اللَّـهُمَّ ارزقنا الإخلاص في أقوالنا، والإخلاص في أعمالنا، والإخلاص في أحوالنا، اللَّـهُمَّ أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللَّـهُمَّ حلنا بأخلاق القرآن، اللَّـهُمَّ حلنا بأخلاق الإسلام، اللَّـهُمَّ حلنا بأخلاق الإسلام أنت ولي ذلك والقادر عليه يا رب العالمين.

اللَّـهُمَّ أعد الأمة إلى الإسلام وردها إليه ردًا جميلًا، اللَّـهُمَّ رد الأمة إلى الإسلام ردًا جميلا، اللَّـهُمَّ خذ بنواصينا إليك، اللَّـهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأعلِ بفضلك كلمتي الحق والدين.

اللَّـهُمَّ اجعل جمعنا هذا في هذا اليوم الكريم المبارك جمعًا مرحومًا، وتفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا، ولا تجعل اللَّـهُمَّ فينا شقيًا ولا محرومًا، اللَّـهُمَّ لا تدع

لأحد منا في هذا الجمع الطيب ذنبًا إلا غفرته، ولا مريضًا بيننا إلا شفيته، ولا دينًا على أحد منا إلا أديته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا طائعًا إلا ثبتَّه، ولا عاصيًا إلا هديته، ولا حاجة هي لك رضىً ولنا فيها صلاح إلا قضيتها ويسرتها يا رب العالمين.

اللَّـهُمَّ تقبل منا صيامنا وقيامنا وصالح أعمالنا، اللَّـهُمَّ تقبل منا الصيام والقيام وصالح الأعمال، اللَّـهُمَّ اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠- ١٨٢]. وأقم الصلاة.

✡✡✡✡✡

الخطبة السادسة والثلاثون

إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا

الحمد لله، الذى يستفتح بحمده كل كتاب، وبذكره يصدر كل خطاب، وباسمه يتسلى الأشقياء، وإن أرخى دونهم الحجاب، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

أحمدك يا رب، وأستعينك وأستهديك، وأتوب إليك وأستغفرك، لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، جل وجهك، وعظم سلطانك، ولا إله غيرك.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، جعل أمتنا خير أمة أخرجت للناس، وجعل لهم كتابه خير منهاج، وبذر فيها بذور الخير، ففاح شذا وطاب غراس، اصطفاها من بين سائر الأمم وأفاض عليها ما شاء من النعم، ودفع عنها الشرور والنقم.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، بعثه الله هاديًا ومبشرا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا، أحيا الله به القلوب، وأسمع به الآذان، وأنار به العقول، وبصر به العيون، وجعل الأبواب كلها مغلقة إلا باب طاعته، والسير على منهاجه.

فقال: «وعزتى وجلالى، لو أتونى من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، لما فتحت لهم، حتى يأتوا خلفك يا محمد».

اللَّهُمَّ صلّ وسلم وبارك على هذا النبى الهاشمى، التقى النقى، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديهم، واستن بسنتهم إلى يوم الدين، أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون.

أما بعد...

أيها الموحدون...

وما زال اللقاء موصولًا مع أولئك الذين أحبهم الله ﷻ، ورضى عنهم وأعد لهم أعلى المنازل، وأرفع الدرجات.

هيا بنا لنعيش مع صنف آخر من هؤلاء، أتدرون من هم؟ إنهم الذين أشارت إليهم سورة الصف فى مفتتحها، فقال ربنا ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ۝٤ ﴾ [الصف: ٤].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد، يقولون: لوددنا أن الله ﷻ دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به، فأخبر الله ﷻ نبيه ﷺ أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله، لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته، الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به، فلما نزل الجهاد، كره ذلك أناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره.

فقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقال مقاتل بن حيان: قال المؤمنون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله، لعملنا به، فدلهم الله على أحب الأعمال إليه، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ۝٤ ﴾ [الصف: ٤].

فهذا إخبار منه سبحانه وتعالى بمحبة عباده المؤمنين إذا اصطفوا مواجهين لأعداء الله فى حومة الوغى، يقاتلون فى سبيل الله من كفر بالله، لتكون كلمة الله هى العليا، ودينه هو الظاهر العالى على سائر الأديان(١).

---

(١) ذكره ابن كثير (٨/ ١٠٧) في «تفسيره»، والطبري (٢٣/ ٣٥٤).

روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثَلاَثَةٌ يَضْحَكُ اللَّـهُ إِلَيْهِمُ: الرَّجُلُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ، وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلصَّلاَةِ وَإِذَا صَفُّوا لِلْقِتَالِ**»(١).

وعن كعب الأحبار قال: يقول الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ: «عبدى المتوكل المختار، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب فى الأسواق، ولا يجزئ السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام وأمته الحمادون، يحمدون الله على كل حال، وفى كل منزلة، لهم دوى كدوى النحل فى جو السماء بالسحر، يوضئون أطرافهم، ويأتزرون على أنصافهم، صفهم فى القتال مثل صفهم فى الصلاة، ثم قرأ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ [الصف: ٤]. رعاة الشمس، يصلون الصلاة حيث أدركتهم، ولو على ظهر دابة»(٢).

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين.

عباد الله...

والقتال فى سبيل الله تعالى، هو الجهاد فى سبيله، وقد بين الله ﷻ الهدف والغاية من الجهاد فى سبيله، فقال تعالى: ﴿ **وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾** ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وقال فى سورة أخرى: ﴿ **وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾** ﴾ [البقرة: ١٩٣].

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده» (١١٧٠٠)، وحسنه حمزة الزين في «تحقيق المسند» (١٠/ ٢٥٢)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٦١١)، وقد ذكره القرطبي في «التفسير».
(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم (١٢/ ٣٠٩).

فعلى هذا يكون الهدف والحكمة من الجهاد أو القتال فى سبيل الله يكون لإعلاء كلمة الله تعالى، لحديث أبى موسى الأشعرى ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليُذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه -أى مكانته- فمن فى سبيل الله؟ قال: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّـهِ هِيَ الْـعُلْيَا، فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

ومن أهداف الجهاد: نصر المظلومين، قال ربنا ﷻ: ﴿ **وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾** ﴾ [النساء: ٧٥].

وكذلك من حكمة مشروعيته وأهدافه، رد العدوان وحفظ الإسلام، قال تعالى: ﴿ **فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وكذلك من أهدافه: الدفاع عن النفس والدين، والدفاع عن الأهل والمال، قال صلوات ربى وسلامه عليه: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»(٢).

وسيدنا عبد الله بن عمر ﷺ قال لخالد بن العاص: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»(٣).

وعن أبى هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى؟ قال: «**فَلاَ تُعْطِهِ مَالَكَ**».

---

(١) رواه البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (١٦٥١)، والترمذي، وقال: حسن صحيح (١٤١٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٣/ ٨٥٨).

(٣) رواه مسلم (١٤١).

قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِى؟

قَالَ: «قَاتِلْهُ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِى؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ».

قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِى النَّارِ»(١).

أيها الموحدون الكرام...

والجهاد فى سبيل الله هو التجارة الرابحة التى لا تعادلها تجارة، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ ﴾ [الصف: ١٠ - ١٢].

واسمعوا ماذا يقول الرب الكريم، صاحب الإفضال والإنعام: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ ﴾ [التوبة: ١١١].

لا أحد أوفى بعهده من الله.

قدر السلعة يُعرف بقدر مشتريها، والثمن المبذول فيها، والمنادى عليها، فإذا كان المشترى عظيمًا والثمن خطيرًا، والمنادى جليلًا، كانت السلعة نفيسة الجهاد لا يعدله فى الجزاء العظيم، والثواب الكبير شيء، هذا كلام يحتاج إلى دليل فما هو الدليل على ذلك؟

ما ورد فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه جاءه رجل، فقالت: يا رسول الله، دلنى على عمل يعدل الجهاد؟ فقال له الحبيب

---

(١) رواه مسلم (١٤٠).

المصطفى ﷺ: «**لاَ أَجِدُهُ - قَالَ - هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْـمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلاَ تَفْتُرَ وَتَصُومَ وَلاَ تُفْطِرَ**». قَالَ الرجل: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟

وفى رواية للبخارى أيضًا قيل يا رسول الله، ما يعدل الجهاد فى سبيل الله؟

قال: «**لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ**».

فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «**لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ**».

وَقَالَ فِى الثَّالِثَةِ: «**مَثَلُ الْـمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِ اللَّـهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْـقَائِمِ الْـقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّـهِ لاَ يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلاَ صَلاَةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْـمُجَاهِدُ فِى سَبِيلِ اللَّـهِ تَعَالَى**»[١].

ولقد قرأت حديثًا عظيمًا فى مستدرك الحاكم، وقال: صحيح على شرط البخارى من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مقام الرجل فى الصف فى سبيل الله، أفضل عند الله من عبادة الرجل ستين سنة**»[٢].

أرأيتم عبادة تعدل هذه العبادة، إنها والله لأعظم عند الله تعالى من أى عبادة مرّ رجل من أصحاب الحبيب النبي ﷺ بشعب فيه عُيينة - تصغير عين - من ماء عذبة، فأعجبته هذه العُيينة لعذوبة مائها - فقال لنفسه: لو اعتزلت الناس، وابتعدت عنهم، وأقمت فى هذا الشعب! لكنى لا أفعل حتى أذهب إلى رسول الله ﷺ فأستأذنه، فذهب إليه، وذكر له ما رآه، وما حدثته به نفسه، فماذا قال له معلم البشرية ﷺ؟

قال له: «**لاَ تَفْعَلْ، فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِى سَبِيلِ اللَّـهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهِ فِى بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّـهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الْـجَنَّةَ، اغْزُوا فِى سَبِيلِ اللَّـهِ مَنْ**

---

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

(٢) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» (٥/ ٤٩٤) رقم (٢٣٤٤)، وقال: صحيح على شرط البخاري، وصححه الألباني في «الترغيب» رقم (١٣٠٣).

قَاتَلَ فِى سَبِيلِ اللَّـهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ، وَجَبَتْ لَهُ الْـجَنَّةُ»(١).

أى مقدار الزمن الذى يحلب فيه المسلم ناقته. الله أكبر.

أيها الناس...

انظروا واسمعوا لترى مكانة المجاهدين فى سبيل الله، الذين يقتلون، فيكونون عند الله تعالى من الشهداء، إنهم يكونون فى ضيافة عظيمة. ضيافة من؟ ضيافة أحد الرؤساء، أو أحد الوزراء، أو المحافظ فلان، أو المستشار فلان لا هذه، ولا تلك، وإنما هم فى ضيافة ملك الملوك ومالك الملك جل فى علاه قال النبي ﷺ: «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّـهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِى أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْـجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْـقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْـفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْـحُورِ الْـعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِى سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ**»(٢).

يا له من جزاء عظيم، وفضل كبير، من العلى الكبير،، إنها ست وأى ست؟ كل واحدة أعظم من الأخرى، يزوج من الحور العين، ما صفة الحور العين؟ هل هن مثل نساء الدنيا؟!

النبي المصطفى ﷺ أطلعه مولانا على الجنة وما فيها، والنار وما فيها فلم يتركنا فى حيرة، أو جهل، بل علمنا كل شيء، وعرفنا كل شيء، قال فى وصف الحور العين: «**لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْـجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا** - أي خمارها - **عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»(٣).

---

(١) حسن: رواه الترمذي والحاكم في «المستدرك» (٥/ ٤٩٣) رقم (٢٣٤٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٠١).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» والترمذي، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢/ ١٢٩)، و«مشكاة المصابيح»رقم (٢٨٣٤).

(٣) رواه البخاري (٢٧٩٢)، ومسلم (١٨٨٠).

الله أكبر، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

قال العز بن عبد السلام رحمه الله **سلطان العلماء:** لما بذلوا أنفسهم لأجل الله، أبدلهم الله حياة خيرًا من حياتهم التى بذلوها، وجعلهم جيرانه، يبيتون تحت عرشه، ويسرحون من الجنة حيث شاءوا، لما انقطعت آثارهم من السروح فى الدنيا(١).

المجاهد فى سبيل الله تعالى أفضل الناس قدرًا، وأعظم شأنًا عند الله ﷻ ففى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: أتى رجل إلى رسولنا المصطفى ﷺ وسأله.

تأملوا صحابة الرسول الأعظم -رضوان الله عليهم- كانوا دائمًا يحرصون على أن يتعلموا من أستاذهم ومعلمهم ومرشدهم وكانوا يسألون عما يسعدهم فى آخرتهم، وعن كل ما يوصلهم إلى مرضاة ربهم الكريم الرجل سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أى الناس أفضل؟ -أى أكثرهم عند الله ثوابًا ومكانة- فقال ﷺ: **«رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ»**. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **«مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ، يَعْبُدُ اللَّـهَ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»**(٢).

عباد الله...

والجنة درجات، لكن النار دركات، الجنة خلقها الله وأعدها لمن أطاعه، وأطاع رسوله، لكن النار جعلها لمن عصاه، وعصى رسوله.

وقد أمر الله ﷻ بالجهاد فى سبيله، فمن جاهد، فله الجنة، ودرجات الجنة كثيرة ومتعددة، حددها النبي ﷺ بمائة درجة للمجاهدين فى سبيل الله فقال: «إِنَّ

---

(١) «أحكام الجهاد وفضائله» للعز (ص٥٣).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

فِى الْـجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّـهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِى سَبِيلِ اللَّـهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»(١).

فأين من يريد هذا الثواب؟

أين من يحدث نفسه بالجهاد فى سبيل الله؟

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «**من مات ولم يغزو، ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق**»(٢).

أحبتى فى الله ...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تدان و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»، أو كما قال. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، موجد العباد من العدم، ومعدمهم بعد أن أوجدهم وهو على كل شيء قدير، معيد كل خلق كما بدأه، وهو السميع البصير.

أحمده حمدًا يليق بشأنه الكبير، وأشكره على إنعامه الجم، وإحسانه الكثير.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة أتقى بها من عذاب السعير، وأستضيء بمشكاة هداها وأستنير.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، البشير النذير، المبعوث بالترغيب والترهيب والتحذير، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الذى ينبع الماء من بين أصابعه، فروى الجم الغفير، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا فى الله حق جهاده، وعلى من اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم النشور.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم وأحمد والحاكم وأبو داود والنسائي.

أما بعد...

أيها المسلمون الموحدون...

قد سمعتم وعلمتم فضل الجهاد فى سبيل الله، ومكانة المجاهدين، لأجل ذلك حرص أصحاب النبى الأمين -رضوان الله عليهم- أشد الحرص على الجهاد فى سبيله، لإعلاء كلمة الدين، لما دنا المشركون يوم بدر من المسلمين قام رسول الله ﷺ فقال لأصحابه: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**».

قال عمير بن الحمام: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «**نَعَمْ**». قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟**».

فقال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**». فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: إن حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه، ثم قاتل الكفار، حتى قتل[1].

عن شداد بن الهاد أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن بعد واتبعه ثم قال: أهاجر معك فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبيًا فقسم وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «**قسمته لك**».

قال: ما على هذا اتبعتك ولكنى اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا - وأشار إلى حلقه بسهم- فأموت فأدخل الجنة.

فقال: إن تصدق الله يصدقك فلبثوا قليلًا ثم نهضوا فى قتال العدو فأتى به النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي ﷺ: «**أهو هو؟**» قالوا: نعم قال: «**صدق الله فصدقه**»، ثم كفنه النبي ﷺ في جبته ثم قدمه فصلى عليه

---

(١) رواه مسلم.

فكان فيما ظهر من صلاته: «**اللَّهُمَّ هذا عبدك خرج مهاجرًا فى سبيلك فقتل شهيدًا أنا شهيد على ذلك**»(١).

أرأيتم أيها الموحدون الكرام كيف كان هؤلاء لا يطمعون فى دنيا فانية ولا مناصب زائلة، وإنما كان هدفهم الأسمى، أن يرتقوا بأرواحهم إلى ما هو أعلى مقامًا، وأرفع مكانة، جنة الفردوس الأعلى، جنة الخلد مع النبيين والصديقين، وإخوانهم الشهداء.

وهذا سيدنا عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال سعيد بن المسيب رحمه الله: إن رجلًا سمعه يقول قبل يوم أحد بيوم: اللَّهُمَّ إنا ملاقو هؤلاء غدًا، وإنى أقسم عليك لما يقتلونى، ويبقروا بطنى، ويجدعوا أنفى، فإذا قلت لى: لمَ فعل بك هذا، فأقول: اللَّهُمَّ فيك، فلما التقوا -أى المسلمين والمشركين- فعل ذلك به، واستجاب الله له(٢).

عن إسحاق بن سعد بن أبى وقاص، حدثنى أبى أن عبد الله بن جحش، قال يوم أحد: ألا تأتى ندعو الله، فخلوا فى ناحية، فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقينا القوم غدًا، فلقنى رجلًا شديدًا بأسه شديدًا حرده، فأقاتله فيك ويقاتلنى، ثم ارزقنى عليه الظفر حتى أقتله، وآخذ سلبه(٣)، فقام عبد الله بن جحش ثم قال: اللَّهُمَّ ارزقنى غدًا رجلًا شديدًا حرده، شديدًا بأسه، أقاتله فيك ويقاتلنى، ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى، فإذا لقيتك غدا قلت: يا عبد الله فيم جدع(٤) أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفى رسولك، فيقول: صدقت.

---

(١) صحيح: «صحيح سنن النسائي» للألباني رقم (١٩٥٣)، وصححه الحاكم في «المستدرك» رقم (٦٦٠٤) (جـ ١٥/ ١٨٧).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٦٧) لابن الجوزي.

(٣) سلبه: السلب هي ثياب القتيل وسلاحه ودابته.

(٤) الجدع: قطع الأنف والأذن والشفة، وبالأنف أخص.

قال سعد بن أبى وقاص: «يا بنى كانت دعوة عبد الله بن جحش خيرًا من دعوتى، لقد رأيته آخر النهار، وإن أذنه وأنفه لمعلقان فى خيط»[1].

فاتقوا الله عباد الله: اقرءوا سيرة هؤلاء الأبطال، هؤلاء ملائكة البشر، وتأملوا فى سيرتهم، وتأملوا كيف ضحوا بأرواحهم وأموالهم فى جانب رضا الله ﷻ عليهم.

فلله درهم من رجال أبطال شجعان.

اللَّهُمَّ يا من ذلت له جميع الرقاب، وجرى بأمره السحاب، كن لنا ولا تكن علينا يا كريم يا وهاب، وثبتنا فى الحال وفى المآب، وألهمنا التزود بالتقوى قبل حلول التراب، وأرشدنا عند السؤال إلى صحيح الجواب، وهب لشبيبتنا معاصى الشباب، واغفر لنا ولوالدينا واحشرنا مع سيدنا محمد والأصحاب.

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات اللَّهُمَّ اهدِ شبابنا وشباب المسلمين، اللَّهُمَّ حبب إليهم الإيمان وزينه فى قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم. وأقم الصلاة.

۞۞۞۞۞

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦/ ١٨) رقم (٢٣٦٨)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

الفهرس

السلسة الثالثة: أناس يحبهم الله